سلسلة تفسير القرآن الكريم (١٦)

التفسير المنهجي

مِنْ سُورَةِ الصَّافّاتِ - نِهايَةِ سُورَةِ فُصِّلَت

تأليف
الدكتور صلاح الخالدي

إشراف
الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية
الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر

دار المنهل
ناشرون وموزعون
هاتف: 5698308 فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن
http:\www.dmanhal.com

الطبعة الأولى

2005

رقم الإجـــازة : 2089 / 8 /2004

رقم الإيـــداع : 2191 / 9 /2004

التصنيف الدولي: 9-392-08-9957

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدِّمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمدٍ خاتَمِ الأنبياءِ والمرسَلينَ ، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، وَبَعْدُ :

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هوَ كلامُ اللهِ المعجزُ ، أنزلَهُ على نبيّه مُحَمَّدٍ ﷺ لِيُخْرِجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلمَاتِ إلى النُّورِ ، ويهدِيْهِمْ بهِ إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] .

وقدْ ورَدَ في عددٍ من الأحاديثِ الحثُّ على تعلُّمِ القرآنِ ومُدارستِه ، ومنْ ذلكَ قولُهُ ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »[(١)] ، وقوْلُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ ، يتلونَ كتابَ اللهِ ، ويتدارسونَهُ بينهم ، إلاّ نزلتْ عليهمُ السّكينةُ ، وغشيتْهُمُ الرّحمةُ ، وحَفَّتْهُمُ الملائكةُ ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[(٢)] .

وقدْ بذلَ المسلمونَ على مرِّ العصورِ جهوداً كثيرةً متواليةً في خدمةِ هذا الكتابِ العزيزِ ، ومنْ بينِ هذهِ الجهودِ ما يتعلَّقُ بتبيينِ معاني الآياتِ وتفسيرِها ، وكانَ لكلِّ تفسيرٍ ميزتُهُ وخصائصُهُ .

وميزةُ هذا التفسيرِ أنَّهُ أُعِدَّ ليكونَ منهاجاً للتدريسِ في المدارسِ التي تَلْتزِمُ في منهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفوهُ السيرَ على نمطٍ متقاربٍ متدرجٍ ، وفيما يلي أهمُّ النقاطِ التي تَمَّ الالتزامُ بها :

- اختيارُ العبارةِ السهلةِ الواضحةِ التي تناسبُ أعمارَ الطلبةِ ومستوياتِهم .
- بدءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ معاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفتِها .
- التعريفُ بالسورةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث ٤٦٣٩ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر ، والدعاء ، والتوبة ، والاستغفار ، رقم حديث ٢٦٩٩ .

- تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ ، وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

- الربطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السّابقِ والتّالي .

- اختيارُ القولِ الرّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطَّلبةِ بالأقوالِ المتعدّدةِ أو الضعيفةِ .

- الالتزامُ بمنهجِ السَّلفِ في تفسيرِ آياتِ الصفاتِ .

- إغناءُ كُلِّ درسٍ بعددٍ من الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلةِ بالآياتِ ؛ لحفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنِهِ ، ولذا فالمأمولُ من السادةِ المدرسينَ ، ومنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذهِ الأنشطةِ ، وعدم إهمالها ، ومناقشة ما يتمُّ التوصُّل إليه في الفصل ، أو في طابورِ الصَّباحِ ، أو تعليقُهُ في مَجلَّةِ المَدْرسَةِ .

- إتباعُ كُلِّ درسٍ بعددٍ من العِبَرِ والدروسِ المستنبطةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ منَ المدرسِ والطالبِ قراءةُ هذهِ العبرِ ، والربطُ بينَها وبينَ الآيةِ التي استنبطتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السلوكِ ، وتنميةِ التفكيرِ ، وترسيخِ القيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

- ختمُ كُلِّ درسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوعةِ التي تهدفُ إلى تقويمِ الطالبِ ، وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدرسِ ، وحَفْزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ عن الأسئلةِ في مظانِّها .

- تذييلُ بعضِ الدروسِ بفائدةٍ ، أو روايةٍ ، أو حادثةٍ ، أو حديثٍ لَهُ صلةٌ بموضوعِ الدرسِ ؛ بهدفِ إمتاعِ القارىءِ وإفادتهِ بهذهِ المعلومةِ .

- تخريجُ الأحاديثِ النبويَّةِ ، ورواياتِ أسبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصحيحِ من روَاياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالىٰ نسألُ أنْ يجعلَ هذا العملَ خالصاً لوجهِهِ الكريمِ ، وأَنْ ينفعَ بهِ ، وأنْ يتقبَّلَهُ بقَبولٍ حسنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سُورةُ الصَّافَّاتِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

تعريفٌ بالسُّورَة :

سورةُ الصّافّاتِ مكيّةٌ ، وسُمِّيَتْ بذلك لِورُودِ كلمةِ « الصّافّاتِ » في الآيةِ الأُولىٰ مِنْها ، وَهُمُ الملائكةُ الذينَ يَقِفُونَ صُفُوفاً في عبادَتِهِم لربهم في الصَّلاةِ .

وموضوعُ السُّورةِ هو مَوْضوعُ السُّوَرِ المكيّةِ ، وهو تقريرُ حقائقِ العقيدةِ وأُصولِها ، كالتَّوْحيدِ والنُّبوَّةِ والبعثِ ، وتحدَّثَتِ السُّورةُ عَنِ المَلائكةِ والجنِّ ، وذَكَرَتْ مواقفَ بعضِ الأنبياءِ مع أقوامِهِم ، وعَرَضَتْ مشاهدَ مِنْ نعيمِ المُؤمنينَ ، ولقطاتٍ مِنْ عذابِ الكافِرينَ ، وخُتِمَتْ بتقريرِ نَصْرِ اللهِ لعبادِهِ المُرْسَلينَ .

معاني المُفْرداتِ :

الصافّاتِ صَفّاً : الملائكةُ يَصُفُّون صُفوفاً في الصَّلاةِ .

الزَّاجِرَاتِ زَجْرَاً	الملائكةُ تَسُوقُ السَّحابَ وتدفعُهُ دَفْعاً .
التَّالِيَاتِ ذِكْرَاً	الملائكَةُ يَتْلُونَ كُتُبَ اللهِ علىٰ أنبيائِهِ .
شَيْطَانٍ مارِدٍ	شيطانٍ مُتمرِّدٍ خارجٍ عن الطاعةِ .
الملأُ الأعلىٰ	أهلِ السَّماءِ الدُّنْيا مِن الملائكةِ .
دُحُوراً	طَرْداً وإبْعاداً .
مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ	مَن اخْتَلَسَ شيْئاً مِنْ كلامِ الملائكةِ .
شِهابٌ ثاقِبٌ	شهابٌ مُضيءٌ مُحْرِقٌ ساقِطٌ علىٰ الشيطانِ .
طِينٍ لازِبٍ	طينٍ لزجٍ يلتصقُ باليدِ .
يَسْتَسْخِرُون	يُبالِغُون في السُّخْرِيَةِ والاسْتِهْزاءِ .
دَاخِرُون	صاغِرُونَ أذلاَّءُ .
زجرةٌ واحدةٌ	صَيْحَةٌ واحدةٌ .

تفسيرُ الآياتِ

﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ ﴾

افتُتِحَتِ السُّورةُ بهذا القَسَمِ مِنَ اللهِ تعالىٰ بالملائكةِ ، ليلْفتَ الأنظارَ إلىٰ عَظَمةِ هذهِ المخْلوقاتِ النُّورانيّةِ ، ووَصَفَها بثلاثِ صِفَاتٍ ، فهي صافّاتٌ ، تَصُفُّ في صلاتِها للهِ صُفوفاً مُستويةً مُتناسِقَةً . وهي زاجراتٌ ، تسوقُ السَّحابَ وتدفعُهُ ، وتُوجِّهُهُ إلىٰ أرضٍ ميتةٍ ، ليَنْزِلَ عليْها الغيثُ . وهي تالياتٌ للذِّكْرِ ، تتلُو كُتُبَ اللهِ ، وتُبلِّغُها لأنبيائهِ عليهِمُ السلامُ .

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥ ﴾

هذا هو المُقْسَمُ عليه ، فقد أقسمَ اللهُ سُبحانه بالملائكةِ الصافّاتِ الزّاجراتِ التّالياتِ علىٰ أنّه إلهٌ وربٌّ واحدٌ ، لا شريكَ له في أُلوهيّتِهِ ورُبوبيّتِهِ ، فلا تجوزُ العبادةُ إلاّ لَهُ .

وهو مالِكُ كلِّ شيءٍ ، وربُّ كلِّ مَخْلوقٍ ، فهو ربُّ السّمٰواتِ وما فيها منْ مَخْلُوقاتٍ ، وربُّ الأرضِ وماعليها مِنْ مَخْلوقاتٍ ، وربُّ المخلوقاتِ الكثيرةِ التي بيْنَ السّمٰواتِ والأَرْضِ ، وهو ربُّ مَشارقِ الأرضِ ومَغارِبِها .

وقد اكتفَتِ الآيةُ بِذِكْرِ مشارقِ الأرضِ عنْ ذِكْرِ مغارِبِها ، المفْهومةِ منَ السِّياقِ ، لأنّهُ لا تُوجدُ

مشارقُ إلا ويقابِلُها مَغاربُ . قالَ تعالىٰ : ﴿فلا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ إنَّا لَقَادِرُوْنَ﴾ [المعارج : ٤٠] .

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾

اللهُ الواحدُ ، هو ربُّ السمٰواتِ والأرضِ وما بينَهما ، وهْوَ الَّذي زيَّنَ السّماءَ الدُّنْيا بزينةٍ جميلةٍ لطيفةٍ ، والسَّماءُ الدُّنْيا هي أقربُ السمٰواتِ السّبْع إلىٰ أهلِ الأرضِ ، جعَلَ اللهُ فيها الكواكبَ مُضيئةً مُنيرَةً ، يَراهَا النّاسُ ليلاً متلألئةً ، فتزدادُ السَّماءُ جمالاً في عُيونِهم . كما قالَ تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السّمَاءَ الدُّنيا بِمَصَابِيْحَ﴾ [الملك : ٥] .

﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

للكواكبِ التي زيَّنَ اللهُ بها السَّماءَ الدُّنيا وظيفةٌ أخرىٰ ، وهي أنَّ اللهَ حَفِظَ بها السّماءَ مِنْ شياطينِ الجنِّ المُتَمَرِّدينَ الكافرينَ ، فهؤلاءِ الشّياطينُ يَصْعَدُونَ إلىٰ السّماءِ يُحاوِلونَ استراقَ السّمْعِ ، واللهُ يَمْنَعُهُم مِنْ ذلك ، ويَحْفَظُ السّماءَ منهُم .

لقدْ جعلَ اللهُ في السّماءِ ملائكةً كِراماً ، وَهُمُ الملأُ الأعلىٰ ، الذينَ يَعْهَدُ اللهُ إليهِمُ القيامَ بأعمالٍ علىٰ الأرضِ ، فيما يتعلَّقُ بالناسِ وحياتِهم ، ويتحدَّثُ هؤلاءِ فيما بينَهُم بما أمرَهُمُ اللهُ بهِ ، فيُحَاوِلُ شياطينُ الجنِّ الصُّعودَ إلىٰ السّماءِ ، ويَتَسمَّعونَ ما يقولُهُ الملائكةُ ، ويُخبِرُونَ بهِ أعوانَهُمْ مِنَ الكهَنَةِ والسَّحرةِ ، لِيَخْدَعُوا السُّذَّجَ مِنَ الناسِ ، ويُوهِمُوهُم أنّهم يَعْلَمُون الغيبَ .

فحَفِظَ اللهُ السّماءَ مِنهُم ، فإذا حاوَلُوا التسمُّعَ لكلامِ الملائكةِ قُذِفُوا بالشُّهُبِ الحارقةِ مِنْ كلِّ جانبٍ ، ومُنِعُوا مِن التسمُّعِ ، وطُرِدُوا وأُبْعِدُوا عَنْ ذلك ، وهذا بالإضافةِ إلىٰ العذابِ الشّديدِ الموجعِ الدائمِ الذي أعدَّهُ اللهُ لهُم في الآخرةِ .

ومَنْ يَتمكَّنْ مِنَ الشياطينِ مِنْ سماعِ كلمةٍ مِنَ الملائكةِ ، ومُحاولةِ الهَرَبِ والنجاةِ لإيصالِها للسَّحَرَةِ ، يُقْذَفُ بشهابٍ ثاقبٍ مُضيءٍ مُشتعِلٍ ، مُنْفَصِلٍ عَنِ الكواكبِ ، فيَحْرِقهُ ويَقْضِي عليهِ .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وبمناسبةِ الحَديثِ عَنْ خَلْقِ السّمٰواتِ والأرضِ والكواكبِ ، تَأْتي الإشارةُ إلىٰ خَلْقِ الناسِ ، حيثُ يَطلُبُ اللهُ مِنْ رَسولِه ﷺ أنْ يَسأَلَ الكُفّارَ قائلاً : أيُّهُم أشدُّ وأصْعَبُ خَلْقاً وإيجاداً ، هُمْ أمِ السّمٰواتُ والأرضُ وما فيهما مِنَ المَخْلوقاتِ الضَّخْمةِ العظيمةِ ؟ إنَّهم يَعترفُون بأنَّ خَلْقَ السمواتِ والأرضِ أشدُّ خَلْقاً منهُم .

وذكَّرَهُم اللهُ بأنَّهُ ابتدأ خَلْقَ أصلِ الناس ، وهو أبوهُم آدمُ عليه السّلامُ ، مِنْ طينٍ لَزِجٍ يَلتصقُ باليدِ ، وهو شَيْءٌ ضعيفٌ إذا قُورِنَ بما في السَّمٰواتِ والأرضِ مِنَ المخلوقاتِ .

﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾

إنَّ موقفَ الكفارِ يدعُو للعَجَبِ ، ولذلك يقولُ اللهُ لِرَسوله ﷺ : أنتَ تتعجَّبُ مِنْ إنكارِ الكُفّارِ للبَعْثِ ، لأنَّكَ مُؤمنٌ بهِ ، وهم يَسْخَرُون مِنْ كلامِك ويَستهزِئُون بهِ ، وكلّما قَدَّمْتَ لهم آيةً ودليلاً علىٰ البعثِ يَزدادون سُخريةً واسْتهزاءً ، ويرفُضُونَ التذكُّرَ عندما تُذَكِّرُهم ، ويُصِرُّونَ علىٰ تكْذيبِكَ . وعندما يُشاهِدُونَ مُعجِزَةً ماديَّةً يقولونَ عَنْها : إنّها سِحْرٌ واضِحٌ بَيِّنٌ ، ويقولونَ : أنتَ ساحِرٌ ولستَ نبيّاً .

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

الكُفَّارُ يُكَذِّبُونَ الرّسولَ ﷺ عندما يُخبِرُهُم عَنِ البعثِ ، ويَتساءلُونَ مُنْكِرينَ : هَلْ مِنَ المَعْقولِ أنْ نُبعَثَ للحياةِ بعدما مُتْنا وصِرْنا تُرابا وعِظاما ؟ وهل مِنَ المعقولِ أنْ يُبعثَ أيضاً آباؤنا وأجدادُنا الأَقْدَمونَ الذينَ ماتُوا قَبْلَنا بفترةٍ طويلةٍ ؟

وقد أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ أنْ يُجيبَهُم عَنْ سُؤالِهم مُؤكِّداً البَعْثَ ، ويقولُ لهم : نَعَمْ ، سَتُبْعَثُون للحياةِ أنتُم وآباؤُكم ، وستأتونَ يومَ القيامةِ صاغرينَ أذلاَّءَ . والأمرُ سهلٌ علىٰ اللهِ القادرِ علىٰ كلِّ شيءٍ ، فما هِيَ إلا صَيْحَةٌ واحدةٌ ، يأمُرُ اللهُ إسرافيلَ أنْ يَنفُخَ في الصُّورِ النَّفخةَ الثّانيةَ ، وعندما يَنْفُخُ يسمَعُهُ كلُّ الأمواتِ الَّذينَ صارُوا تُراباً ، ثم يُبعثُونَ أحياءً بأمرِ اللهِ ، ويَخرجُونَ مِنْ قبورِهم ، يَنظُرُون بعيونٍ فَزِعَةٍ خائفةٍ إلىٰ أهوالِ يوم القيامةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ الملائكةَ وكلَّفَهُم بمهمّاتٍ خاصَّةٍ ، منها الصّلاةُ ، وسَوْقُ السَّحابِ ، وهُمْ يُطيعونَ اللهَ ولا يَعصُونَهُ .

٢ـ زيَّنَ اللهُ السَّماءَ الدُّنْيا بالكَواكِبِ ، لتبدُوَ جميلةً في عُيُونِ الناسِ ، وعلينا التمتُّعُ بجمالِها .

٣ـ يحفَظُ اللهُ السَّماءَ مِنَ الشياطينِ ، فيحْرِقُهم بالشُّهُبِ إذا حاوَلُوا استراقَ السمْعِ .

٤ـ خَلْقُ السَّمٰواتِ والأرضِ وما فيهما أعظمُ وأكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، فكيفَ يَستبعِدُونَ البَعْثَ ؟

٥ـ الكُفَّارُ مُصِرُّونَ علىٰ الكُفرِ عِنادا واسْتكباراً ، ولا يَستجيبون إلىٰ آيةٍ أو مُعْجزةٍ .

٦ـ يُبْعثُ الكُفَّارُ يوم القيامةِ صاغرينَ أذلاَّءَ مُهانينَ ، جزاءَ اسْتِكبارِهِمْ في الدُّنْيا .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ ثلاثَ صفاتٍ للمَلائِكةِ ، واذكرْ معنىٰ كلِّ واحدةٍ منها .

٢ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ وظيفتَينِ للكواكبِ في السَّماءِ الدُّنيا .

٣ـ أ ـ ماذا يفعلُ اللهُ بالشياطينِ المُسترِقينَ للسَّمْعِ ؟

ب ـ ماذا يفعلُ اللهُ بالشَّيطانِ الذي خَطِفَ الخَطْفَةَ ؟

٤ـ أ ـ مَنِ الأشدُّ خَلْقاً : الإنسانُ أم السَّماءُ ؟

ب ـ وعلىٰ ماذا يدلُّ ذلك ؟

٥ـ ما موقفُ الكُفّارِ مِنَ الآياتِ ، ومِنْ تذكيرِ الرَّسولِ لَهُمْ ؟

٦ـ كيفَ يُبْعثُ الكفارُ ويُحْشَرُون ؟ ولماذا ؟

٧ـ ما معنىٰ كلِّ ممّا يأتي : شيطانٍ ماردٍ ، الملأ الأعلىٰ ، دُحوراً ، عذابٌ واصِبٌ ، شهابٌ ثاقبٌ ، طينٍ لازبٍ ، داخِرُون ، زجرةٌ واحدةٌ .

نشاط :

١ـ سجِّلْ آيةً تتحدَّثُ عَنِ المشرقِ والمَغْربِ ، وآيةً تتحدَّثُ عَنِ المَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبيْنِ ، وآيةً تتحدَّثُ عنِ المشارقِ والمغاربِ ، ثم اجمَعْ بينَ الآياتِ .

٢ـ اعترَفَ الجنُّ بمَنْعِهِم مِنَ اسْتراقِ السَّمْعِ ، ومَنْ حاولَ فإنه يُقْذَفُ بشهابٍ . سجِّلْ آيتَيْنِ مِنْ سورةِ الجنِّ تتحدّثانِ عن ذلكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني

سورةُ الصَّافَّاتِ - القِسْمُ الثَّاني

وَقَالُواْ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **يومُ الفَصْلِ** : يومُ القضاءِ بينَ الناسِ .
- **أزواجهم** : أمثالَهُمْ وأشباهَهُمْ .
- **اهدُوهُم** : دُلُّوهم وعرِّفُوهم .
- **يَتَسَاءَلونَ** : يتخاصَمُونَ ويتجادَلُونَ .
- **مِنْ سُلْطَانٍ** : مِنْ حُجَّةٍ وقُوَّةٍ .
- **طاغينَ** : مُجاوِزينَ الحدَّ في الضَّلالِ .
- **حَقَّ علينا** : وَجَبَ علينا جميعاً العذابُ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عن إنكارِ الكُفّارِ للبَعْثِ ، والردِّ عليهم وإثباتِ البَعْثِ ، لتتحدَّثَ عَنْ حالِ الكُفَّارِ بعدَ البَعْثِ ، حيثُ يُحْشَرُون ويُوقفُون للحسابِ .

﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

يُبعثُ الكفارُ مِنْ قُبورِهِمْ بعد نفخةِ البعثِ ، ويقفون وينظرون إلىٰ مشاهد يوم القيامةِ وأهوالِهِ ، وعندَ ذلكَ يُوقِنُون أنّهم ذاهبونَ للعذابِ ، فيعلنُونَ حَسْرتَهُمْ ويَلُومُونَ أنفُسَهُمْ قائلينَ : لنا الويلُ والهلاكُ ، فهذا اليومُ هُو يومُ الحِساب والجَزاءِ الذي أخبرَتنا عنهُ الرُّسُلُ في الدُّنيا فكذَّبناهُمْ ، ها هُوَ حقيقةٌ واقعةٌ .

عندَ ذلك يُجيبُهمُ المَلائكةُ زيادةً في حَسْرتِهِمْ ، فيقولون لَهُم : هذا اليومُ هو يومُ الفصْلِ ، الذي يُحاسِبُ اللهُ فيه الناسَ ، ويحْكُمُ علىٰ كلِّ إنسانٍ ، ويجزيه بما عَملَ مِنْ خيرٍ أو شرٍّ ، ويَفصِلُ بينَ المُطيعِينَ والعُصاةِ ، وأنتُم كنتُم تكذِّبونَ بهذا اليومِ وتُنْكِرونَ وُقُوعَهُ .

﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

بعد يقينِ الكُفّارِ أنّهم يَعيشُون أحداثَ يومِ القيامةِ وتوبيخِ الملائكةِ لَهُمْ ، يأمرُ اللهُ الملائكةَ بتجميعِهِمْ وسَوْقِهِمْ وحَشْرِهِم ، تمهيداً لِسُؤالِهِمْ وحِسابِهِمْ .

والَّذِينَ يُحْشَرُونَ هُمْ : المُشركون الظالمون ، وأمثالُهُمْ وأشباهُهُمْ مِنْ أصْحابِ المَعاصي ، والآلِهَةُ التي عَبَدُوها مِنْ دُونِ اللهِ كالأوثانِ والأصْنامِ ، زيادةً في حَسْرتِهِمْ وتوبيخِهِمْ .

قالَ عمرُ بنُ الخطّابِ رَضيَ اللهُ عنهُ في معنىٰ الآية : ﴿وأزواجَهم﴾ : أي أشباهَهُمُ الَّذين مِثْلَهُم ، حيثُ يُحْشَرُ الزّاني معَ الزّاني ، وشارِبُ الخَمْرِ مَعَ شاربِ الخَمْرِ ، وصاحِبُ السَّرقةِ مَعَ صاحِبِ السَّرِقةِ .

ويقولُ اللهُ للمَلائِكةِ : اهْدُوا هؤلاءِ الظّالِمينَ المَحْشورينَ ، وأَرْشِدوهُمْ ، وعَرِّفُوهُم طريقَ جهنَّم ، لِيَسْلُكُوهُ ويَسيرُوا فيه .

واستعملُ الهدايةَ هنا في العذابِ ، مَعَ أنّ الهدايةَ تُستَعْمَلُ في الإرشادِ إلىٰ الخيرِ ، مِنْ بابِ التهكُّمِ بالكُفّارِ والسُّخْرِيةِ منهُم .

ويَأْمرُ اللهُ الملائكةَ أنْ يُوقِفُوا أُولئكَ الكافرينَ الظّالمينَ ويَحْبِسُوهُمْ في أرضِ المحْشَرِ ، لِيَتِمَّ سؤالُهُم وحِسابُهُم علىٰ أعمالِهِم مِنْ خيرٍ أو شرٍّ .

﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

يُوقَفُ الكافرون على أرضِ المَوْقِفِ بِذُلٍّ وهَوانٍ ، وتقولُ الملائكةُ لهم علىٰ سبيلِ التوبيخِ والتهكُّمِ : ما بالُكُم هكذا ، لا يَنصُرُ بعضُكم بَعْضاً كما كنتم تَفعلُون في الدُّنيا ؟

ويكونُ الكُفّارُ جميعاً يوم القيامة مُستسلمينَ مُنقادينَ لأمْرِ اللهِ ، انقيادَ عجْزٍ وذُلٍّ ، ذاهبينَ

لِعذابِ اللهِ ، لا يَجِدُون لَهُمْ ناصِراً ولا شَفيعاً ، مَعَ أنَّهُمْ كانوا رافِضينَ في الدُّنيا الاسْتِسْلامَ والخُضوعَ للهِ .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

الكفّارُ صنفانِ : أتباعٌ مِنْ عامةِ الناسِ ، ومَتْبُوعونَ وهُمْ رؤساؤُهُمْ وقادَتُهُمْ ، وعِنْدما يُحْشَرُ الفريقانِ يومَ القيامةِ يَقعُ بينَهم تَساؤلٌ وتنازُعٌ وجدالٌ وخِصامٌ ، حيثُ يُلْقي كلُّ فريقٍ اللَّومَ على الآخَرِ ، ويُحَمِّلُهُ مَسؤوليّةَ الضَّلالِ والإضلالِ ، فهم يُقبِلُونَ بعضُهم علىٰ بعضٍ يتساءَلُون عن مَصيرِهم ، وعَمّا كانَ بينَهُم في الدُّنيا .

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

عندما يتخاصَمُ الأتباعُ والمَتْبوعُونَ ، يَلومُ الأتباعُ رُؤَساءَهُمْ قائِلينَ : لقدْ كنتُمْ في الدُّنْيا تَأْتُونَنا عَنِ اليمينِ مِنْ جهةِ اليُمْنِ والخَيْرِ ، وتزعمُونَ أنّ ما أنتُم عليهِ خيرٌ وحقٌّ ، وتدعُونَنا إلىٰ اتِّباعِكُمْ فيهِ ، فاستَجَبْنا لكُم واتَّبَعْناكُم ، وها نحنُ قد هَلَكْنا مَعَكُم .

فيردُّ عليهِمُ الرُّؤساءُ قائِلينَ : لا تُحَمِّلُونا مَسْؤوليَّتَكُمْ ، لأنَّنا لم نُجْبِرْكُم علىٰ الكُفْرِ ، وأنتُمْ لَمْ تكونُوا مُؤمنينَ ، لقدْ رَفضْتُمُ الإيمانَ مع تَمَكُّنِكُمْ مِنْهُ ، قُلُوبُكم هِيَ القابلةُ لِلكُفْرِ ، ولَمْ يكنْ لنا عليكُم مِنْ قَهْرٍ أو تسلُّطٍ أو إجبارٍ ، بل كنتُمْ طاغينَ مُجاوِزينَ لِلحَدِّ ، مُغْرِقينَ في الضَّلالِ ، فلما دعَوْناكُم للكُفْرِ سارَعْتُم إلى الاسْتِجابَةِ .

ولقدْ وَجَبَ علَيْنا وعَلَيْكُم قولُ ربِّنا وحُكْمُهُ بالعذابِ ، ونحنُ نستحقُّ ذلك ، وقَدْ توعَّدَ اللهُ في الدُّنْيا أنْ يملأَ جَهنَّمَ مِنَ الجنِّ والإنْسِ أجْمَعينَ ، فنحنُ وأنتُم سنذُوقُ العذابَ في النّارِ ، ونعترِفُ أنَّنا أغْوَيناكُمْ وأضْلَلْناكُمْ ، لِأنَّنا غاوونَ مُضِلُّون ، وأنتُم تتحمَّلُونَ نتيجةَ ذلكَ لأنكُمُ استجَبْتُم لنا .

﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

بعدَ انتهاءِ الخِصامِ بينَ الأَتْباعِ والمَتْبوعِينَ يَقضِي اللهُ بتعذيبِهِمْ جَميعاً ، فلا يُعفىٰ الأتباعُ مِنْ تَبِعَةِ إغواءِ المَتْبوعينَ الرُّؤساءِ وإضْلالِهِم لَهُمْ ، لأنَّ الأصلَ ألاَّ يُطيعُوهُم في الباطلِ ، ولذلكَ يَشْتَرِكون في عذابِ النارِ .

وهذا هُوَ عَدْلُ اللهِ المُطلَقُ ، وحُكْمُهُ النّافِذُ ، حيثُ يُجازي كلَّ إنسانٍ بعَملِهِ ، ويُعاقِبُ المُجرمينَ بسببِ إجرامِهم وكُفرِهِم وطغيانِهِم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يومُ القيامةِ هوَ يومُ الفَصْلِ ، وفيهِ يَفْصِلُ اللهُ بينَ المؤمنينَ والكافرينَ .

٢ـ يَحْشُرُ اللهُ المُتشابِهينَ في المعاصي مَعاً ويُعذِّبُهُم مَعاً .

٣ـ يُوقَفُ النّاسُ جميعاً في ساحةِ العَرْضِ يومَ القيامةِ ، ليُسْأَلوا عَنْ أعمالِهم ويُحاسَبوا عَلَيْها .

٤ـ يَسْتَسْلِمُ الكُفّارُ يومَ القيامةِ اسْتِسْلامَ ذُلٍّ وهَوانٍ ، ولا يكونُ بينَهُمْ تناصُرٌ ولا تَعاوُنٌ .

٥ـ يكونُ بينَ الكُفّارِ مِنَ الأَتباعِ والمَتبوعينَ تخاصُمٌ وتلاوُمٌ وجِدالٌ .

٦ـ لا يُعْفىٰ الأَتباعُ مِنَ المسؤوليّةِ عَنْ أعمالِهم ، ويَشتركُونَ في العذابِ مَعَ المَتبوعينَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا سُمِّيَ يومُ القيامةِ بيومِ الفَصْلِ ؟

٢ـ ما حكمةُ استعمالِ الهدايةِ في العذابِ في قولهِ : ﴿فاهدُوهم إلىٰ صراطِ الجحيمِ﴾ ؟

٣ـ ماذا يقولُ الأَتْباعُ لِرُؤسائِهم يومَ القيامةِ ؟ وبماذا يُجيبُهم رُؤَساؤُهُم ؟

٤ـ بماذا تُفسِّرُ استجابةَ الأتباعِ لمتبوعيهمْ في الباطلِ ؟

٥ـ ما معنىٰ اشتراكِ الأتباعِ والمتبوعينَ في العذابِ بالآخرةِ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ حديثاً عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ يُخبِرُ عَنْ مَوْضوعاتٍ أربعةٍ لا بُدّ أَنْ يُسأَلَ كلُّ إنسانٍ عنها يومَ القيامةِ .

٢ـ الآياتُ التي تتحدَّثُ عَنِ التخاصُمِ والجدالِ بينَ الأتباعِ والمَتْبُوعِينَ مُتعدِّدةٌ . سجِّلْ آياتٍ تَتحدَّثُ عَنْ ذلكَ في سورةِ الأعرافِ وفي سورةِ إبراهيمَ ، واذكُرْ معناها بإيجازٍ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورَةُ الصَّافَّاتِ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

وصدَّقَ المُرسَلينَ	: تَصْديقُ المُرْسَلينَ بإخبارِهِ بِصِدْقِ المُرْسَلينَ مِنْ قَبْلِهِ ، وَمَجيئِهِ على النَّحْوِ الَّذي أخبرتْ به الرُّسُلُ ، فلو لَمْ يأتِ كذلكَ فإن الرُّسُلَ يكونُونَ كاذِبين .
المُخْلَصينَ	: الَّذينَ أخلَصَهُم اللهُ لطاعتِهِ .
رزقٌ معلومٌ	: رِزقٌ معروفُ الخَصائِصِ .
علىٰ سُرُرٍ متقابِلينَ	: يَجلسُون علىٰ أَسِرَّةٍ يُقابلُ بعضُهُمْ بَعْضاً .
كأسٍ من معينٍ	: كأسٍ مِنَ الخمرِ مِنْ نهرٍ جارٍ ظاهرٍ للعيونِ .
لَذَّةٍ للشَّاربينَ	: خَمْرُ الجَنَّةِ طعمُها لذيذٌ .
لا فيها غَوْلٌ	: لا تُفسدُ عُقولَ مَنْ يَشْرَبُونَها ، فهي لا تُسْكِرُ .
قاصراتُ الطَّرْفِ	: قَصَرْنَ أبصارَهُنَّ علىٰ أزواجِهِنَّ ، فلا يَنظُرْنَ إلىٰ غيرهِم .
عِينٌ	: حِسَانُ العيونِ الواسعَةِ .
بَيْضٌ مَكْنونٌ	: بَيْضٌ مَصونٌ عَنِ الرّيحِ والغُبارِ ، مُحافِظٌ على صَفائِهِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ تخاصُمِ أهلِ النّارِ ، لِتتحدَّثَ عَنْ كُفرِهِمْ وتَكذيبِهِمْ في الدُّنيا ، الذي استحقُّوا به العذابَ ، ثم تُقدِّمُ لنا صورةً مُشرِقةً لنعيمِ المؤمنينَ في الجَنَّةِ ، وتَلذُّذِهِم واستمتَاعِهِم فيها .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ عَنْ بعضِ جرائمِ المُشْرِكينَ في الدُّنْيا ، الَّتي استحقُّوا بها العذابَ في الآخِرَةِ ، فلمّا كانُوا يُدْعَوْنَ إلىٰ كلمةِ التوحيدِ : لا إلهَ إلا اللهُ ، كانُوا يَرفُضونَ ذلكَ ، ويَسْتكبِرُونَ عَنْ قَبولِها . وكانُوا يَرْفُضُونَ دَعْوَةَ الرسولِ ﷺ لَهُم لعبادةِ اللهِ وَحْدَهُ ، ويقولونَ : هو ليسَ رسولاً من عِنْدِ اللهِ ، وإنَّما هو شاعرٌ يقولُ الشِّعْرَ ، ويَزعُمُ أنَّه وحْيٌ مِنْ عندِ اللهِ ، وهُوَ مَجنونٌ يَرىٰ نفسَهُ نَبيّاً ، ولِذلكَ نحنُ لَنْ نقبلَ كلامَهُ ، ولَنْ نترُكَ عبادةَ آلِهَتِنا مِنْ أَجْلِ قولِهِ .

وقد كذَّبَ اللهُ المُشْرِكينَ وردَّ عليهِمْ ، وشَهِدَ لنبيِّهِ ﷺ بالرِّسالةِ ، وأَخْبَرَ أنَّه جاءَ بالحقِّ والصَّوابِ ، وأنَّ اللهَ هو الذي أنزلَ عَلَيْهِ القُرْآنَ ، وقد صدَّقَ ما جاءَ به الأنبياءُ والمُرسَلونَ مِنْ قَبْلِهِ ووافَقَهُ ، فالعقيدةُ عندَ جميعِ الرُّسُلِ واحِدةٌ ، والقرآنُ موافِقٌ للكُتُبِ السّابقةِ فيها .

﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

لأنَّ الكُفَّارَ قد استكبرُوا عن توحيدِ اللهِ ، وكذَّبُوا رَسُولَه ، واتَّهمُوهُ بأنَّه شاعرٌ مَجنونٌ ، فَقَدِ استحقُّوا بِذلكَ العذابَ المُؤْلِمَ الدَّائِمَ ، وهُوَ الخُلودُ في نارِ جهنَّمَ . واللهُ لم يَظْلِمْهُم في ذلكَ ، إنَّما كانَ عادِلاً مَعَهُمْ ، فَقَدْ حاسَبَهُمْ علىٰ أعمالِهِمُ السَّيِّئةِ ، وجازَاهُم عَلَيْها ، فهم يأخذُونَ نتائجَ جرائِمِهم في الدُّنْيا ، ويُجْزَوْنَ عَلَيْها شرّاً وعذاباً . كما قال تعالىٰ : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧ـ٨] .

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

بعدَ بيانِ عذابِ الكفارِ المُجرمينَ ، يَأْتي الكلامُ علىٰ نعيمِ المُؤْمنينَ الصَّالحينَ في الجَنّةِ ، والمعنىٰ : إنَّكُمْ أيُّها المُجْرِمُونَ ذائِقو العَذابِ المُؤْلِمِ ، لكنَّ عبادَ اللهِ المُؤْمنينَ الصَّالحينَ ناجُونَ مِنْ

ذلكَ العذابِ ، وَهُمْ الذينَ أخلَصُوا لله في العبادةِ ، فأخْلصَهُم اللهُ لطاعتِهِ ، وجَعلَهُم مِنْ صَفْوَةِ عبادِهِ ، وهم عِبادُهُ المُخْلَصُونَ .

يُدخِلُ اللهُ عِبادَهُ المُخْلَصِينَ الجَنَّةَ برحمتِهِ ، ويُقدِّمُ لهُمْ رزقَهُ الجميلَ ، وهو رزقٌ معلومٌ حُسْنُهُ وطِيبُهُ ، وهو رزقٌ دائمٌ غيرُ مقطوعٍ ، ولا ممنوعٍ .

ومِنْ ذلكَ الرِّزقِ المُقدَّمِ لَهُم فواكهُ مُتنوّعةٌ لذيذةٌ ، مُتشابهَةٌ في شَكْلِها ولوْنِها ، لكنَّها مُختلفَةٌ في طَعْمِها ورائِحَتِها ، وهم يأكُلُونَ الفواكهَ للتفكُّهِ والتَّلذُّذِ والتنعُّمِ ، وليس للقُوتِ أو دَفْعاً لِلجُوعِ ، لأنَّه لا جُوعَ ولا حاجةَ ولا مَوْتَ في الجنّةِ .

وعبادُ اللهِ المُخْلَصُونَ مُكرَمُونَ في جنّاتِ النعيمِ ، يَنْعَمُونَ بتكريمِ اللهِ وفَضْلِهِ ورِضْوانِهِ .

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٍ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٌ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

المؤمنونَ مُكرَّمونَ مُنَعَّمونَ في الجَنّةِ ، ويكونونَ مُتَّكِئينَ علىٰ الأَسِرَّةِ ، مُتقابلينَ يَنظرُ بعضُهُمْ إلىٰ وُجوهِ بعضٍ ، بفرَحٍ وسُرورٍ وبَهْجَةٍ ، ولا يَنظرُ بعضُهم إلىٰ قفا بعضٍ ، فهم يَتقابلُونَ . لا يَتدابَرُونَ .

ويَكونونَ في مجالسِهِم مُستَمْتِعينَ بالملذّاتِ والطَّيباتِ ، ويطوفُ عَلَيْهِم غِلمانُهُمْ وخَدَمُهُمْ بآنيةِ خَمرِ الجنةِ وكُؤوسِها ، وخَمْرُ الجنّةِ أُخِذ مِنْ أنهارِها الجَاريةِ الطّاهرةِ ، تلكَ الخَمْرُ الطيّبةُ بيضاءُ لذيذةٌ لِشَارِبيها المُؤمنينَ ، وقد سَلِمَتْ مِنْ أضْرارِ خَمْرِ الدُّنيا المؤذيةِ التي حرَّمَها اللهُ ، فَخَمْرُ الدُّنْيا تُذهِبُ عُقولَ شاربيها ، فيَسْكَرُونَ عند شُرْبِها ، أمّا خَمْرُ الجنَّةِ فإنَّها لا تغتالُ عُقولَ المُؤمِنينَ ، وهُمْ لا يَسْكَرونَ عند شُرْبِها ، بل تَجِدُهُم مُسْتمتعينَ مُتلذِّذينَ بشُربِها .

﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾ ﴾

بَعْدَ بَيانِ شَرابِ أَهْلِ الجنَّةِ ذَكَرَتْ صِفاتِ أزواجِهِمْ ، فأزواجُ المُؤْمنينَ طيّباتٌ عَفيفاتٌ ، قد قَصَرْنَ بَصَرَهُنَّ علىٰ أزواجِهنَّ ، فلا يَنْظُرْنَ إلىٰ غيرِهِم ، مُبالغةً في العِفَّةِ ، وهُنَّ حسناواتٌ واسعاتُ الأعْيُنِ ، في حُسْنٍ وجَمالٍ ، وهُنَّ جميلاتٌ جَمالاً أخّاذاً ، وهُنَّ مِنْ جَمالِهنَّ كالبَيْضِ الصَّافي الجميلِ ، المَصونِ عَنِ الرّيحِ والغُبارِ ، وبَياضُهُنَّ مَشوبٌ بصُفْرةٍ قليلةٍ ، وهو أجملُ ألوانِ البياضِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ يكرَهون كلمة التوحيدِ ، فلا يَقُولُونَها ، ولا يُحبُّونَ سَمَاعَها ، اسْتكباراً وعِناداً .

٢ـ اللهُ عادلٌ في عقابِ الكُفَّارِ وتَعْذيبِهم في جهنَّمَ ، وَهُوَ جَزاءُ أعمالِهِمُ السَّيئةِ في الدُّنيا .

٣ـ المُؤمنونَ كانوا مُخْلِصينَ في طاعةِ اللهِ ، فاستخلصَهم اللهُ مِنْ عبادِه ، وأكرَمَهُمْ في الجنَّةِ .

٤ـ يتمتَّعُ المؤمنونَ في الجَنَّةِ بمُخْتَلِفِ أنواعِ النَّعيمِ الماديِّ والمَعْنَويِّ ، من سَكَنٍ وزوجةٍ وطعامٍ وشرابٍ .

٥ـ خَمْرُ الجَنَّةِ طيِّبَةٌ نافعةٌ ، يتلذَّذُ بها المُؤْمنونَ مِنْ دُونِ ضَررٍ ، بخِلافِ خَمْرِ الدُّنْيا المَمْلُوءَةِ بالآفاتِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَوْقِفَ الكُفارِ مِنْ دَعْوَةِ الرَّسولِ ﷺ إيّاهُمْ إلى التَّوْحيدِ .

٢ـ ماذا كانَتْ نَتيجةُ مواقِفِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيامَةِ؟

٣ـ لماذا يُنَجّي اللهُ المُؤمنينَ مِنَ العذابِ يومَ القِيامَةِ؟

٤ـ بَيِّنْ مَظاهِرَ النَّعيمِ الَّذي يُلاقيه المُؤمنونَ في الجَنَّة .

٥ـ ما مَعْنى كلٍّ مِمَا يلي :

رزْقٌ مَعْلومٌ ، على سُرُرٍ مُتَقابلينَ ، لَذّةٍ للشّاربينَ ، غوْلٌ ، يُنْزَفونَ ، قاصِراتُ الطَّرْفِ ، عينٌ ، مَكْنونٌ .

نَشاطٌ :

اذكُرِ الفَرْقَ بينَ المُخْلِصينَ ـ بكسر اللامِ ـ والمُخْلَصِينَ ـ بفتح اللّام ـ ، واذكُرْ آيةً علىٰ كلٍّ واحدةٍ مِنهُما ، واكتبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سورَةُ الصَّافَّاتِ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأٓكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

قرينٌ	: صديقٌ مُلازِمٌ .
مَدينونَ	: مَجْزيُّونَ مُحاسَبُونَ بعدَ الموتِ .
سواءِ الجحيمِ	: وَسَطِ الجحيمِ .
كِدْتَ لتُرْدينِ	: أوشَكْتَ أنْ تُهلِكَني .
كُنتَ مِنَ المُحْضَرينَ	: الَّذينَ أُحضِرُوا مَعَكَ في النَّار .
خيرٌ نُزُلاً	: خَيْرٌ ضِيافةً .
شجرةُ الزَّقّوم	: شجرةٌ تَنبتُ في النّارِ ، يأكلُ منها أهلُ النّارِ .
أصلِ الجحيمِ	: قَعْرِ جَهَنَّمَ .
طَلْعُها	: ثَمَرُها .
شَوْباً مِنْ حَميمٍ	: شَراباً مَمْزُوجاً بماءٍ شَدِيدِ الحَرارةِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ نعيمِ المُؤمنينَ في الجَنَّةِ ، لتتحدَّثَ عَنْ عَذابِ الكُفَّارِ في النّارِ ، علىٰ طريقةِ القُرآنِ في التقابُلِ بينَ الصُّورَتيْنِ ، من بابِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

عندما يكونُ المُؤْمِنونَ مُستَمْتِعينَ في جَلَسَاتِهم ، مُتلذِّذينَ بطَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ ، يَتجاذَبُونَ أطرافَ الحديثِ الشَّائقِ ، ويتذكّرُونَ ما كَانوا عَلَيه في الدُّنيا ، ويتذكَّرونَ مَعارِفَهُمْ ويَتَساءَلون عَنْ مَصِيرِهم ، ويَحْمَدُون اللهَ علىٰ ما أنعَمَ بهِ عليهِم في الجَنَّةِ .

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

يتذكَّرُ أحدُ المُؤمنين أمْراً كانَ لَهُ في الدُّنيا ، فقد كانَ لَهُ صَديقٌ كافرٌ في الدُّنيا ، فأخبرَ إخْوانَهُ في الجَلْسَةِ قائلاً : كان لي في الدُّنيا صاحِبٌ ، وكان كافِراً باللهِ ، ومُنْكِراً للبَعْثِ ، وكنتُ أدعُوهُ إلىٰ الإيمانِ والتصديقِ بالبَعثِ ، فيرفُضُ كلامي ، ويقولُ لي : هل تُصدِّقُ وتُؤمِنُ أنّنا بعدما نموتُ ونَبْلَىٰ ، ونكونُ عِظاماً وَتُراباً ، نعودُ للحياةِ مِنْ جديدٍ ، ونُبعَثُ مِنْ قبورِنا ، ونُحاسَبُ علىٰ ما عَمِلْناهُ ؟ هل تُصدِّقُ بذلكَ ؟ إنَّ هذا لن يكونَ! فلا بَعثَ ولا حِسابَ ولا جَزاءَ .

ثم قال المُؤْمنُ لإخوانِهِ : ما رأيُكُم أنْ نَطَّلِعَ جَميعاً علىٰ أهلِ النّارِ ، وأنْ نَتَفَقَّدَ ذلكَ الرَّجُلَ الكافرَ ، لِنَعْرِفَ ماذا فَعَلَ اللهُ بهِ!

﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

استجابَ المُؤْمِنونَ لدَعْوَةِ أخيهِمْ ، ونَظرُوا جميعاً إلىٰ أهلِ النارِ ، ورأىٰ قرينَه يُعذَّبُ في وَسَطِ النّارِ ، فقال له مُوبِّخاً : واللهِ لقد أوْشَكْتَ أنتَ أنْ تُهْلِكَني وتُوقِعَني في الرَّدىٰ ، فقد كنتَ تَدْعُونِي إلىٰ إنكارِ البَعْثِ والقِيامةِ والجَزاءِ ، ولو استَجَبْتُ لخسِرْتُ وهَلَكْتُ ، ولكنَّ اللهَ أنعمَ عليَّ بنعمةِ الإيمانِ ، فثبَّتَني علىٰ الإيمانِ بفَضْلِهِ وتوفيقِهِ ، ولولا ذلكَ لكنتُ الآنَ مِنَ المُحْضَرينَ لِلعذابِ ، الَّذينَ أُحْضِرُوا وجِيءَ بهم إلىٰ جهنَّمَ ، مِثلُكَ أنتَ وَقُرَناؤُكَ .

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

وبعدما وَبَّخَ المُؤْمِنُ الكافِرَ التفت إلىٰ إخوانهِ الجالسينَ مَعَهُ ، مُتذكِّراً مَعَهُمْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ ، فقال : أنحنُ مُخَلَّدونَ مُنعَّمُونَ في الجَنّةِ ، لا نموتُ إلا المَوْتَةَ الأُولىٰ التي كتبَها اللهُ عَلَيْنا في الدُّنيا ، ولا نُعذَّبُ في النار التي أنجانا اللهُ منها برَحْمَتهِ ؟

وسُؤالُهُ لإخوانِهِ للتقريرِ ، قاله وهو فرِحٌ مسرورٌ مُستمتِعٌ بنعمةِ اللهِ عَلَيْهِ ، وأسمعَهُ لقرينِهِ المُعذَّبِ في جَهَنَّمَ ليزدادَ حَسْرَةً وندامةً .

ثُمَّ خَتَمَ المُؤْمِنُ كلامَهُ معَ إخوانهِ قائلاً : هذا النَّعيمُ المُقيمُ والفَضْلُ العظيمُ الذي نحنُ فيهِ في الجَنّةِ ، هو النَّجاحُ الباهِرُ ، والفوزُ العظيمُ الكبيرُ ، وعلىٰ العَامِلينَ في الدُّنيا الحَريصينَ علىٰ الفوزِ والنَّجاحِ أنْ يَعْمَلُوا لهُ لِيَنالُوهُ برحمةِ اللهِ ، لا أنْ يَعملُوا للدُّنيا الفانيةِ ، ولذائذِها الزائلةِ .

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

بعدما عَرضتِ الآياتُ صُورةً عَنْ نعيمِ المُؤْمنينَ ، انتقلَتْ لِلحديثِ عَنِ الصُّورةِ المُقابلَةِ ، وهي عذابُ الكُفّارِ ، وبدأتْ بالاسْتفهامِ التَّقريريِّ : أيُّهُما خيرٌ نُزُلاً وإقامةً وضِيافةً ، نعيمُ الجَنَّةِ أم عذابُ النّارِ ؟ لا شَكَّ في أنَّ نعيمَ الجَنّةِ هُوَ الأفضلُ .

ومن جُملةِ ما يُعذَّبُ به الكفّارُ في النّارِ الأكْلُ مِنْ شَجَرةِ الزَّقُّومِ ، ذاتِ الثَّمرِ المُرِّ الكَريهِ ، وقد جعلَها اللهُ فِتنةً وامْتِحاناً للظّالمينَ الكافِرينَ ، الّذينَ استَبْعَدوا وُجُودَها ، واستغْرَبُوا أنْ تكونَ شجَرةً حَيّةً مُثْمِرَةً في النّارِ ولا تَحترقُ ، ونَسُوا أنّ اللهَ الّذي يَجْعَلُ الكافِرَ في النّارِ لا يحترِقُ لِيُعَذَّبَ ، قادِرٌ علىٰ جَعْلِ شجرةٍ في النارِ لا تَحترقُ .

شجرةُ الزقُّوم تنبُتُ في قَعْرِ جَهَنَّمَ ، وتمتدُّ فروعُها وأغصانُها فيها ، وَهِيَ مُثْمِرَةٌ ثَمَراً مُرّاً قَبيحاً كَريهاً ، كأنَّهُ في القُبْحِ والشَّناعَةِ رُؤوسُ الشَّياطينِ . ورؤوسُ الشَّياطينِ هِيَ النهايةُ في القُبحِ المُنفِّرِ .

والكفارُ سيأكُلُونَ مِنْ ثَمرِها المُرِّ الكريهِ ، فَيَمْلأونَ منه بُطونَهُمْ ، ثُمَّ يُقَدَّمُ لَهُمُ الشَّرابُ ، الذي يكونُ ماءً حَميماً شَديدَ الحرارةِ ، وهو أبشعُ مِنْ طعامِ الزَّقُّوم ، يُقَطِّعُ أمعاءَهُم ويُذيبُ أبدانَهُمْ ، فلا يشبَعونَ مِنَ الزَّقُّوم ، ولا يرْوَوْنَ مِنَ الحميمِ ، وبعدَ وجبةِ الطَّعامِ والشرابِ العَجيبةِ يُعادُونَ إلىٰ الجحيمِ ، مَقرِّ إقامتِهِمُ الدّائمةِ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿هٰذهِ جَهَنَّمُ التي يُكذِّبُ بها المُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بينها وبينَ حَمِيْمٍ آنٍ﴾ [الرحمن : ٤٣-٤٤] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يتحدَّثُ أهلُ الجنّةِ فيما بينَهُم في جَلَساتٍ شائقةٍ ، يتذكَّرون ما كانوا عَلَيْهِ في الدُّنيا ، ويَحْمَدُونَ اللهَ .

٢ـ يُكلِّمُ المُؤمنُ في الجنَّةِ مَنْ يَعرِفُهُ مِنَ المُعَذَّبينَ في النّارِ ، ويُوبِّخُهُ ، ويَزيدُ مِنْ حَسْرَتِهِ ونَدَمِهِ .

٣ـ عدمُ اسْتِجَابَةِ الصَّالِحِ لِدَعَواتِ أَصْحابِهِ لِلمَعَاصي فَضْلٌ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ ، ومَنِ استجابَ لهم يَهْلِكُ .

٤ـ الفوزُ العظيمُ هوَ في دُخُولِ المُؤْمِنِ الجنَّةَ ، وتنعُّمِهِ فيها ، ونيلِهِ رِضْوانَ اللهِ ، وبذلكَ يُحقِّقُ هَدَفَهُ .

٥ـ العَامِلونَ المُوفَّقونَ هُمُ الَّذينَ يَعمَلُونَ لِلْوصولِ إلىٰ الجنّةِ ونعيمِها ، ومَنْ يَعملْ لِلدُّنيا وحْدَها خاسِرٌ .

٦ـ شَجَرةُ الزَّقُّومِ تعيشُ في النارِ ، وتُثْمِرُ طَعاماً كَريهاً لِلْكُفَّارِ ، يأكُلُونَهُ مُكْرَهِينَ .

٧ـ شرابُ الكُفَّارِ في النَّارِ شرابٌ حميمٌ ، يُقطِّعُ الأمعاءَ ، ويُذيبُ الأبدانَ .

٨ـ ساءَ مصيرُ الكُفَّارِ في النارِ طَعاماً وشَراباً ونُزُلاً ومَسْكناً وإقامةً ، وهذا هو الخُسرانُ المُبينُ .

التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ خُلاصةَ قِصَّةِ الرَّجُلِ المُؤمنِ مَعَ قرينِهِ في الدُّنيا ، وما قالَهُ المُؤْمِنُ له وهُوَ في جَهنَّمَ .

٢ـ ما عاقِبَةُ الاستجابةِ لِلدَّعوةِ لِلمعاصي ؟ وما نتيجةُ رَفْضِ تلكَ الدَّعْوَةِ في الآخِرَةِ ؟

٣ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ الفوزَ العظيمَ ، والطريقَ لِلْحُصولِ عليهِ .

٤ـ ما العملُ الذي دَعَتْنا الآياتُ إليهِ ؟

٥ـ بماذا تُفَسِّرُ وجودَ شَجرةٍ في النارِ وهي لا تَحترِقُ ؟

٦ـ استخرِجْ مِنَ الآياتِ طعامَ أهلِ النارِ وشَرابَهُمْ .

٧ـ أينَ يذهَبُ الكُفَّارُ بَعْدَ وجبةِ الطَّعامِ والشَّرابِ ؟

نشاط :

سَجِّلِ الآياتِ التي تحدَّثَتْ عَنْ طَعامِ الكُفَّارِ مِنَ الزَّقُّومِ في سُورةِ الواقعةِ ، والآياتِ التي تحدَّثَتْ عَنْ تعذيبِ الكافرِ العنيدِ بالزَّقُّومِ في سُورةِ الدُّخانِ .

الدَّرسُ الخامِسُ

سورةُ الصَّافّاتِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَلْفَوْا آباءَهم : وَجَدُوا آباءَهُم .

يُهرَعُونَ : يُسرِعُونَ مُهَرْوِلينَ .

عاقبةُ المُنذَرِينَ : نِهايةُ الذينَ أُنذِرُوا .

الكَرْبِ العظيمِ : الغمُّ الشديدِ .

تَرَكْنا عليهِ في الآخِرين : أبقَيْنا له ذِكْراً ، وثناءً حَسَناً في الأُممِ التاليةِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ عذابِ الكُفّارِ في جهنَّمَ ، لِتَتحدَّثَ عَمّا كانَ عليهِ الكُفّارُ في الدُّنيا ، مِن اتِّباعِهم لآبائِهِمْ في الضَّلالِ ، وَتَكْذيبهِم للرُّسُلِ ، وتذكُرُ مثالاً علىٰ ذلكَ قصَّةَ نوحٍ عليه السّلامُ مع قومِهِ .

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠) ﴾ .

لماذا يُعذِّبُ اللهُ الكفارَ في النارِ ؟ لأنَّهم كفرُوا وضلُّوا في الدُّنيا ، وكانوا في اختيارِهِمُ الكُفْرَ والضَّلالَ مُتَّبعينَ لآبائِهِمْ الكافِرينَ ، فَقَدْ وَجَدُوهُمْ ضالِّينَ كافرينَ ، فاقتدَوْا بِهم وقلَّدُوهُمْ مِنْ غيرِ تفكيرٍ ولا تدبُّرٍ ، وأسرعُوا في مُتابعتِهِم واتِّباعِهم إسْراعاً شديداً ، وكأنَّهم يُحَثُّونَ علىٰ ذلك ويُدْفَعُونَ إليهِ دفْعاً ، ولذلكَ كانُوا يرفُضُون الدَّعْوَةَ إلىٰ توحيدِ الله وعبادَتِهِ والتخلِّي عَنِ الشِّرْكِ ، لأنها تتعارضُ مَعَ ما كانَ عليه آباؤُهم ، وهُمْ لا يُخالِفُونَ آباءَهُمْ .

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٧٤) ﴾ .

لم يكُنْ كُفارُ قُريشٍ أوّلَ مَنْ كفرُوا وضلُّوا ، فقد سبقَهُمْ كُفارٌ كثيرونَ مِنَ الأُممِ السَّابقةِ ، كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ومَدْيَنَ ، وأكثرُ الأُممِ السابقة كانوا كافرينَ ضالِّينَ ، والمُؤمنونَ كانوا قلائِلَ . كما قالَ تعالىٰ : ﴿وإنْ تُطِعْ أكثرَ منْ في الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

وقد أقامَ اللهُ عليهِمُ الحُجَّةَ ، وأرسلَ للأقوامِ السابقين رُسُلاً ، دَعَوْهُم إلىٰ الإيمانِ باللهِ ، وحذَّروُهُمْ منَ المُخالَفةِ والكُفْرِ ، وخوَّفُوهُمْ عذابَ اللهِ ، ولكنَّهُم أصرُّوا علىٰ الإعراضِ والكفرِ والتكذيبِ ، فأخذَهُمُ اللهُ وأهلَكَهُم ، وأبقىٰ آثارَهُم آيةً وعبرةً .

ودعا اللهُ رسُولَهُ ﷺ ـ وكلَّ مُؤمِنٍ بَصيرٍ مِنْ بَعْدِهِ ـ إلىٰ أنْ ينظُرَ ويتفكَّرَ في عاقبةِ أولئكَ الأقوامِ السابقينَ المُنْذَرينَ ، والنهايةِ المُؤلِمَةِ الَّتي انتَهَوْا إليْها ، بسببِ كُفْرِهِمْ وتكْذيبِهِمْ .

ولمَّا أوقعَ اللهُ عقابَهُ بالكافرينَ السَّابقينَ وأهلكَهُمْ ، أنجىٰ عبادَهُ المُؤْمنينَ الصَّالحينَ مِنَ العقابِ ، وَهُمُ الرُّسُلُ وأتباعُهُمْ ، وهؤلاءِ آمنُوا وأخلصُوا الدِّينَ للهِ ، وكانوا في طاعتهِمْ مُخْلِصينَ للهِ ، فاستَخْلَصَهُمُ اللهُ وجعلَهُم منْ عبادِهِ لِمُخْلَصينَ المُقرَّبينَ ، فنجَّاهُمُ اللهُ وأهْلَكَ الكافِرينَ .

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ (٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ (٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ (٧٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ (٨٢) ﴾ .

ذُكِرَتْ قصَّةُ نوحٍ هنا من بابِ تقديمِ نموذجٍ للحقائقِ التي قَرَّرَتْها الآياتُ السَّابقةُ ، مثلِ تقليدِ الكُفَّارِ لآبائهم في الباطلِ ، وضَلالِ أكثرِ الناسِ السَّابقينَ ، وإهلاكِ الكافِرينَ السابقينَ ، ونجاةِ المُؤمنينَ الصّالحينَ .

والمَعْرُوضُ هنا هُوَ الحَلقَةُ الأخيرةُ مِنْ قصَّةِ نوحٍ عليه السلامُ مَعَ قومِهِ ، أمَّا تَفَاصيلُ قِصَّتِهِ فقد وَرَدَتْ في سُورٍ أُخرىٰ .

في خاتمةِ المُواجهةِ بينَ نوحٍ عليهِ السَّلامُ وقومِهِ ، وبعدَما أصرُّوا علىٰ الكُفرِ والتكذيبِ ، نادىٰ نوحٌ عليه السَّلامُ ربَّهُ ، ودعاهُ واستغاثَ بهِ ، وطلبَ منهُ أنْ يَفْصِلَ بينَه وبينَ قومِهِ ، وأنْ يَنصُرَهُ عليْهِم . كما قالَ تعالىٰ : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر : ١٠] .

وقد استجابَ اللهُ لنداءِ نوحٍ عليهِ السَّلامُ أحسنَ استجابةٍ ، ونَصرَهُ علىٰ الكافرينَ وأنْجاهُ مِنْهُمْ ، واللهُ نِعمَ المُجيبُ لدُعاءِ رُسلِهِ وأوليائِهِ .

ولمَّا أوقعَ اللهُ بقومِهِ العقابَ أنجىٰ نوحاً عليهِ السَّلامُ وأهلَهُ المُؤمنينَ وأتْباعَهُ الصَّالِحينَ مِنَ الغمِّ والكَرْبِ والضِّيقِ الذي أصابَ الكافرينَ .

ولمّا أهْلَكَ اللهُ الكُفّارَ جَميعاً لم يَبْقَ مِنَ البَشرِ إلا نوحٌ عليهِ السَّلامُ وأتباعُهُ المُؤْمنونَ ، ونوحٌ عليهِ السَّلامُ هُوَ الذي تركَ نَسْلاً وذُرِيَّةً ، فلمّا ماتَ هو وأتباعُهُ المُؤمنونَ لم يبقَ إلا ذريتُهُ ، ومِنْهُم تناسَلَ النّاسُ وتكاثَروا ، ولهذا يُعَدُّ نوحٌ عليه السَّلامُ أبا البشريةِ الثّاني ، بعد آدمَ عليهِ السَّلامُ .

وجَعَلَ اللهُ لنوحٍ عليهِ السَّلامُ ثناءً حَسناً ، وذِكْراً طَيِّباً في الأُممِ اللاحِقَةِ ، وبَقِيَ هذا الثَّناءُ إلىٰ يومِ القيامةِ ، فلا يُذكَرُ نوحٌ عليهِ السَّلامُ إلاَّ مَقْروناً بالثَّناءِ والمَدْحِ .

وجَعَلَ اللهُ له السَّلامَ والأمانَ . كما قالَ تعالىٰ : ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود : ٤٨] .

وأنعمَ اللهُ علىٰ نوحٍ ، عليهِ السَّلامُ ، بتلكَ النِّعَمِ لإيمانِهِ وإخلاصِهِ وإحسانِهِ ، وجازاهُ اللهُ بالإحسانِ إحْساناً . وهكذا يَفْعَلُ بعبادِهِ المُحْسِنينَ الآخَرينَ ، لأنَّه قرَّرَ أنَّ جزاءَ الإحْسانِ هو الإحْسانُ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن : ٦٠] .

أمَّا قومُه الكافِرُونَ فقدْ أغرقَهُمْ اللهُ بالطُّوفانِ ، الَّذي عَمَّ العالَمَ ، وغَطَّىٰ كلَّ شيءٍ ، فلم يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَداً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ مُقَلِّدُون لآبائِهِمْ في الباطلِ ، مُتَّبِعُونَ لَهُمْ في الضَّلالِ ، ولذلكَ أعرَضُوا عَنِ الحقِّ .

٢ـ أرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ للناسِ مُنْذِرينَ ، ليُقيمَ عَليْهِمُ الحُجَّةَ ، وما مِنْ أُمَّةٍ إلا بَعَثَ اللهُ لها نذيراً .

٣ـ مِنْ سُنَنِ اللهِ التي لا تتغيَّرُ هلاكُ الكَافِرينَ ، ونَجاةُ المُؤمنينَ .

٤ـ نوحٌ عليهِ السَّلامُ هو أبو البَشَرِيَّةِ الثاني ، لأنَّ الناسَ كلَّهُم بعدَ الطُّوفانِ مِنْ ذُرِيَّتِهِ .

٥ـ يَستجيبُ اللهُ دُعاءَ مَنْ دَعاهُ ، ويُنَجّي الصَّالحين مِنَ الغَمِّ والشِّدَّةِ ، ويُكافِئ بالإِحْسانِ إحْساناً .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلة الآتية :

١ـ اذكُرْ نظرةَ الكُفَّارِ لِمَا عليه آباؤُهمُ ، وما وَجْهُ الخَطَأ فيها ؟

٢ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ أربعةَ مظاهرَ لِسُنَّةِ اللهِ في المُواجَهَةِ بينَ الرُّسُلِ وأقوامِهِمُ الكافِرينَ .

٣ـ لماذا يُعَدُّ نوحٌ عليه السَّلامُ أباً ثانياً للبَشَريَّةِ ؟

٤ـ استخرجْ أربعةَ دُروسٍ مِنْ آياتِ قصَّةِ نوحٍ ، عليهِ السَّلامُ ، في الدَّرسِ .

نشاط :

١ـ سجِّلِ الآيةَ (١٧٠) مِنْ سورةِ البقرةِ ، واستخرجْ منها اتِّباعَ الكفارِ لآبائِهمْ .

٢ـ اذكُرْ سبع سُوَرٍ تحدَّثَتْ عن قصَّةِ نوحٍ عليه السَّلامُ بالتفصيلِ ، واكتُبْها في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سورَةُ الصَّافَّات ـ القِسْمُ السَّادِسُ

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

- مِنْ شيعتِهِ : مِنْ أَنصارِهِ وأَهلِ دينهِ .
- قلبٍ سليمٍ : قلبٍ خالصٍ للهِ ، سَالمٍ مِنَ الشَّكِّ والشِّرْكِ .
- إِفْكاً : الإفكُ هو أَسْوأُ أنواعِ الكَذِبِ .
- سَقيمٌ : مَريضٌ عليلٌ .
- تَوَلَّوا عنه مُدْبرين : أَعْرَضُوا عَنْهُ رَاجعينَ .
- راغَ إلىٰ آلهتِهم : مالَ إليها ، وذهبَ إليها في خِفْيَةٍ .
- ضَرباً باليَمينِ : ضَرَبَ الأَصْنامَ بقُوَّةٍ وشِدَّةٍ .
- يَزِفُّونَ : يُسْرِعُونَ في المَشْيِ .
- ما تَنْحِتُون : ماتَصنَعُونَهُ بأيديكم مِنَ التَّماثيلِ .
- في الجَحِيم : في النَّارِ المُشْتَعِلَةِ .
- كَيْداً : مَكْراً وسُوءاً .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عن قصّةِ نوحٍ عليهِ السّلامْ مع قومهِ ، لتتحدَّثَ عن قصَّةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ مَعَ قومهِ .

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

إبراهيمُ أبو الأنبياءِ عليهِ السّلامْ مِنْ شيعةِ نوحٍ عليهِ السّلامْ وأنصارِه وأهلِ دينِهِ ، مَعَ وجودِ فَتْرَةٍ زَمَنيةٍ طَوِيلَةٍ بينهما . وبينَهما عَدَدٌ مِنَ الأنبياءِ ، مِنْهُمْ هودٌ وصالحٌ عليهما السَّلامُ ، وَهُوَ مِنْ شِيعتهِ لأنّه اقتدَىٰ بهِ في الدّعوةِ إلىٰ اللهِ ، ولاتّفاقِ رسالتَيْهِما في الأُصُولِ والأُسُسِ ، في العقيدةِ والدَّعْوةِ والخَلْقِ ، مَعَ اختلافِ الرِّسالتينِ في الأمورِ الفرعيّةِ .

وإبراهيمُ عليهِ السّلامُ مِثْلُ نوحٍ عليه السَّلامُ في إقبالهِ علىٰ اللهِ ، وإخلاصِهِ لهُ ، وتوجيهِ قلبهِ إليهِ ، وقد كانَ قلبُهُ خالِصاً للإيمانِ ، خالياً مِنْ شوائبِ الشّركِ والشّكِّ والرِّياءِ والشَّهْوَةِ ، سليماً نقيّاً مِنَ الآفاتِ والعلائقِ الدنيويّةِ التي تُبعِدُهُ عَنِ اللهِ .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

مِنْ مظاهرِ القلبِ السَّليمِ لإبراهيمَ ، عليهِ السَّلامُ ، أنّهُ أنكرَ علىٰ قومِهِ عبادةَ غيرِ اللهِ ، فَقَدْ كانَ أبوهُ وقومُهُ مُشركينَ باللهِ ، وهوَ كان نبيّاً رَسُولاً عليهِ الصّلاةُ والسَّلامُ ، وقد نَصَحَهُم بالتخلّي عَنْ عبادةِ غَيرِ اللهِ ، وسَألَهُم باسْتنكارٍ : ما الذي تعبُدونَهُ من دونِ اللهِ مِنَ الأصنام ؟ أتُريدونَ آلِهَةً مِنْ دونِ اللهِ ، تعبُدُونها مِنْ دونِ اللهِ ، تعبُدُونَها إفْكاً وَكَذِباً ؟ وكيفَ جَعَلْتُموها آلِهَةً وأنتُمُ الّذينَ صَنعتُمُوها بأيْدِيكُم ؟ فماذا تفعلُونَ يومَ القيامةِ عندما تُلاقُونَ اللهَ ربَّ العالمينَ ، وتَقِفُونَ بين يَدَيْهِ للحسابِ ، وماذا تَظُنُّونَ أنَّهُ فاعِلٌ بكُم غَيْرَ العذابِ ؟ لأنّهُ هُو وَحدَهُ المُستحِقُّ للعبادةِ ، وأنتُم عَدَلْتُمْ عَنْهُ ، وَعَبَدْتُم الأصنامَ .

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

رفضَ القومُ دعوةَ إبراهيمَ ، عليه السّلامُ ، وأصرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ، وكان قومُهُ يَعْبُدونَ النُّجومَ ، ونظرَ إبراهيمُ ، عليهِ السَّلامْ ، نَظْرَةً في النُّجوم ، ليعرف الزَّمنَ الذي هُوَ فيهِ ، والمناسَبَةَ التي ستَمُرُّ بقومِهِ ، فَعَرفَ أنَّ قومَهُ مُقْدِمونَ علىٰ عيدٍ لهم يَحتَفِلُون ، ويُمارِسُون فيهِ اللَّهو والعَبَثَ والفسادَ ، فَحزِنَ وتألَّمَ ، وأُصيبَ بالغَمِّ والهَمِّ ، لِمَا سَيُقْدِمُ عليه قومُهُ مِنْ كُفْرٍ وفُجُورٍ .

ولمَّا حانَ مَوعدُ عيدِهم وفَرَحِهم دَعَوْا إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ ليكونَ مَعَهُم ويُشارِكَهُم لَهْوَهُمْ ، فاعتذرَ عَنِ المُشاركةِ ، وأخبرَهم أنَّهُ مريضٌ عليلٌ ، فتَركوهَ وحدَهُ ، وذهبُوا إلىٰ مكانِ اللَّهْوِ واللَّعِبِ ، وأعْرَضُوا عَنْهُ ، ولم يَهْتَمّوا به .

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾

لمَّا رأىٰ إبراهيمُ عليه السَّلامُ نفسَهُ وحيداً في المَكانِ ، وَجَدَ أنَّ الفُرْصةَ قد حانَتْ لتنفيذِ ما فكَّرَ فيهِ ضِدَّ الأصنام ، وكان قد سَبَقَ له إنذارُ قومهِ بأنَّهُ يَنوي فِعْلَ شيءٍ ضِدَّها ، وذلك في قولهِ تعالىٰ : ﴿وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أصنامَكُمْ بعدَ أنْ تُولُّوا مُدْبِرِيْنَ﴾ [الأنبياء : ٥٧] .

مالَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ إلىٰ أصنامِهم في خِفْيَةٍ وسُرْعَةٍ ، ووجدَ عندَهم طَعَاماً ، يبدُو أنَّ القومَ وَضَعوهُ لِتُباركَهُ الأصنامُ ، فسَخِرَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ منها ، وقالَ لها مُتَهَكِّماً : ألا تأكلونَ مِنْ هذا الطَّعامِ الذيْ أمامَكُم ؟ ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ ولا تَرُدُّونَ جواباً ؟! ما الذي أسكَتَكُم ؟ وهذا مبالغةٌ في التَّهكُّمِ والسُّخريةِ .

ثُمَّ مالَ عليهِم بيدِهِ اليُمنىٰ القويّةِ ضَرْباً وتَحْطيماً وتكسيراً ، فكسَّرَهُم بقوَّةٍ وشِدَّةٍ ، وَجَعَلَهُم قِطَعاً صغيرةً مُحطَّمةً مُفَتَّتَةً ، وأبقىٰ الصَّنمَ الأكبرَ من دونِ تحطيمٍ لإقامةِ الحُجَّةِ علىٰ قومِهِ .

﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

لمَّا انتهىٰ إبراهيمُ عليه السَّلامُ مِنْ تحطيمِ الأصْنام عادَ القومُ من لَهْوِهِمْ ، فوجدُوها مُحَطَّمَةً ، وعرفُوا أنَّ إبراهيم عليهِ السَّلامُ هو الَّذي حطَّمَها ، فأقبلُوا إليهِ مُسْرِعينَ مُهَرْوِلينَ ، ولامُوهُ علىٰ ما فَعَلَ ، ولكنَّهُ أنكرَ عَلَيْهِمْ ، وقالَ لَهُمْ : كَيْفَ تعبدُونَ تماثيلَ وأصناماً أنتُم نَحتُّمُوها وصنَعْتُمُوها ؟ فكيفَ تَجْعلُونَها آلِهَةً ؟ وأينَ ذهبَتْ عقولُكُم ؟

إنه لا إلهَ إلا اللهُ ، ولا تجوزُ العبادةُ إلا لَهُ ، وهو الخالِقُ لِكُلِّ شيءٍ ، خَلَقَكُم أنتُم ، وخَلَقَ الأصنامَ التي عَمِلتُمُوها وَصَنَعْتُمُوها .

أقامَ عليهِمُ الحُجَّةَ ، ولكنّهم رفضُوا دَعْوَتَهُ ، وأصرُّوا علىٰ كُفْرِهِمْ ، وحَكَموا عليهِ بالإحراقِ بالنّارِ ، لأنَّه حطَّمَ الأصنامَ ، وقالُوا : ابْنُوا لَهُ بُنْياناً كَبيراً ، واجمَعُوا فيه حَطَباً ، وأشْعِلُوا فيهِ ناراً شديدةً ، ثم ألقُوهُ فيها لتَتَخلَّصُوا مِنْهُ .

تآمَرُوا عليهِ ، وأرادُوا به السُّوءَ والكَيْدَ والأذىٰ ، وألْقَوْهُ في النّارِ ، ولكنَّ اللهَ أنجاهُ مِنْ كَيْدِهِمْ ، وأمَرَ النّارَ أنْ تكونَ بَرْداً وَسَلاماً عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ منها سالِماً بأمْرِ اللهِ ، وبذلكَ انتصرَ علىٰ قومِهِ بإذنِ ربِّهِ ، وكانُوا هُمُ الأسْفَلِينَ الأخْسَرينَ المَهزُومينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الأنبياءُ علىٰ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ، مُتَّفِقُون في أُصولِ الرِّسالاتِ . ولهذا كان إبراهيمُ مِنْ شِيعَةِ نوحٍ عَيْهِما السَّلامُ .

٢ـ أساسُ فَلاحِ المُؤمنِ تمتُّعُهُ بقلبٍ صحيحٍ سليمٍ مِنَ الأمراضِ والشُّبهاتِ والشَّهواتِ .

٣ـ المؤمنُ يَحزَنُ ويتألَّمُ لِمُمارَساتِ قومِهِ السَّيئةِ ومَعاصيهِمْ ، كما أُصيبَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ بالغَمِّ .

٤ـ كان تحطيمُ إبراهيمَ للأصنامِ لإقامةِ الحُجَّةِ علىٰ قومِهِ ، لعلَهم يُؤْمِنونَ بعدَ إزالةِ المانعِ مِنْ ذلك .

٥ـ علىٰ المُؤْمِنِ أنْ يتمتَّعَ بالهدوءِ والاطْمِئْنانِ وراحةِ الأعصابِ عندَما يُقبلُ علىٰ عَمَلٍ خطيرٍ ، كما فَعَلَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ .

٦ـ وجوبُ استخدامِ أرفعِ أساليبِ الدَّعوةِ لإقامةِ الحُجَّةِ ، كما فعَلَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ ذلكَ مَعَ قومِهِ .

٧ـ عندما يَنهزِمُ الكُفَّارُ في ميدانِ الحُجَّةِ ، يَلْجَأُونَ إلىٰ سلاحِ الإيذاءِ والتَّعذيبِ .

٨ـ يَنْصُرُ اللهُ رُسُلَهُ وأولياءَهُ علىٰ أعدائِهِم ويَحميهِمْ مِنْ كَيْدِهِمْ ، كما حَصَلَ مَعَ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كيفَ كانَ إبراهيمُ مِنْ شيعةِ نوحٍ عليهمُ السلامُ ، معَ أنَّ بينَهما فترةً زمنيةً طويلةً ؟

٢ـ بماذا تُفسِّرُ نظرةَ إبراهيمَ عليهِ السّلامُ في النُّجوم ، وقولَه : إني سقيمٌ ؟ وماذا كان سَقَمُهُ ؟

٣ـ لماذا خاطبَ إبراهيمُ عليه السَّلامُ الأصنامَ ، معَ عِلْمِهِ أنَّها لا تَسْمَعُ ولا تُجيبُهُ ؟

٤ـ ما معنىٰ كلٍّ مِمّا يأتي : راغَ إلىٰ آلهتِهم ، راغَ عليهم ضَرْباً باليمينِ ، يَزِفُّونَ ، خلقَكم وما تَعْمَلُونَ .

٥ـ بماذا عاقبَ الكُفَّارُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ ؟ وكيفَ نصرَهُ اللهُ وأنقذَهُ مِنْهُمْ ؟

٦ـ كيف جَعَلَ اللهُ الكُفَّارَ الأسْفَلِينَ ؟

نشاط :

١ـ اذكرِ الحديث عن رسولِ اللهِ ﷺ في كلامِهِ عن إبراهيمَ عليه السَّلامُ ، وقولِه : ﴿إني سقيم﴾ . واذكر معناه بما يتَّفِقُ مع التَّوجيهِ المذكورِ في الآيات ، واكتُبْهُ في دفترِكَ .

٢ـ اقرأْ قصَّةَ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ في سُورَةِ الأنبياءِ ، ولخِّصْ منها حادثةَ تحطيمِهِ الأصنامَ ومُحاكَمَتِهِ ، وإقامَتِهِ الحُجَّةَ علىٰ قومِهِ ، وسَجِّلْ ثلاثَ إضافاتٍ فيها علىٰ هذه الآياتِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورَةُ الصَّافَّاتِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **ذاهبٌ إلىٰ ربِّي** : مُهاجِرٌ حيثُ أمرَني ربِّي .
- **غلامٍ حليمٍ** : غلامٍ واسعِ الصَّدرِ ، صاحبِ أناةٍ .
- **بَلَغَ معهُ السَّعْيَ** : كَبِرَ وصارَ يَمشي مع والدِه لقضاءِ حوائجِه .
- **ماذا ترىٰ** : بماذا تُفكِّرُ وتُشيرُ عليَّ .
- **أَسْلَما** : اسْتَسْلَما ، وانْقَادا لأمْرِ اللهِ .
- **تلَّهُ للجَبينِ** : أضْجعَهُ علىٰ جَنْبه ليَذْبَحَهُ .
- **صدَّقْتَ الرُّؤيا** : حقَّقْتَ وطبَّقْتَ ما طُلِبَ منكَ في الرُّؤيا .
- **البلاءُ المُبينُ** : الاخْتيَارُ البيِّنُ الواضِحُ .
- **ذِبْحٍ عظيمٍ** : كَبْشٍ سَمينٍ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ مُواجَهة إبراهيمَ عَليْهِ السَّلامُ لقومِهِ ، لِتَتحدَّثَ عمّا جرىٰ لإبراهيمَ عليهِ السَّلامُ ، بعدَ ذلكَ ، فقد غادرَ قومَهُ إلىٰ الأرضِ المُقدَّسةِ ، ثم ذهب بابنِهِ إسماعيلَ إلىٰ الحجازِ ، ولما كَبرَ ابنُه أمرَهُ اللهُ أنْ يَذْبَحَهْ ، ثم فداهُ بذِبحٍ عظيمٍ .

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

بعدما نجّىٰ اللهُ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ مِنَ النّارِ ، أمَرَهْ بمُغادَرَةِ قَوْمِهِ ، والتوجُّهِ إلىٰ الأرضِ المُقدَّسةِ ـ فِلَسْطينَ ـ فهاجَرَ إليها مُعْتَمِداً علىٰ اللهِ ، راجياً مِنْهُ الهدايةَ إلىٰ ما فيهِ صلاحُهُ في دينِهِ ودُنياهُ .

وأقامَ في الأرضِ المْقدَّسةِ داعياً إلىٰ اللهِ ، ولما تقدَّمَ بهِ العُمْرُ طلبَ مِنَ اللهِ أنْ يَهبَهُ أولاداً صالِحينَ ، لِيُعينُوه علىٰ الدَّعْوةِ .

واستجابَ اللهُ لِدعائِه ، وبشَّرَهْ بغلامٍ صالحٍ ، وأخبرَهْ أنَّه سيكونُ حَليماً واسعَ الصَّدْرِ ، صاحبَ أَناةٍ ، ورضا واستسلامٍ للهِ . وهو إسماعيلُ عَليْهِ السَّلامُ أوَّلُ مولودٍ له .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

كانَ إسماعيلُ مع أُمِّهِ هاجَرَ في بلادِ الحجازِ حيثُ الكعبةُ المُشرَّفةُ ، وكانَ إبراهيمُ في الأرضِ المقدَّسةِ فِلَسطينَ ، وكان يزورُ ابنَه بين الحينِ والآخرِ ، وكَبرَ إسماعيلُ عليهِ السَّلامُ ، وصارَ شابّاً قادِراً علىٰ السَّعْيِ مَعَ أبيهِ ، يُعينهُ في أعمالِهِ ، ويَسعىٰ مَعَهُ في حاجاتِهِ .

وفي إحدىٰ زياراتِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ لابنِه إسماعيلَ ، أراهُ اللهُ في المَنامِ رُؤْيا ، وأمرَهُ في الرُّؤيا أنْ يَذبحَ ابنَه ، وإبراهيمُ يعلمُ أنَّها رُؤيا صادقةٌ ، لأنَّ رؤيا الأنبياءِ حَقٌّ ، وإسماعيلُ هو ابنُه الوحيدُ وهو مَحطُّ آمالِهِ ، ولكن لا بدَّ مِنْ تنفيذِ أمرِ اللهِ .

أخْبَرَ إبراهيمُ ابنَه بالرُّؤيا ، وقالَ له : إني رأيتُ في المَنامِ أنّي أذْبَحُكَ ، والآمِرُ لي هُوَ اللهُ ، فانظُرْ في الأمرِ ، وفَكِّرْ فيهِ ، وأخْبرني برأيكَ .

وقد عرضَ الأمرَ عليهِ مَعَ أنَّ الأمرَ مُلْزِمٌ لهُما ، لِيُهَيِّئَهْ لِقَبُولِ الأمْرِ ، ويُشارِكَهُ لَذَّةَ الاسْتِسْلامِ لأمْرِ اللهِ ، ولم يَكُنْ مُخيَّراً لَهُ ، لأنَّهُ لاخيارَ في الأمرِ طالما أمَرَ اللهُ بهِ .

وقال الابنُ لأبيهِ : يا أبَتِ افعَلْ ما أمركَ اللهُ بهِ ، ونَفِّذْهُ ، قُمْ بذَبْحي ، وإنْ شاءَ اللهُ ستجِدُني

صابراً علىٰ ذلك ، راضياً بتنفيذِ أمرِ اللهِ ، مُسْتَسلِماً لأمْرِهِ وإرادتِه .

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

بعدما اسْتَسْلَمَ إبراهيمُ وإسْماعيلُ لأمْرِ اللهِ ، شَرعَ إبراهيمْ بتنفيذِ أمرِ اللهِ ، وسَحَبَ ابنَهُ ، وأَضْجَعَهُ علىٰ جَنبِهِ ، وَوَضَعَ جبينَهُ علىٰ الأرضِ ، وتناولَ السكِّينَ ليَذْبَحَهُ ، وبذلكَ اسْتَسْلَمَ الأبُ والابنُ لِقَضاءِ اللهِ ، وأخْلَصا نَفْسَيْهِما للهِ ، وفوَّضا أمْرَهُما إليه ، وَصَبَرا واحتسَبا وصَدَّقا .

وعَلِمَ اللهُ ذلك مِنْهُما ، فنادىٰ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ طالباً مِنْهُ التوقُّفَ عَنْ ذَبْحِ ابنِه ، فَقَدْ حَصَلَ المَقْصودُ ، وتحقَّقَتِ الحِكْمَةُ ، وقالَ له : يا إبراهيمُ قد صدَّقْتَ رؤياكَ ، بالعزمِ علىٰ تنفيذِها ، ويَكفي هذا مِنْكَ ، ونجحْتَ في البَلاءِ المُبينِ ، والامتحانِ الواضحِ ، وأخلَصْتَ وخَضَعْتَ واستَسْلَمْتَ أنتَ وابنُكَ ، وبذلكَ كنتُما مِنَ المُحْسِنينَ ، ونحنُ نَجزي المُحسِنينَ بالفَرَجِ والثَّوابِ ، ولِذَلك فرَّجْنا عنكُمَا الغَمَّ ، وأوْقَفْنا عَنْ إسماعيلَ الذَّبْحَ .

﴿ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ .

لمَّا نجحَ إبراهيمُ وإسماعيلُ عليهِما السلامُ في الامْتِحانِ ، وأمرَ اللهُ بالتوقُّفِ عَنِ الذَّبحِ فدىٰ اللهُ إسماعيلَ بكبشٍ عظيمٍ كبيرٍ ضَخْمٍ ، وأمرَ إبراهيمَ أنْ يَذبحَهُ بدلاً عن ابنِهِ .

وأبقىٰ اللهُ علىٰ إبراهيمَ عليه السَّلامُ الثَّناءَ الحَسَنَ والذِّكْرَ الجميلَ ، واستمرَّ هذا حتىٰ قيامِ السَّاعةِ ، فلا يُذْكَرُ إبراهيمُ عَليْهِ السَّلامُ إلاَّ وتنطلقُ الأَلْسِنَةُ بالثَّناءِ والمَدْحِ والسَّلام عليهِ .

جازَىٰ اللهُ إبراهيمَ عَليْهِ السَّلامُ حُسْنَ الجزاءِ ، لأنه مُحسِنٌ مُخْلِصٌ ، واللهُ يَجزي المُحْسِنينَ الحُسْنىٰ ، وهُوَ من عبادِ اللهِ المُؤمنينَ الصَّادقينَ ، الحَريصينَ علىٰ أحسنِ الأعمالِ ، وأصدقِ الطَّاعاتِ .

﴿ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾

بَعْدَما انتهَتْ أحداثُ فداءِ إسماعيلَ عليه السَّلامُ ، وتشريع سُنَّةِ الأُضْحِيَةِ ، عادَ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ إلىٰ الأرضِ المُقدَّسةِ فِلَسطينَ ، وقد تقدَّمَ به العُمْرُ ، فبشَّرَه اللهُ بابنِهِ الثاني إسحاقَ عليهِ السَّلامُ ، وأنه سيكونُ نبيّاً صالحاً ، وَسَيعيشُ لِيتَزوَّجَ ، ويُنجبَ ابنَهُ يعقوبَ النبيَّ عليه السَّلامُ ، وسيرىٰ إبراهيمُ حفيدَهُ يعقوبَ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

وبارَكَ اللهُ علىٰ إبراهيمَ وابنِه إسحٰقَ عليهِما السَّلامُ ، وأفاضَ عليهِما مِنْ خيرِ الدِّينِ والدُّنْيا ،

وكثَّر نسْلهما وذرِّيَّتهما ، لكنْ ذُرِّيَّتهما ليسا على مُستوى واحد ، فمنهُم مَنْ هُوَ مُحْسِنٌ مُؤمنٌ صالِحٌ تقيٌّ ، ومنهُم مَنْ هُوَ عاصٍ مُذنبٌ ، ومنهُم منْ هُو كافرٌ ظالِمٌ مُجْرِمٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرةٍ منها :

١ـ آثَرَ إبراهيمُ دينَ اللهِ والدّعوة إليه على أهله ووطنه . ولعلَّه أوّلُ منْ هاجرَ إلىٰ اللهِ .

٢ـ كانَ إسماعيلُ عليهِ السّلامُ حَليما واسع الصّدْر ، وهذا أهّلَهُ للاستسْلام لأمرِ اللهِ .

٣ـ لمَّا استسلمَ إبراهيمُ وإسماعيلُ لأمر الله فدىٰ اللهُ إسماعيلَ بالذّبْح العظيم ، ليحقّق المَقْصود مِنَ الأمْرِ .

٤ـ للهِ أنْ يبتلي عباده ويمتحنهمْ بما يشاء ، وعَليْهِمْ أن يُنفّذوا أمرَهُ ، ولو كانَ شاقاً ، مُخالِفاً لهواهُمْ .

٥ـ كانَ إبراهيمُ عليه السّلامُ خليل الرّحمن ، يُقدّم أمر الله علىٰ محبوباتِ نَفْسِهِ ، ولذلكَ جَعلهُ الأُسْوة والقُدْوة لِمنْ بعْدهُ .

٦ـ عندما يَصْدُقُ المُؤمنُ مع اللهِ يجزيه اللهُ حُسْنَ الجزاءِ ، ويُبقي له الذِّكْرَ الطيِّب من بعدِهِ ، كما فعلَ مع إبراهيمَ عليه السّلامُ

٧ـ علىٰ المُؤمن أنْ يكونَ مُحسناً في عبادتهِ للهِ وطاعته لهُ ، ليصلَ إلىٰ أرفَعِ المَقاماتِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلة الآتية :

١ـ إلىٰ أينَ كانتْ هِجْرةُ إبراهيم لمّا غدر قوْمُهُ ؟ وماذا تَأْخُذُ دلالَةً مِنْ ذلكَ ؟

٢ـ ما حِكْمَةُ وَصْف إسماعيل عليه السّلامُ بأنّه غلامٌ حليمٌ ؟

٣ـ ما معنىٰ سُؤال إبراهيم لابنه ﴿فانظُرْ ماذا ترىٰ﴾ ؟ وبماذا أجابَه ابنُهُ ؟

٤ـ متىٰ فدىٰ اللهُ إسماعيلَ بالذّبح ؟ وماذا تأخذُ دلالةَ على ذلك ؟

٥ـ ما معنىٰ قولِ اللهِ لإبراهيمَ عليه السّلامُ : ﴿قد صَدَّقْت الرؤيَا﴾ ؟ وما معنى قولِهِ : ﴿إنَّ هذا لَهُو البَلاءُ المُبينْ﴾ ؟

٦ـ متى كانت البشارةُ بإسحاق ؟ وما مُلابساتُ تلك البشرة ؟

٧ـ ذُريّةُ إبراهيمَ وإسحاق نوعانِ ، اذكُرْهُما ، وماذا تأخذُ دلالةً مِنْ ذلكَ ؟ وكيفَ تردُّ بذلك على مَزاعِمِ اليهودِ حولَ الانْتِسابِ لإبراهيمَ عليه السَّلامُ ؟

٨ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ الأدلَّةَ على أنَّ الذَّبيحَ هو إسماعيلُ ، وليسَ إسْحاقَ علَيْهِما السَّلامُ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ أسماءَ أولادِ إبراهيمَ المَذْكُورين في القرآنِ ، واسمَ أُمِّ كلِّ واحدٍ مِنهُم .

٢ـ يُحَيِّي المسلمون إبراهيمَ ، عَلَيْه السَّلامُ ، بالسَّلام والصَّلاةِ عليهِ داخلَ صلاتِهِمْ ، اذكُرِ العبارةَ التي يَقولُونَها ، ومتى يَنْطِقُونَها في الصَّلاةِ ، واكتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

٣ـ اذكُرِ الحالَ الذي بشَّرَ اللهُ بهِ إبراهيمَ بإسحقَ ، وما دَوْرُ الملائكةِ وزوجهِ سارةَ بذلكَ ؟ ومتى كانتِ البِشارةُ ؟ واكتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

سورَةُ الصَّافَّاتِ - القِسْمُ الثَّامِنُ

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

مَنَنَّا عُلى مُوسىَ وهَارُون : أَنْعَمْنا على مُوسَىٰ وهَارونَ بالنُّبُوةِ .

الكَرْبِ : الشدَّةِ والضِّيق .

الكتابَ المُستَبينَ : الكِتابَ الواضحَ .

تَرَكْنا عليهما : أَبقَيْنا عَلَيْهما الثَّناءَ الحَسَنَ .

بَعْلاً : صَنَماً اسمُهُ « بعلٌ » كان يَعبُدهُ الكافرونَ .

إلْ ياسينَ : نبيُّ اللهِ إلياسُ عليهِ السَّلامُ .

التفسيرُ :

بعد الحديثِ عن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ عَليهِمُ السَّلامُ تتحدَّثُ الآياتُ عن مجموعةٍ مِنْ أنبياءِ بني إسرائيلَ .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

مَنَّ اللهُ تعالى على موسى وهارون عَليْهِما السَّلامُ بأعظم مِنَّةٍ ، وهي النُبوّةُ ، إضافةً إلى ما أنعمَ عليهما مِنَ النِّعَمِ الدينيةِ والدنيويَّةِ ، وهما نبيّانِ أخَوانِ ، أمرهُما اللهُ بالذَّهابِ إلى فِرعَوْنَ لإنقاذِ بني إسرائيلَ ، وتخليصِهم مِنَ العذابِ ، ووقعَتْ أحداثٌ كثيرةٌ بَيْنَهما وبين فِرْعونَ ومِلَّتِهِ ، أشارَتْ إليها سُوَرٌ مِنَ القُرآنِ .

ونجّى اللهُ موسى وهارونَ عَلَيْهما السَّلامُ وقومَهُما مِنْ بني إسرائيلَ ، وخلَّصهُمْ مِنَ الكَرْبِ و لضّيقِ والشّدةِ ، وألوانِ العذابِ الشّديدِ الذي كانَ يَصُبُّه عليْهِم آلُ فِرْعونَ .

ونَصَرَهم اللهُ على أعدائهمْ الكافِرينَ ، حيثُ أغرقَ فِرْعونَ وجُنودَهُ ، وخَرجَ بنو إسرائيلَ سالِمينَ ، وغَلبُوا الأعداءَ ، ومكَّنَ اللهُ لَهُم في الأرضِ ، وجَعل تِلكَ الأحداثَ عِبْرَةً وعِظةً للعالَمينَ .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ .

تُتابعُ الآياتُ الحديثَ عن نِعَمِ اللهِ على موسى وهارونَ عليهما السَّلامُ ، فَبعْدَما أَغرقَ اللهُ فِرعونَ وجنودَه ، وأَنْجاهُما وقَوْمَهُما المُؤْمنينَ آتاهُما كِتابهُ المْنير الواضِح ، وهُو التوراةُ التي أنزَلَها على موسى عليه السّلامُ .

والتوراةُ كتابُ هِدايةِ هدى اللهُ بهِ موسى وهارونَ علَيْهما السَّلامُ وقومَهُما إلى الصّراطِ المُستقيمِ ، والطريقِ الواضحِ المْنيرِ ، الذي يُحبُّه اللهُ ويرضى عَنْ سالِكيهِ .

وبعدَ وفاةِ موسى وهارونَ عَليْهما السَّلامُ أبقى اللهُ لهُما الذِّكْرَ الحَسَنَ والثَّناءَ الجميلَ في الذينَ جاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنَ الأُمَمِ ، حيثُ كان المُؤْمِنون مِنْ بعدِهِما يُحِبُّونهُما وَيَقْتَدُونَ بِهما ويقولُون : الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ اللهِ عَلَيْهِما .

وأكرمَ اللهُ موسى وهارونَ عليهما السَّلامُ هذا الإكرامَ ، ومَنَّ عَليْهما بهذهِ المِنَّةِ لأنّهما مُؤْمنانِ مُحْسِنانِ ، ولذلكَ جَزاهُما اللهُ أحسنَ الجزاءِ ، وهكذا يجزي اللهُ المُؤْمِنينَ المُحْسِنينَ ، مِنَ الأنبياءِ و لمُرْسَلينَ ، وسائِرِ عبادِهِ الصَّالِحينَ ، واللهُ مُتفضِّلٌ ، يَجزي المُحْسِنَ بإحْسانه ، لأنّ جزاءَ الإحْسانِ عنده هو الإحسانُ ، تفضُّلا وكَرَماً .

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

تُشيرُ الآياتُ إلى قصَّةِ إلياس عليهِ السَّلامُ مَعَ قومِهِ ، وكان إلياسُ عليه السَّلامُ من أنبياءِ بني إسرائيلَ المُتأخِّرينَ ، وكانوا في عَهْدِهِ يَعبُدون الأصنامَ ويُشرِكُون باللهِ ، فبَعثهُ اللهُ إليْهم رسولاً ، ودَعاهُم إلى الإيمانِ باللهِ وَحْدَه ، وعبادتِهِ وتقواهُ .

وأنكرَ عَليْهم عبادة صَنَمِهمُ الذي كانُوا يسمُّونَهُ « بعْلا » الذي عَبدوُه منْ دونِ اللهِ ربِّ العالَمين ، فقالَ لَهُمْ : كيف تَدْعُونَ وتعبُدُون الصَّنم « بَعْلاً » الذي صَنَعْتمُوهْ بأيديكُمْ ؟ وأنتُم تعلمُون أنّه جمادٌ لا ينفعُ ولا يضرُّ ، وتَترُكُونَ عبادةَ اللهِ ربِّ العالمين الخالقِ الرازقِ ودُعاءَهُ ، وهو الذي خَلقَكُم ، وهو وحدَهُ ربُّكُم ، وربُّ آبائِكُمُ السّابقين ، لا شريكَ لَهْ ، فعَليْكُمْ أنْ تَعبُدُوهُ وحدهُ ، ولا تُشركُوا بهِ أحَداً .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ .

كذَّبَ القومُ إلياسَ عليهِ السلامُ ، ورفَضوا دَعْوَتَهُ ، وأصرُّوا على كُفْرِهِمْ وعبادتِهِمْ للصَّنَمِ « بَعْلٍ » وبذلك حقَّتْ عليهِمْ كلمةُ اللهِ ، وأوقَعَ بهِمْ عقابَهُ في الدُّنيا ، وسوف يُحْضرونَ ويُساقُونَ إلى نارِ جَهنَّمَ يومَ القيامةِ .

ولا ينجُو مِنْ عذابِ يوم القيامة إلاّ عبادُ اللهِ الصالحون المُؤْمنونَ المُخْلَصونَ ، الّذيْن أحْسنُوا عبادةَ اللهِ والإخلاصَ له ، فاستْخلَصهُم وجعلَهُمْ مِنَ المُخْلَصين الفائزينَ .

وأبقى اللهُ على إلياسَ عليهِ السَّلامُ الثَّناء الجميل والذِّكْرَ الحَسنَ ، وصارَ المُؤْمنونَ مِنْ بعدِه يَقتدُونَ بهِ ، ويقولون : سلامٌ وصلاةٌ مِن الله على نَبِّيهِ إلياس . وكما جزاهُ اللهُ حُسْنَ الجزاءِ لإحسانِهِ وإخلاصِهِ ، كذلك يجزي اللهُ كلَّ عبدٍ مُؤمنٍ حُسْنَ الجزاءِ ، لأنّ جزاءَ الإحسانِ عندَ اللهِ الإحسانُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ النُّبوَّةُ أعظمُ نِعْمَةٍ يُنعِمُ اللهُ بها على رُسلِهِ وأنبيائِهِ ، امتنَّ بها عَليْهِمْ .

٢ـ نهايةُ المُواجَهَةِ بينَ الحقِّ والباطِلِ هي انتصارُ الحقِّ وغَلبةُ أهلِهِ ، وهزيمةُ الباطِلِ وأهلِهِ .

٣ـ أبقى اللهُ لأنبيائه ذِكرا طيّبًا ، وثناءً جميلا في مَنْ جاء بعدهم .

٤ـ يَجزي الله عبادَهُ المُخْلصينَ المُحْسنينَ إحْساناً وإنعاماً ، فَضْلاً منْهُ وكَرماً .

التَّقْويمُ :

أجب عن الأسئلة الآتية :

١ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ خمس نِعَمٍ أنْعَمَ اللهُ بها على موسى وهارونَ عليهما السَّلامُ .

٢ـ ماذا تركَ اللهُ على كلٍّ مِنْ موسى وهارونَ وإلياسَ ، عليهِمُ السَّلامُ ، في الآخِرينَ ممَّنْ بعدَهُمْ ؟

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدرسِ سُنَّةً ربانيةً في الجزاءِ بالخير ، والمُعاقبةِ بالشَّرِّ .

٤ـ سجّلْ خلاصةَ دعوةِ إلياسَ عليه السَّلامُ لقومِهِ بما لا يزيدُ على خمسةِ أسطُرٍ .

٥ـ ماسمُ الصَّنمِ الذي كانُوا يَعْبُدُونَهُ ؟

٦ـ ما معنى قولِه : ﴿سلامٌ على إلْ ياسينَ﴾ ؟ وما الفرقُ بينَ إلياسَ وإلْ ياسينَ ؟

نشاط :

١ـ اكتبْ في دفترِكَ أسماء ثلاثِ سُورٍ ورَدَ فيها ذِكْرُ موسى وهارون عليهما السَّلامْ .

٢ـ اكتُبْ في دفترك كيف أنزلَ اللهُ التَّوراةَ على موسى عليْهِ السَّلامْ ، وكَيْفَ أنزل القُرآنَ على مُحمَّدٍ ﷺ .

٣ـ اكتُبْ في دفترِكَ آيةَ سورةِ الرَّحمنِ التي تُخْبِرُ عَنْ جزاءِ الإحسانِ .

٤ـ اكتُبْ في دفترِكَ خُلاصَةَ الأحداثِ مِنْ خُروجِ بني إسرائيلَ مِنْ مِصْرَ إلى غَرَقِ الكافرينَ ونَجاةِ المُؤْمنينَ ، بما لا يزيدُ على صَفْحَةٍ واحِدَةٍ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ الصَّافَّاتِ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **الغابرينَ** : الماضينَ في الهلاكِ .
- **مُصْبِحينَ وباللّيلِ** : صَباحاً ومَساءً
- **أَبَقَ** : غادرَ المَدينةَ بغيرِ إذْنٍ .
- **الفُلْكِ المشحُونِ** : السفينةِ المملوءةِ بالرُّكّابِ .
- **ساهَمَ** : شَارَكَ في ضَرْبِ القُرْعَةِ .
- **التَقَمَهُ** : ابتلَعَهُ .
- **مُليمٌ** : مُستحِقٌّ لِلَّوْمِ .
- **نَبَذْناه بالعَراءِ** : طَرَحْناهُ مِنْ بَطْنِ الحوتِ على شاطِيءِ البَحْرِ .
- **سَقيمٌ** : مَريضٌ .
- **يَقطين** : هو القَرْعُ أو الدُّبّاءُ .
- **متّعْناهُمْ إلى حينٍ** : أبَقَيْناهُمْ مُتَمَتِّعين في حياتِهِمْ لحينِ حُلولِ آجالِهم .

التفسير :

تستمرُّ الآياتُ الكريمةُ في ذكرِ أنبياء اللهِ عليهمُ السَّلامُ . فتحدَّثتْ هذه الآياتُ عن الرَّسولَيْنِ لوطٍ ويونسَ عليهما السَّلامُ .

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ .

يخبرُ اللهُ أنه اختار لوطا عليْه السَّلامُ رسولاً ، وبَعَثَهُ إلى قومِهِ الكافرينَ الشاذِّين ، ولمّا دعَاهم إلى اللهِ رفضوا دَعْوَتَهُ ، وأصرُّوا على كُفْرِهم ومعاصيهم ، ووافقَتْهُ امرأتُهُ على باطِلِهم وكُفْرِهِمْ ، ولمّا جاءَهُمُ العذابُ أنجى اللهُ لوطاً عليه السَّلامُ وأهلَهُ المُؤْمنين ، ودمّرَ القومَ الكافِرينَ ، ومنهم امرأتُهُ العجوزُ الكافِرةُ ، التي أصابهَا ما أصابَ قومها منَ الهلاكِ .

وأبقى اللهُ آثار قومِ لوط المُعذَّبين لِمَنْ بعدَهَم ، لتكون عِبرة وعظةً ، ويَلفِتَ اللهُ أنظارَ كُفار قُريش للاعتبار ، فقد كانوا يُسافرون في تجارتِهم إلى الشّامِ في الصَّيْفِ ، وكانوا يَمُرُّونَ في طريقِهم على ديارِ قومِ لوطٍ ، وقد يكونُ مُرورُهُمْ في الصَّباحِ في بعضِ الأحيانِ ، وفي الليلِ أحياناً أُخْرى ، فلماذا لا يعقِلُونَ ويَعْتبرُونَ مما يُشاهِدُونَ ؟ لو عَقَلُوا واعتبرُوا لَتخلَّوْا عَنِ الكُفرِ والتكذيبِ .

بعد ذلكَ غادرَهُمْ من دُونِ إذنٍ مِنَ الله ، ظَانّاً أنْ لَنْ يَضيّقَ عليه بإبقائِه عِنْدَهُم ، وسيُوجِّهُهُ إلى قومٍ آخَرين لِيَدْعُوهُم ويُنذِرهُم ، ولذلك عاتَبَهُ اللهُ ولامَهُ ، لأنَّ الأَصلَ ألاّ يُغادِرَهُم إلاَّ بعدَ إذْنِ اللهِ وتوجيهِهِ لَهُ .

وقد قَدّرَ اللهُ عليهِ أحداثاً مثيرةً ، لِيكونَ ذَلِكَ عِبْرَةَ وعظةَ له ولغيرِهِ مِنَ المُؤمنينَ . فَلمَّا غادرَ قومَهُ ووصلَ إلى شاطئِ البحرِ ركِبَ سفينةً ، وكانتِ السفينةُ مَشْحونةً مَمْلُوءَةً بالرُّكّابِ . ولمَّا صارَتْ وَسَطَ البحرِ جاءتِ الأمواجُ ، فاضْطُرَ رُكّابُها إلى التخلّصِ مِن حُمولَتِها الزائدةِ ، بإلقاءِ أحدِ الرُّكابِ في البحرِ ، ليسْلمَ وينجُو الآخرون .

وكان لا بُدّ مِنَ القرعة ، فمَنْ خَرَجَ سَهْمُهُ فلا بُدَّ أنْ يُلقِيَ بنفسِهِ في البَحرِ ، وخرجَ سَهْمُ يونُسَ عليْهِ السَّلامُ ، وهو أفضلُ رُكّابِ السفينةِ فألْقى بنفسِهِ في البحرِ .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

قَدّرَ اللهُ ليونسَ عليهِ السلامُ ألاّ يَغرقَ بالماءِ ، ويَسّرَ له حُوتاً كبيراً بجانِبِ السفينةِ ، فما إنْ صارَ

في الماءِ حتى أمرَ اللهُ الحُوتَ بالتقامِهِ وابتلاعهِ ، فصارَ يونُسُ في بطنِ الحُوتِ ، وكان مُستحِقًا لِلّومِ مِنَ اللهِ ، لأنَّه غادرَ قومه قبلَ أنْ يُوجِّهَهُ اللهُ إلى آخرين .

ولمّا وجَدَ يونُسُ نفْسه في بطنِ الحُوتِ ، علِم أنّ هذا ابتلاءٌ مِن اللهِ ، فأقبلَ على اللهِ ذاكِراً مُسبِّحاً ، وداعياً مُتضرِّعاً ، مُعترِفاً بما صدر منهُ .

وكان ذِكرُهُ وتسبيحُهُ للهِ وتضرُّعُهُ إليه ، سبباً في نجاتِهِ من الموتِ ، وعدم تحوُّلِهِ إلى طعامٍ وغذاءٍ للحوتِ ، ولَوْ لَمْ يكُنْ مِنَ المُسَبِّحين لَبقي في بطنِ الحوتِ إلى يوم القيامة .

﴿ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ .

أمرَ اللهُ الحُوتَ أنْ يُلقِي يونُسَ عليه السَّلامُ على شاطِىءِ البحرِ ، وطرحَ يونُس بالعراء ، مُعَرَّضاً لأشِعَّةِ الشَّمسِ والهواءِ والحشراتِ ، وكان مريضاً بسببِ مكوثِهِ في بطنِ الحوتِ فترةً مِن الزَّمنِ ، فيسَّرَ اللهُ وسيلةً أخرىٰ لِحفْظِه وحمايتِهِ مِن الأذى والآفاتِ ، حيثُ أنبت اللهُ عليه نباتَ « اليقطين » ، وهو معروفٌ بأوراقِهِ العريضةِ ، التي لا تقتربُ منها الحَشَراتُ ، وكَبر نباتُ اليقطينِ وصارَ كالعريشِ فظَلَّلَتْهُ بِأوْراقِها ، وبَقِيَ تحتَها حتى شَفِيَ وتعافى .

وبعدَ شِفائِه أمرَهُ اللهُ بالعَوْدَةِ إلى قومه الّذين غادَرَهم كُفّاراً ، وأخبرهُ أنّهُ سَيجدُهُمْ مُؤمنين ، وكان عَدَدُهُمْ أكثرَ مِنْ مائةِ ألفِ إنسانٍ ، وهذا عَدَدٌ كبيرٌ في ذلكَ الزَّمانِ ، ولمّا وَصلَ إليْهِمْ أحسَنُوا اسْتقبالَهُ وآمنُوا به واتَّبَعُوهُ ، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لإيمانِهِمْ ، ومتَّعَهُمْ المتاعَ الحسَنَ في حيَتِهِمْ الدُّنْيا إلى حينِ انتهاءِ أعمارِهِم وحُلول آجالِهِم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ لوطٌ نبيٌّ كريمٌ عليهِ السَّلامُ ، ومع ذلكَ فامرأتُهُ كانتْ كافرةً ، ولم يَنْفَعْها لوطٌ ، ولم يَدْفَعْ عنها عذابَ اللهِ .

٢ـ أبقى اللهُ آثارَ قوْمِ لوطٍ عِبرَةً لِمَنْ بعدهم ، ودعا مَنْ يَمرُّونَ عليهم للاعتبارِ والاتِّعاظِ .

٣ـ غادرَ يُونُسُ عليه السَّلامُ قومَهُ من دونِ توجيهٍ مِنَ اللهِ ، فاستحَقَّ اللَّومَ .

٤ـ يَحفظُ اللهُ أولياءَهُ مِنَ الخَطَرِ ، كما فعَل مع يُونُسَ ، عَلَيْهِ السَّلامُ ، عندما حفِظَهُ في بَطنِ الحوتِ وتحتَ اليقطينِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتية :

١ـ مَنِ الذينَ أنجاهُم اللهُ مَعَ لوطٍ عليهِ السَّلامُ ؟ وماذا كانَ مصيرُ امرأتِهِ ؟ وما دلالةُ ذلكَ ؟

٢ـ متى كان كفارُ قُريشٍ يمرّون على ديار قومِ لوطٍ ؟ وما كان الواجبُ عَليهِم فِعْلُهُ ؟

٣ـ ما المدينةُ التي أرسلَ اللهُ يُونُسَ عليه السَّلامُ إلى أهلِها ؟ وأينَ تقعُ ؟ وما كان مَوقِفُ أهلِها منهُ ؟

٤ـ اذكُرْ ما جرى ليُونُسَ مِنْ حينِ مغادرتهِ لقَومِهِ حتى عودتِه إليْهِمْ ، فيما لا يزيدُ على سبعةِ أسْطرٍ .

٥ـ ماذا قالَ يونُسُ عَليْهِ السّلامُ وَهُو في بَطْنِ الحُوْتِ ؟ وماذا تأخذُ دَلالةَ مِنْ ذلكَ ؟

٦ـ كَمْ كانَ عددُ سُكّانِ المدينةِ التي بُعِثَ يونُسُ إلى أهْلها ؟ وما دَلالَةُ ذلكَ ؟

٧ـ ماذا فعلَ قومُ يونُسَ بعدَ عودتِه إليهم ؟ وماالدَّلالةُ التي تخرُجُ بها مِنْ ذلكَ ؟

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ كيفَ أهلَكَ اللهُ تعالى قومَ لوطٍ عليهِ السَّلامُ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ دعَاءَ يونُسَ ، عليهِ السَّلامُ ، وهو في بَطْنِ الحوتِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورَةُ الصَّافَّاتِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

استفْتِهِم : اسأَلْهُمْ .

إفْكِهِم : كَذِبهِم الشّديدِ .

أَصْطَفَى : أَخْتارَ .

الجِنَّةِ : الجنِّ .

صالِ الجحيم : يدخلُ جهَنَّمَ ، وَيَصْطَلِي بِنارِها .

نحن الصّافُّونَ : نحن الملائكةُ ، نَقِفُ صُفوفاً في الصَّلاةِ .

سَبقَتْ كَلِمَتُنا	قدّرْنا وقضيْنا .
تولَّ عنهم	أَعْرِضْ عنهم .
أَبْصِرْهُمْ	انظرْ إليهِمْ عندَ حُلولِ العقابِ بهم .
نَزَلَ بِساحتِهِمْ	وقع العذابُ بهم .
عمّا يَصِفُون	عمّا ينْسبُه المُشركون لله من الشّريكِ والولد .

التفسيرُ :

بَعدَ ذِكْرِ بعضِ قَصَصِ الأنبياءِ عليهِمُ السَّلامُ اختتمت السّورةُ بعرْضِ أباطيلِ المُشركين ، وتقريرِ حنيقةِ انتصارِ جنودِ الله ، وهزيمةِ أعدائه .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ .

مِنْ أكاذيبِ المُشْركِينَ زعْمُهُم أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ . وقد أبطل اللهُ هذه الأكاذيب ، بأَنْ طَلَبَ مِنْ رسولِهِ ﷺ أنْ يَستفتيَهُمْ ويَسألَهُمْ ، مِنْ بابِ توبيخِهِمْ وذمِّهِمْ وإقامةِ الحُجَّةِ عليهِمْ : لماذا قسمْتُمْ البنينَ والبناتِ بينكم وبينَ اللهِ قِسْمَةً ظالمةً ؟ فأنتمْ لكمُ البنونُ ، وجعلتُم للهِ البناتِ! وزَعَمْتُم أنَّ الملائكةَ بناتٌ! أو مَنْ أدراكُم أنَّهُنَّ بناتٌ ؟ وكيف تزعُمون أنّ اللهَ بحاجةٍ إلى أولادٍ ؟ وأنَّهُ اختار البناتِ وفضَّلَهنَّ على البنين ؟ ماهذا الحُكْمُ الغريبُ الذي تحكُمونهُ ؟ هل عندكُمْ سُلطانٌ واضحٌ ، ودليلٌ مُقْنِعٌ على هذا ؟ إنْ كانَ عندكُم دليلٌ فقدِّمُوهُ ، وإن كان عندكم كتابٌ مِنْ عندِ اللهِ يُقرُّكُمْ فيهِ عى ما تَقُولُونَ عَنْهُ فَأْتُوا بهَذا الكِتابِ ، حتى نُصدِّقَكُم في كلامِكُم!

إنَّ تتابُعَ هذه الأسئلةِ والاستفهاماتِ في الآياتِ يُبيِّنُ مدى ذمِّ اللهِ لِلكُفّارِ وتوبيخِهِ لَهُمْ والإنكارِ عليهِمْ ، ونَقْضِ أباطيلهِمْ ومَزاعِمِهِمْ ، وتقريرِ أنّها لا تستندُ إلى عقلٍ أو منْطِقٍ .

﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

بعدَ إبطالِ مزاعِمِ الكفّارِ حَوْلَ الملائكةِ ، تُبطِلُ الآياتُ مزاعمَهُمْ حَوْلَ الجنِّ ، فقدْ جعلُوا صلةً ونسَباً بينَ اللهِ والجنِّ ، وزعَمُوا أنَّ الجنَّ زوَّجُوا اللهَ مِنْ بناتِهم! تعالى اللهُ عمّا يقولُون عُلُوّاً كبيراً .

وهؤلاءِ الجنُّ يعلمُونَ أنهم سيُبعَثُونَ يومَ القيامة ، ويُوقفُونَ بينَ يدَي اللهِ للحِسابِ . وتنَزَّه اللهُ

وتقدَّسَ عما يصفُهُ بِهِ المُشْرِكُونَ الكَاذِبونَ ، فلا صَاحِبَةَ لَهُ ولاولدَ ، ولا شريكَ ولا مُعينَ ، وسيُعذبُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ على ما وَصَفُوه بِهِ مِنْ باطلٍ .

أمّا عبادُ اللهِ المُؤْمِنونَ الصّالحونَ فقد أطاعُوهُ في الدُّنْيا وأَخْلَصُوا لَهُ ، فاستَخْلَصَهُمُ اللهُ وجَعَلَهُم مِنْ عبادِهِ المُخْلَصِينَ ، وسيُحْضِرُهُمْ يومَ القيامةِ للجزاءِ والثَّوابِ والمُكافأةِ ، ولَيْسَ للعذابِ .

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ تفنيدِ مزاعِمِهِم في الملائكةِ والجنِّ ، يُخاطِبُهُمُ اللهُ ، ويُبَيِّنُ مَنْ يقدِرُونَ على فِتْنَتِهِ وإضلالِهِ وإغوائِهِ ، ويقولُ لهم : أنتمُ وَمَنْ تَعبُدُونَهُمْ مِنْ دونِ اللهِ ، لا تَقْدِرُونَ على فتنةِ أحدٍ عَنْ دينِهِ ، إلاَّ إذا كانَ مُستعِدّاً لذلكَ ، قابلاً للضَّلالِ ، مُختاراً لَهُ ، أمّا الرَّافِضُ للضّلالِ فإنّكم عاجِزونَ عَنْ إضلالِهِ ، والمُستَجِيبُون لكمْ سَيَصْلَوْنَ الجَحِيمَ ، ويُعَذَّبونَ في النّارِ يومَ القيامةِ .

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ .

هذا تنزيهٌ لِلمَلائكةِ عمّا وَصفَهُم به المُشرِكونَ مِنْ أنّهم بناتٌ للهِ ، وهو حكايةٌ عَمّا يُعَرِّفُ به الملائِكةُ أنفُسَهُمْ ، فيقولُونَ : نَحْنُ نتفاوَتُ في المَنزِلةِ عند اللهِ ، وكلٌّ مِنّا له مقامٌ معلومٌ ، ومَرْتَبةٌ مُحَدَّدةٌ ، لا يتجاوَزُها ولا يُخالِفُها . وكلٌّ مِنّا يعْبدُ اللهَ ، ونحنُ نَصطفُّ صُفوفاً مُتراصّةً مُنْتَظَمةً عندما نُصَلِّي للهِ ، ونحنُ نُسَبِّحُ اللهَ باستمرارٍ ، لا نَمَلُّ ولا نَفتُرُ ولا نتوقَّفُ . وهذا كقولِهِ تعالى عَنِ الملائكةِ : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُوْنَ . يُسَبِّحُوْنَ الليلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرُوْنَ﴾ [الأنبياء : ١٩-٢٠] .

﴿ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ .

تَنْتَقِلُ الآياتُ لِتُذَكِّرَ المُشْرِكينَ بما كانوا يَقولُونَهُ قَبْلَ بعثةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فقد كانوا يَعلمُونَ أنَّ اللهَ بعثَ الرُّسُلَ لليهودِ والنصارَى ، وأنزلَ عَلَيْهِمُ الكُتُبَ ، وكانَ المُشركونَ يَتَمنَّوْنَ أنْ يكونُوا مِثْلَهَمْ ، وأنْ يُنزِلَ اللهُ عليهِمْ كِتاباً ، ويَبعَثَ لَهُمْ رَسُولاً .

وكانوا يقولُونَ : لو عندَنا كتابٌ مِن كُتُبِ الأَقْوامِ الآخَرينَ كالتَّوراةِ والإنجيلِ ، لاتَّبعناهُ وعَبَدْنا اللهَ وَحْدَهُ ، وأَخْلَصْنا العبادَةَ لَهُ ، وكُنَّا مِنْ عبادِهِ المُخْلَصِينَ ، الّذينَ استَخْلَصَهُمْ لَهُ مِنْ بينِ خَلْقِهِ .

فلمَّا بعثَ اللهُ لهم مُحَمَّداً رَسولاً ﷺ ، وأنزلَ عليهِ القُرآنَ ، كذَّبوُهُ وكَفرُوا به ، ولم يُحَقِّقُوا أُمنيتَهُمُ السَّابِقَةَ . وسوف يَعلَمُونَ عاقِبَةَ كُفرِهِمْ وتَكْذِيبِهِمْ ، عندما يُوقِعُ اللهُ بِهِمُ العِقابَ والعَذابَ .

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ .

بعد إقامةِ الحُجَّةِ على الكُفَّارِ ونَقْضِ أباطيلِهم تتحدَّثُ الآياتُ عَنْ سُنَّةِ اللهِ في نَصْرِ جنودِهِ وهزيمةِ أعدائِهِ ، وتُذَكِّرُ بِوَعدِ اللهِ القاطعِ بِذلكَ . فاللهُ قَدَّرَ وقَضى بنَصْرِ عبادِهِ المُرْسَلينَ وأَتْباعِهِ مِنْ جُنودِهِ المُجاهِدِينَ ، وسبقَتْ كلمتُهُ بِذلكَ ، وقُرِّرَتْ في كُتُبه السَّابقةِ كالتَّوراةِ والإنجيلِ ، وفي آياتِ القُرآنِ الكريمِ ، كما قالَ تعالى : ﴿كتبَ اللهُ لأغلبَنّ أنا ورُسُلِي إنّ اللهَ قويٌّ عزيزٌ﴾ [المجادلة : ٢١] .

وقد حقَّقَ اللهُ وَعْدَهُ لرُسُلِهِ وجنودِهِ ، فَنَصَرَ الأنبياءَ السَّابقينَ على أعدائِهِمْ ، ونصَرَ رَسولَهُ ﷺ على الكافِرينَ ، ونصَرَ أُمَّتَهُ ، ومكّنَ لِدينهِ في الأرضِ .

وبعد تذكيرِ رسولِ اللهِ ﷺ بِوَعْدِ اللهِ لهُ بالنَّصْرِ أَمَرَهُ اللهُ بالإعْراضِ عنِ المُشرِكينَ بعد دَعوتِهِمْ ونُصْحِهِمْ ، والصّبرِ على أذاهُمْ ، حتّى يَحِينَ مَوْعِدُ النَّصْرِ ، فإنه آتٍ بإذنِ اللهِ ، وعليهِ أنْ ينتَظِرَ عذابَهُمْ وعِقابَهُمْ ، فسوفَ يُبْصِرُهُمْ ويَراهُمْ وَهُمْ مغلُوبونَ واقعُونَ في الأسْرِ أَوِ القَتلِ ، وعندَ ذلكَ سيُبْصِرُونَ ما أصَابَهُم ، ويَعرِفُونَ أنَّكَ صادِقٌ ، وأنَّ وَعْدَ اللهِ مُتحَقِّقٌ .

وقدْ كانَ الكُفَّارُ يَسْتَعْجِلُونَ عذابَ اللهِ ، عندما يُهدِّدُهم بِهِ رَسُولُ ﷺ ، فذمَّهُمُ اللهُ ، ووبَّخَهُمْ على ذلكَ ، وقالَ عنهُمْ : كيفَ يَسْتَعْجِلون عذابَ اللهِ ؟ وَهَلْ هناكَ قومٌ عُقلاءُ يَسْتَعْجِلُونَهُ ، وَهُمْ يَعلمُونَ أنَّهم لا يقدِرُون على دَفْعِهِ عنهُم! وأنَّ العذابَ قادِمٌ إليْهِمْ ، وعندما يَقَعُ بِهِمْ وينزِلُ بديارِهِم فسوفَ يَعجَزُونَ عَنْ دَفعِهِ ، ويكونُ ذلكَ الصَّباحُ صباحاً سيِّئاً ، لأنّهم يُهلَكُون .

وأمرَ رسولَهُ ﷺ بالإعراضِ عَنِ المشركينَ ، لحينِ وُقُوعِ العَذابِ بِهِمْ ، وأن يُبْصِرَهُمْ ويَنظُرَ إليهِمْ عندَ ذلكَ ، ويفرَحَ بما هُمْ فيهِ مِنْ هَزِيمَةٍ وذُلٍّ ، وَهُمْ سَوْفَ يُبْصِرُونَ ذلكَ ويَعرِفُونَ خطأَ ما هُم عليهِ .

وقد حقَّقَ اللهُ وعدَهُ لرسولِهِ ﷺ ، فنَصَرَهُ وهزَمَ قُرَيْشاً في غزواتِ بَدْرٍ وأُحُدٍ والأحزابِ ، وعَرَفَ المُشْرِكونَ ما هُمْ عليهِ مِنْ باطِلٍ ، فآمَنُوا يومَ فَتْحِ مَكَّةَ .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ .

ختمَ اللهُ هذه السُّورةَ بهذه الخاتَمةِ ، الَّتي فيها تَسبيحُهُ وتنزيهُهُ . والثَّناءُ على رُسُلِهِ . فقالَ

لرسوله ﷺ : ربُّكَ هو ربُّ العِزّةِ ، وله التّسبيحُ والتّنزيهُ والتّقديسُ ، تعالى وتنزّه عمّا وصَفَه به المُشرِكونَ ، مِن اتخاذٍ للصّاحِبَةِ والوَلد والشّريكِ ، وهُمْ كافرونَ كاذبُونَ في ذلك الوَصْفِ الباطِلِ . وسلامٌ مِنَ اللهِ على أنبيائهِ ورُسُلِهِ عليهمُ الصّلاةُ والسّلامُ ، ولهُ سُبحانَهُ الحمْدُ والشُّكْرُ مِن العَالَمِينَ جميعاً .

ومن المُستَحَبِّ لِلْمُسْلِم أنْ يُكْثِرَ مِن قولِ « سُبحانَ ربِّكَ ربِّ العِزَّةِ عمّا يصفونَ ، وسلامٌ على المُرسَلين ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمَين » ، وأنْ يَختِمَ بذلك مجْلِسَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القرآنُ يَنقُضُ أَباطيلَ المُشركين ويُفنِّدُ أقوالَهُم ويُقيمُ الحُجَّةَ عليهِم ، ويَستخدِمُ أساليبَ الإقناعِ لَهُمْ .

٢ـ وُجوبُ تنزيهِ اللهِ عَنْ كُلِّ نقْصٍ ، فهُو ليسَ لَهُ وَلَدٌ ولا صاحِبَةٌ ولا شَريكٌ .

٣ـ وجوبُ تقديمِ الدَّليلِ والبُرْهانِ المُقْنِعِ على أيِّ دَعْوةٍ أو قولٍ ، وإلاّ كانَ ذلكَ القولُ مَرْدُوداً .

٤ـ لا يُفتَنُ بأقوالِ الكُفّارِ ولا يستجيبُ لَهُمْ إلاّ مَنْ هو مُستعِدٌّ للضَّلالِ ، راضٍ بالانحرافِ ، ومِثْلُ هذا مُعَذَّبٌ في الآخِرةِ .

٥ـ يتفاوَتُ الملائِكَةُ في منازِلِهِمْ ودرَجاتِهم وعباداتِهم عِندَ اللهِ ، وهم لا يَمَلُّون مِنَ الصَّلاةِ والتَّسْبيحِ .

٦ـ وعَدَ اللهُ بنَصْرِ جُنُودِهِ وَهَزيمَةِ أعدائِه ، وهذا مُتَحَقِّقٌ مُسْتَمِرٌّ ، لكلِّ مَنْ أخذَ بشروطِ النَّصْرِ .

٧ـ على المُؤمِنِ أنْ يَثِقَ بوعْدِ اللهِ ، ويفرحَ عندما يرى الذُّلَّ والهَزيمَةَ تلحَقُ بأعْداءِ اللهِ .

٨ـ مِنَ المُسْتَحَبِّ للمُسلِمِ أنْ يُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : سَبحانَ ربِّكَ ربِّ العِزَّةِ عمّا يَصِفُونَ ، وسلامٌ على المُرْسَلِيْنَ ، والحَمْدُ للهِ ربِّ العالَمينَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ خمسةَ أسئلةٍ مُوجَّهةٍ للكُفّارِ ، وما حِكْمَةُ توجيهِها لَهُم ؟

٢ـ ماذا قال الكفارُ عنِ الملائِكةِ ؟ وبماذا ردَّت الآياتُ عَلَيهِمْ ؟

٣ـ ماذا جَعلَ الكفّارُ بينَ الجنِّ و ربِّ العالَمينَ ؟ وبماذا ردَّتِ الآياتُ عَلَيْهِمْ ؟

٤ـ مَنِ الذينَ يُفْتَنون بكلامِ الكفّارِ ويَستجيبُونَ لهُمْ ؟ وما مصيرُهُمْ في الآخِرَةِ ؟

٥ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ ثلاثَ صفاتٍ وصفَ بها الملائكةُ أنفُسَهُم ، وما معنى كلِّ واحدةٍ منها ؟

٦ـ ماذا كان الكفّارُ يطلُبُونَ مِنَ اللهِ قبلَ بعثةِ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ وماذا فَعَلوا بعدَ بعثَتِهِ ؟

٧ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ وَعْدَ اللهِ لجُنْودِهِ ، واذكُرْ شَرْطَ تحقُّقِ ذلكَ الوعدِ .

٨ـ بماذا رَدّتِ الآياتُ على استعجالِ الكُفّارِ العذابَ ؟ وما وضْعُهُمْ عِنْدَ حُلولِ العذابِ بِهِمْ ؟

٩ـ ما موضوعُ الآياتِ الثّلاثِ التي ختَمَ اللهُ بها هذه السّورةَ ؟

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ آيةً مِنْ سُورَةِ الإسْراءِ يُنكِرُ اللهُ فيها على المُشرِكينَ جَعْلَ الملائكةِ بناتٍ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ آيةً من سُورةِ فاطِرٍ ، بمعنى الآياتِ (١٦٧ـ ١٧٠) ، تَذْكُرُ ما كانَ يطلُبُهُ الكافِرونَ مِنَ الكتابِ ، فلما جاءَهُمُ القرآنُ مِنْ عندِ اللهِ كفَروا به .

٣ـ سَجِّلْ آيةً من سُورةِ مُحمّدٍ ﷺ تُبيِّنُ شرطَ النَّصرِ ، وأنّ النَّصرَ لَنْ يتحقَّقَ إذا لم يتحقَّقْ ذلكَ الشَّرْطُ ، واذكُرْ معنى الآيةِ في أربعةِ أسْطُرٍ .

٤ـ ارجعْ إلى أحدِ معاجِمِ اللغةِ واستخرجْ منها الفرْقَ بينَ كلمةِ (مُخْلِصِينَ) بكسرِ اللامِ (ومُخْلَصِينَ) بفتحِ اللامِ ، واكتُبْهُ في دفترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورَةُ ص ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ (ص) مكيَّةٌ ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسمِ ؛ لِأنَّها مُفتَتَحَةٌ بالحَرْفِ الهِجائيِّ « صاد » ، وموضوعُ السُّورَةِ هو العقيدةُ ، كباقي السُّوَرِ المَكيّةِ ، وقد بدأتِ السُّورةُ بنقضِ بعضِ شُبُهاتِ المُشْرِكِينَ ضِدَّ رسولِ اللهِ ﷺ ورسالَتِهِ ، وأشارَتْ إلى قَصَصِ بعضِ الأنبياءِ ، مثلِ داودَ وسليمانَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، وإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ وإسْماعيلَ عليهِمُ السَّلامُ ، وختَمَتْ ذلِكَ بالحديثِ عَنْ قِصَّةِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وأشارَتْ إلى هزيمةِ أحزابِ الكُفْرِ كقومِ نوحٍ ، وعادٍ وثمودَ وفِرْعونَ ، وأثبَتَتْ حقائقَ العقيدةِ ، كالوَحْدانيَّةِ والوحْيِ والرِّسالةِ واليومِ الآخِرِ والحِسابِ والجَزاءِ والنَّعيمِ والعذابِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

ذِي الذِّكْرِ : فيه تذكيرٌ وبَيَانٌ .

عِزَّةٍ : تكبُّرٍ وامتناعٍ عن قَبولِ الحقِّ .

شِقاقٍ : مُخالفَةٍ ونزاعٍ .
قَرْنٍ : جماعةٍ يَعيشُون معاً .
لاتَ حينَ مناصٍ : ليس الوقتُ وقتَ هَرَبٍ ونَجاةٍ .
شيءٌ عُجابٌ : شيءٌ بلغَ الغايةَ في التعجُّبِ والاستغرابِ .
الملأُ : القادةُ .
المِلَّةِ الآخِرَةِ : أصحابِ الدِّيانةِ السّابقةِ .
اختلاقٌ : كَذِبٌ .
فَلْيَرتقُوا في الأسبابِ : ليَصْعَدُوا إلى السَّماءِ مُستَخدِمينَ الوسائلَ التي توصِلُهُمْ إليها .

التفسيرُ :

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ .

افتُتِحَتْ هذه السُورةُ بحرفِ « ص » وهو أحدُ حروفِ الهجاءِ ، وذلك للإشارةِ إلى مَصْدَرِ القُرآنِ ، وأنَّه مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فالقُرآنُ مُكوَّنٌ مِنَ الحُرُوفِ العربيّةِ الهجائيّةِ ، التي يستخدمُها العربُ في لغتِهم ، فإنْ لَم يُوقِنوا أنَّ القرآنَ مِنْ عِندِ اللهِ فلْيُحاوِلُوا أنْ يأتُوا بسورةٍ مِثْلِهِ ، ولن يَستطيعُوا ذلك .

وأقْسَمَ اللهُ بالقرآنِ ، ووصفَه بأنّه ذو الذِّكْرِ والبيانِ الواضحِ ، وهو يُذكِّرُ الناسَ بالواجبِ عَلَيْهِمْ ، ويجعلُ لهم ذِكْراً وشَرَفاً وعِزّاً عندما يَلتزِمُونَ بهِ . كما قالَ تعالى : ﴿لقَدْ أنزَلنا إليكُم كتاباً فيه ذِكْرُكُم . .﴾ [الأنبياء : ١٠] .

ومَعَ أنَّ القرآنَ ذِكْرى لِمَنْ يَتذكَّرُ فإنّ الكُفَّارَ لم يتذكَّرُوا بهِ ، وإنّما كَفرُوا بهِ وأعرَضُوا عنهُ ، وسَبَبُ إعراضِهِمْ عَنْهُ هُوَ اسْتكبارُهُمْ ، فَهُمْ في اعتزازٍ بالباطِلِ ، وإعراضٍ عَنِ الحَقِّ ، وفي مُخالفَةٍ للهِ ولِرَسُولِه ﷺ .

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ .

لمّا كانَ الكُفّارُ مُسْتَكْبرينَ مُعانِدِينَ ، فقد هدّدَهُمُ اللهُ بالعذابِ ، وذكّرَهُم بما فَعَلَ بالكُفَّارِ السّابقينَ ، فلما كَفرُوا وكذَّبُوا رُسُلَهُمْ أَوْقَعَ اللهُ بِهِمُ العذابَ ، ولمّا رأَوْا العذابَ واقعاً بهم نادَوْا وصرَخُوا واستغاثُوا ، وطلبُوا رَفْعَ العذابِ عَنهُم ، ولكنَّ ذلكَ لَمْ يَحصُلْ ، لأنّ هذا الوقتَ لَيْسَ وقتَ نجاةٍ وإنقاذٍ وهَرَبٍ ، فإذا وَقعَ عذابُ اللهِ لا يَقْدِرُ أحدٌ على دَفْعِهِ .

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ .

اسْتَكْبَرَ الكفارُ ورفضُوا الإيمانَ بالقرآنِ ، وأَنكَرُوا نُبوَّةَ مُحمّدٍ ﷺ ، وقد أَخبرَ اللهُ عَنْ تعجُّبهم واسْتِغْرابِهِمْ ، فلمَّا اختارَ اللهُ رسولهُ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وجَعَلَهُ مُنذِراً لهم ، تعجَّبوا مِنْ ذلكَ ، لأَنَّهُم كانوا يتوقَّعُون أنْ يكونَ الرّسولُ مَلَكاً مِنَ الملائكةِ .

ولما رَأوا الآياتِ والمُعجزاتِ الباهرةَ كذّبُوا بها ، واتّهمُوا الرّسولَ ﷺ بأنّه ساحرٌ سَحَرَهُم ، وأنّه كذّابٌ في ما يدّعِيهِ من أمْرِ النُّبوّةِ ، وهذا كقولِه تعالى : ﴿أكانَ للناسِ عَجَباً أنْ أَوْحَيْنَا إلى رَجُلٍ منهم أَنْ أنْذِرِ الناسَ وبشِّرِ الذينَ آمنوا أنَّ لهُم قَدَمَ صِدْقٍ عندَ ربِّهم ، قالَ الكافرون إنَّ هذا لساحرٌ مبينٌ﴾ . [يونس : ٢] .

وكَما اعترضُوا على بَشَرِيّةِ الرّسولِ ﷺ ، فقد اعترضُوا على دَعوتِه ، التي تقومُ على توحيدِ الأُلوهيةِ ، فقالوُا : كيف يَقْصُرُ هذا الرّسولُ الأُلوهِيّةَ على اللهِ وحْدَهُ ، ويَنفي أُلوهيّةَ غيرِهِ ؟ وهل لِلكَوْنِ كلِّه إلهٌ واحدٌ فقط ؟ إنّ هذا كلامٌ غريبٌ ، يَبلغُ النهايةَ في الغرابةِ والعَجَبِ!

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ .

أَعلنَ الكفّارُ تعجُّبَهُم وتكذيبَهُم لِرسولِ اللهِ ﷺ ، وقامَ قادتُهُمْ وزُعَماؤهُمْ بدعوةِ أتباعِهِمْ إلى البقاءِ على دِينِ آبائِهِمْ ، وقالُوا لَهُمْ : امضُوا على ما أنتُم عليهِ ، واصْبِرُوا على عبادةِ آلهتِكُم ، ولا تَستجيبُوا لهذا الرّسولِ ، فإنَّه يريدُ مِنْكُم أنْ تتحوَّلُوا عنها وأنْ تتَّبعُوهُ ، ليكونَ زعيماً عليكُمْ ، يَحكُمُ فيكُمْ بما يُريدُ .

وقالَ المَلأُ القادةُ لأَتْباعِهِمْ : ماسَمِعْنا في الدِّياناتِ السَّابقةِ كالنصرانيّةِ ما يدَّعيهِ هذا الرسولُ مِنْ أَنَّ اللهَ واحدٌ ، وأنّ القُرْآنَ مِنْ عندِ اللهِ ، ولو كانَ القرآنُ مِنْ عندِ اللهِ حقّاً لأَخبرَنَا عنهُ النّصارى ، فما يقولهُ هذا الرسولُ كَذِبٌ وافتراءٌ ، وهو كاذبٌ مُفْتَرٍ ، لم يُنزِلِ اللهُ عَلَيْهِ القُرْآنَ والذِّكْرَ ، ولم يجعَلْهُ رسولاً مُتفضِّلاً علينا ، ولو أرادَ اللهُ بَعْثَ رسولٍ لاختارَ واحداً مِنّا بدلاً منهُ .

وقد ردَّ اللهُ على كلامِهِم ، وبيّنَ أنَّهُمْ شاكُّون مُرتابُون في أَمْرِ الوحْيِ والنُّبوّةِ ، ولذلكَ أنكرُوا أنْ يكونَ القرآنُ مِنْ عندِ اللهِ ، والذي قادَهُم إلى الشكِّ هو أَنَّهُمْ لَمْ يَذوقُوا عذابَ اللهِ ، لأنّ اللهَ أمْهَلَهُمْ ، ولو ذاقُوا العذابَ لزالَ عنهمُ الشكُّ .

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

لماذا يعترضْ الكفارُ على نُبوّةِ الرسولِ ﷺ ؟ ويقترحُونَ أحدَ زُعمائِهِمْ نبياً ؟ هل يَملِكُون مفاتيحَ خزائنِ رحمةِ اللهِ ونِعَمِهُ ومواهِبَهُ وعطاياهُ ؟ لو كانوا يملِكُونَ ذلكَ لأعْطَوا النُّبوَّةَ لِمَنْ شاءُوا . ولكنّهم لا يَملِكُونها ، فاللهُ هو مالِكُ خزائنِ رَحْمَتِهِ ، وهُوَ العزيزُ القويُّ الغالِبُ . وهُوَ الوهَّابُ المُنْعِمُ ، يُنعِمُ على مَنْ يشاءُ . وهو الذي اختارَ مُحمَّداً ﷺ رسولاً .

وهل يَملِكُونَ السّمواتِ والأرضَ وما بينَهما ؟ وما فيهما مِنَ المَخْلُوقاتِ والعَوالِمِ ؟ إنْ كانوا يَمْلكُونها فليستخدِمُوا الوسائلَ والأساليبَ التي تُوصلُهمْ إلى السَّماءِ ، ولْيَصْعدُوا فيها ليتملّكُوا السَّماءَ ، ويتحكّمُوا في الكَوْنِ ويحكُمُوا فيهِ بما يُريدُونَ . فإنْ لم يَستطيعُوا ذلكَ ، فليُسَلِّمُوا الأمرَ إلى اللهِ ، ولْيَرْضوا بحُكْمِهِ ، ولْيُؤمِنوا برسُولِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القرآنُ كِتابُ تَذْكيرٍ وشَرَفٍ ، ولا بُدَّ مِنْ أنْ يُذكِّرَ المُؤْمِنُ بهِ ، وَيعلُو ذِكْرُهُ وَمَجْدُهُ عِنْدَ تَطبيقهِ .

٢ـ الَّذي يَدْفَعُ الناسَ إلى الكُفْرِ ورَفْضِ الحقِّ ، هو التكبُّرُ ، والعِنادُ ، والرغبةُ في المُخالَفَةِ .

٣ـ عِنْدَ وقُوعِ العذابِ من عندِ اللهِ ، لا يَقْدِرُ النّاسُ على الهَرَبِ أوِ النَّجاةِ .

٤ـ إمهالُ اللهِ لِلْكُفّارِ وتأخيرُهُ العذابَ عَنْهُم يقودُهُمْ إلى الشَّكِّ ، والرَّيْبِ في الحقِّ ، وتكذيبِ الرّسُولِ .

٥ـ اللهُ هُوَ المالِكُ العزيزُ الوهّابُ ، يَرْحَمُ عِبادَهُ ، ويَخْتارُ مَنْ يشاءُ للنُّبُوَّةِ ، وعلى النَّاسِ قَبولُ حُكْمِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلة الآتية :

١ـ مامعنى وَصْفِ القرآنِ بأنّه ذو الذِّكْرِ ؟ ، وعلى ماذا يَدُلُّ افْتِتاحُ بَعْضِ السُّوَرِ بالحُرُوفِ المُقطَّعَةِ ؟

٢ـ مامعنى وصْفِ الكُفَّارِ بأنّهم في عزّة وشِقَاقٍ ؟ وما دَلالةُ ذَلِكَ على سبَبِ كُفرِهم ؟

٣ـ مامعنى قولِه : ﴿فنادَوا ولاتَ حين مَناصٍ﴾ . ؟

٤ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ اعتراضَ الكفار على بشريّةِ رسولِ اللهِ ﷺ . وبماذا وصفُوه ؟

٥ـ ماموقف الكُفَّارِ مِنْ دعوةِ الرّسولِ ﷺ إلى الوحدانيّة ؟

٦ـ ما المقصودُ بالملأ ؟ وماذا طلبُوا من أتْباعِهم ؟

٧ـ ما المرادُ بالملَّةِ الآخرةِ في آياتِ الدّرسِ ؟ ، ولماذا ذكرَها الكُفَّارْ ؟

٨ـ لماذا نفى اللهُ مُلْكَ الكُفّارِ لخزائنِ رحْمَتِهِ ؟ ولماذا دَعاهُمْ إلى الارتقاءِ في الأسْبابِ ؟

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ أسماءَ السُّوَرِ التي افْتُتِحتْ بحرفٍ واحد .

٢ـ سجِّلْ في دفترِكَ الآيَتيْنِ (١٢ـ١٣) مِنْ سورةِ الأنبياءِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبَهِ بينهُما وبين الآيةِ (٣) .

٣ـ استخرجْ من آخرِ سورةِ الإسراء آيةً تُقَرِّرُ أنّ الناس لا يملِكُون خزائنَ رَحْمَةِ اللهِ ومُلكَهُ ، واكتُبْها في دفترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّاني عَشَرَ

سورَةُ ص ـ القِسْمُ الثَّاني

جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرداتِ :

- **ذو الأوتادِ** : صاحبُ المُلْكِ القويِّ الراسخِ .
- **أصحابُ الأيْكةِ** : أصحابُ الغابةِ ذاتِ الأشجارِ الكثيفةِ ، وهم قومُ مَدْيَنَ .
- **حقَّ عِقابِ** : وَجَبَ عليهِمُ العذابُ لكُفرِهِمْ .
- **صَيْحةً وَاحِدَةً** : نَفْخةَ الصَّعْقِ التي يموتُ الأحياءُ عندما يَسمَعُونَها .
- **مالَها مِنْ فَواقٍ** : ليس لها انتِظارٌ ، أو توقُّفٌ ، أو انكِشافٌ .
- **عَجِّلْ لنا قِطَّنا** : أسرعْ لنا بنَصيبِنا مِنَ العَذابِ .
- **ذا الأيْدِ** : صاحبَ القُوَّةِ على طاعةِ اللهِ .
- **أوّابٌ** : دائمُ الرُّجوعِ إلى طاعةِ اللهِ .
- **العَشِيِّ والإشراقِ** : المَساءِ والصَّباحِ .
- **محشورةً** : محبوسةً عَلَيْهِ ، مَجْمُوعَةً لَهُ .
- **شَدَدْنا مُلْكَهُ** : قَوَّيْنا لَهُ مُلْكَهُ .
- **فَصْلَ الخِطَابِ** : الكلامُ الفاصِلُ بينَ الحقِّ والباطِلِ .

التفسيرُ :

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنَ الرَّدِّ على شُبُهاتِ المُشْرِكينَ ضدَّ رسولِ اللهِ ﷺ ورسالتِه ، لتتحدّثَ عَنْ نماذجَ مِنَ الكفّارِ السّابقينَ ، وإهلاكِهِمْ لكُفرِهِمْ وتَكْذيبِهِمْ ، وتدعُو الرّسولَ ﷺ إلى الصّبْرِ على ما يقولُهُ الكفّارُ عَنْهُ ، وتَذْكُرُ لهُ بعضَ ما أنعمَ اللهُ بِهِ على داودَ عليه السّلامُ .

﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾

اختارَ الكفّارُ التَّكْذيبَ ، وحَرْبَ رسولِ اللهِ ﷺ ودعوتِهِ ، ولكنَّهُمْ مَهْزومُونَ مَغْلُوبُونَ في تلكَ الحَرْبِ ؛ لأنّهم يُحارِبُونَ اللهَ سُبحانَه القويَّ الغالِبَ ، ولا يُمكنُ أنْ يقفَ جنودٌ أو أحزابٌ أمامَ قوّةِ اللهِ ، ولا أنْ ينتصِرَ على دينِهِ .

وهذه الحقيقةُ القاطعةُ التي تُقرّرُها الآيةُ ، تَحقّقَتْ في الحَرْبِ العَنيفَةِ بين رسولِ اللهِ ﷺ وأحزابِ الكُفْرِ مِنَ المُشْرِكينَ والمُنافِقينَ واليهودِ ، فانْتَهَتْ بهزيمتِهِمْ وانتصارِ الرّسُولِ ﷺ .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

الكفّارُ مَهْزُومُونَ في حَربِهِمْ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وعَليهِمْ أنْ يعتبِرُوا بما جرَى للكُفّارِ مِنْ قَبْلِهِمْ الذينَ كذّبوا رُسُلَهُمْ ، إذْ عاقبَهُمُ اللهُ وأهلَكَهُم في الدُّنيا ، وتذكُرُ الآياتُ لِكُفّارِ قريشٍ بعضَ أولئكَ السّابقينَ الهالِكينَ وَهُمْ قومُ نوحٍ عليه السّلامُ ، وعادٍ ، وفِرْعونَ صاحبِ الجنودِ القويّةِ .

فقومُ نوحٍ عليه السّلامُ ، أغرقَهُمُ اللهُ في الطّوفانِ ، وعادٌ كذّبوا نبيَّهُمْ هُوداً عليهِ السّلامُ ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ بالرّيحِ ، وفِرْعونُ الطّاغِيَةُ الجبّارُ ، صاحبُ الحُكْمِ القويِّ الراسخِ ، كذّبَ موسى عليهِ السّلامُ وأرادَ القضاءَ عليهِ ، فأهْلَكَهُ اللهُ غَريقاً في البحرِ . وثمودُ كذّبُوا نبيَّهُمْ صالحاً عليهِ السّلامُ ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ بالصَّيْحَةِ . وقومُ لوطٍ كذّبوا لوطاً عليه السّلامُ ، فأهَلَكَهُمُ اللهُ بالخَسْفِ وقلْبِ مساكِنِهِمْ . وأصحابُ الأيكةِ ـ قومُ مَدْيَنَ ـ كذّبوا رسولَهُمْ شُعَيْباً عليه السّلامُ ، فأهلَكَهُمُ اللهُ بالظُّلَّةِ التي أبادَتْهُم .

هؤلاءِ هُمْ أحزابُ الكُفرِ السّابقونَ ، لم تَنفَعْهُم قُوَّتُهُمْ ، ولم تدفَعْ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ ، فلمّا كذّبوا رُسُلَهُم وكفرُوا بِهِمُ استَحقُّوا العذابَ مِنَ اللهِ . . ، وعلى كفّارِ قريشٍ أنْ يَتَخَلَّوْا عَمّا هُمْ فيه لِئَلاّ يُصِيبَهُمْ ما أصابَ الكُفّارَ مِنْ قَبْلِهِمْ .

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

إذا كانَ اللهُ قد أهلكَ الكُفّارَ السَّابقينَ ، فماذا ينتظرُ كفّارُ قريشٍ ؟ وماذا يتوقَّعُونَ عندَ اللهِ ؟ إنّهم لا ينتظرُونَ إلا عقابَ اللهِ وعذابَهُ ، إنِ استمرُّوا على كُفرِهِم ، ولَهُمْ عذابُ النّارِ في الآخِرَةِ ، ولَيْسَ بينَهم وبَيْنَ تعذيبِهِمْ في نارِ جَهنّمَ إلا أنْ ينفُخَ في الصُّورِ نفخةً واحدةً ، يسمعُونَها فيَفزَعُونَ ، وهذه الصَّيْحةُ لا انتظارَ لها ولا انكشافَ ، وهِيَ صيْحَةٌ واحِدةٌ لا تتكرّرُ وليسَ بعدَها إفاقةٌ ، إنما هُوَ المَوْتُ ، ثُمَّ البعثُ للحسابِ .

وهذا كقولِهِ تعالى : ﴿ما يَنْظُرونَ إلاّ صَيْحةً واحدةً تأْخُذُهُمْ وهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس : ٤٩] .

ومَعَ أنّ الموتَ قريبٌ مِنَ الكفّارِ ، والقيامةَ قريبةٌ مِنْهُمْ أيضاً ، إلا أنّهم مازالوا مُكذّبينَ بالبَعثِ والحسابِ والعذابِ ، وعندما يسمعُونَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ التهديدَ بالعذابِ يتهكّمُونَ ويَسْخَرُونَ ، ويدْعُونَ اللهَ قائلين : يا ربّنا عجّلْ لنا نَصيبنا مِنَ العذابِ الذي تُهدِّدُنا به ، وأَوْقِعْهُ بنا في الدُّنيا ، ولا تؤخّرْه ليومِ القيامةِ .

وقد أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ بالصَّبْرِ على ما يقولُهُ الكفّارُ عنْهُ ، وما يُواجِهُونَهُ بِهِ مِنْ سُخْرِيَةٍ واستهزاءٍ ، ومِن اتّهاماتٍ وشُبُهاتٍ ، فهُوَ المَنْصُورُ عَلَيْهِمْ ، وَهُمُ المَهْزُومُونَ .

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

الرَّسولُ ﷺ مأمورٌ بالصَّبْرِ على ما يقولُهُ المُشركونَ عَنْهُ ، وعليهِ أنْ يتذكَّرَ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وأنْ يقتديَ به في صَبْرِهِ وعِبادتِهِ .

ولذلكَ قالَ اللهُ له : اذكُرْ وتذكَّرْ قِصّةَ عَبْدِنا ورسولِنا داودَ عليه السَّلامُ ، وهو صاحبُ القوّةِ في العِلْمِ والعَمَلِ والطَّاعةِ ، وكانَ أوَّاباً كثيرَ الطَّاعةِ ، ودائمَ الرُّجوعِ إلى اللهِ .

وقد أكرمَ اللهُ داودَ عليهِ السَّلامُ ، وأَنعمَ عليهِ بنِعَمٍ مُتعدِّدةٍ ، وآتاهُ آياتٍ ومُعجزاتٍ باهراتٍ ، منها أنّه سخَّرَ لَهُ الجبالَ والطَّيرَ ، فعندما يُسبّحُ اللهَ في الصَّباحِ والمساءِ كانتِ الجبالُ تُردِّدُ تسبيحَهُ ، ويسمعُها وَهيَ تُسبّحُ اللهَ معَهُ ، كما كانتِ الطَّيرُ تسْمَعُ تسبيحَهُ وتُسبِّحُ اللهَ معهُ ، وتأْتيهِ مَجْموعَةً مَحْشُورَةً مُطيعةً لَهُ ، عَائِدَةً إليهِ . وعلى هذا قولُهُ تعالى : ﴿ولقد آتينا داودَ منا فضلاً يا جِبَالُ أوِّبي معَهُ والطَّير﴾ [سبأ : ١٠] .

ومكّنَ اللهُ لداودَ عليهِ السلامُ في الأرضِ ، وقوّى مُلْكهُ بالجُنُودِ والجُيُوشِ والدُّرُوعِ والأسْلِحَةِ ، وآتاهُ الحِكْمَةَ والفَهْمَ والعقلَ والفِطْنةَ ، كما آتاهُ حُسْنَ الفَصْلِ في الخُصوماتِ ، وإنهاءَ الخلافاتِ بينَ المُخْتَلِفينَ ، والحُكْمَ بالحَقِّ والصَّوابِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مَهْما مَلَكَ الكفّارُ مِنْ قُوَّةٍ فلنْ يَستطيعوا أنْ يَقفُوا أمَامَ قوّةِ اللهِ ، فهم مَهْزُومُونَ لا مَحالةَ .

٢ـ العِقابُ في الدُّنيا والعذابُ في الآخرة هو ما ينتظرُهُ كلُّ مَنْ كفرَ باللهِ وحاربَ أولياءَهُ .

٣ـ على المُؤْمنينَ الصَّبرُ والثَّباتُ على الحقِّ ، والاقتداءُ في ذلك برسولِ الله ﷺ .

٤ـ أنعمَ اللهُ على عبدِهِ ورسولِهِ داود عليه السَّلامُ نِعَماً مُتعدِّدةً ، قام بشُكْرِهِ عليها وإحسانِ عبادتِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ أسماءَ ستَّةٍ مِنَ الأقوامِ الكافِرين لهالِكينَ ، ذكرتْهُمُ الآياتُ .

٢ـ ما معنى وَصْفِ فِرْعونَ بأنَّه ذو الأوْتادِ ؟

٣ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ وَعْداً بهزيمةِ أحزابِ الكُفْرِ ، وتبيَّنْ متى تحقَّقَ ذلك الوَعْدُ ؟

٤ـ ما المرادُ بالصَّيْحةِ المذكورةِ في الآيتِ ؟ وما معنى أنهَا ﴿مالَها مِنْ فواقٍ﴾ ؟

٥ـ ما الَّذي اسْتَعجَلَ الكافرونَ وُقوعَهُ ؟ ولماذا ؟ وعلى ماذا يدلُّ ذلك ؟

٦ـ ما معنى وَصْفِ داود عَلَيْه السَّلامُ بأنه ذو الأَيْدِ ؟ وما معنى كونه أَوّاباً ؟

٧ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ آيتَيْنِ آتاهُما اللهُ لداوُدَ عليه السَّلامُ .

٨ـ اذكُرْ نِعمَتينِ آتاهُما اللهُ لداودَ عليه السَّلامُ .

نشاط :

١ـ استخرجْ من آياتِ سُورة القَمرِ وَعْدَ اللهِ بهزيمةِ الكافرين وتولِّيهِمُ الأدبارَ ، واذكُرْ وَجْهَ الشَّبهِ بينَها وبينَ الآيةِ (١١) ، واكتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ ما وقَعَ بكلِّ قَوْمٍ مِنْ هذهِ الأقوامِ الثلاثةِ .

٣ـ سَجِّلْ في دفترِكَ الآيةَ (٣٢) من سُورةِ الأنفالِ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآيةِ (١٦) .

الدَّرسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورَةُ ص ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **نبأُ الخَصْم** : خَبَرُ الجماعةِ المُخْتَصِمينَ .
- **تسوَّرُوا المِحرابَ** : تسلَّقُوا السُّورَ ، ودخلُوا مكانَ تعبُّدِ داودَ عليه السَّلامُ .
- **فَزِعَ منهم** : خافَ مِنْهُمْ .
- **بَغى** : جارَ وتعدَّى .
- **لا تُشْطِطْ** : لا تَبتعِدْ في حُكمِكَ عَنِ الحقِّ .
- **نَعجةٌ** : هي أُنثى الضَّأنِ .
- **أكْفِلْنِيها** : اجعَلْنِي كافِلَها ، ومُشرِفاً علَيْها .
- **عَزَّني في الخِطَابِ** : غَلَبَنِي في النِّقاشِ والجِدالِ .
- **الخُلَطاءِ** : الشُّرَكاءِ .
- **زُلْفى** : قُرْبى منَ اللهِ .
- **حُسْنَ مآبِ** : حُسْنَ مَرْجِعٍ فِي الآخِرَةِ .

التفسيرُ :

تُبيِّنُ الآياتُ ما حصلَ لداودَ عليه السلامُ معَ الخَصْمَيْن .

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لرَسولِهِ ﷺ : هل عَلِمْتَ بذلك الخَبرِ العَجيبِ الّذي وَقعَ لداودَ عليهِ السّلامُ ؟

بَيْنَما كانَ داودُ عليهِ السّلامُ في المِحْرابِ ، يعبدُ اللهَ وَيذكُرُهُ ويُناجيهِ ، وهو آمِنٌ في تلكَ الخَلْوةِ ، إذ رأى رَجُلَيْنِ غريبَيْنِ ، تَسلَّقا سُورَ المِحْرابِ ، ثُمَّ نزَلا إليهِ فدخَلا عليهِ ، عندَ ذلكَ خافَ وفَزِعَ مِنْهُما ، ظنّ أنَّهما يُريدانِ قتلَهُ ، فطَمْأناهُ ، وقالا لَهُ : اطمئِنَّ ولا تَخفْ ، فنحنُ رَجُلانِ مُتخاصِمانِ ، جارَ أحدُنا على الآخرِ ، فجئنا لِنتحاكمَ إليكَ ، لِتحُلَّ المُشكلةَ وتقضيَ بيننا بالعدْلِ والصَّوابِ ، ونرجو ألاّ تَبتعدَ في حُكْمِكَ عن الحقِّ ، ولا تظلِمَ بحُكمِكَ أحداً مِنّا ، واهْدِنا إلى الطّريقِ الصّحيحِ العادلِ .

وكان الأَوْلَى بهِ ألاّ يَفْزَعَ ولا يخاف ، لأنَّهُ في مِحرابهِ في أمانِ اللهِ ، ومُسْتغرِقٌ في مُناجاةِ اللهِ وذِكْرِهِ ، ولمّا طمأنَه الخصمانُ اطمأنَّ وزالَ فزَعُهُ .

﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

عَرَضَ أحدُهُما القَضيّةَ بقولِهِ : هذا الواقفُ بجانبي خصْمي ، وَهُوَ أخي في الإنسانيّةِ والدِّينِ والعَشيرةِ ، وَهُوَ غَنِيٌّ ، وعِنْدَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً ، أمّا أنا فإنّي لا أمْلكُ إلا نَعْجَةً واحدةً ، وقد طَمِعَ في نَعْجَتي ، وأرادَ أنْ يتملَّكَها ويَضُمَّها إلى نِعاجِهِ ، فكلَّمَني بشأنِها ، وقالَ لي : اجعلْها في كَفالتي ومُلْكي ، لِتكونَ مَعَ نِعاجي ، وقد غلَبَني عَلَيْها ، وتغلَّبَ عليَّ في الجِدالِ والنِّقاشِ ، وضمَّ نَعْجَتي إلى نِعَاجِهِ ، فَجِئْتُ أشكُوهُ إليكَ .

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾ .

بعدما سَمِعَ داودُ عليهِ السلامُ الدَّعْوى ، وعَرَفَ القضيّةَ ، أصدَرَ حُكْمَهُ ، فقالَ للمُشْتكي : لقد ظَلَمَكَ أخوكَ وجارَ عليكَ ، وتعدّى عليكَ عندما طَلَبَ أنْ يَضُمَّ نَعْجَتَكَ إلى نِعاجِهِ ، فهو بذلكَ ظالِمٌ باغٍ ، فقد أَخَذَها من دُونِ دَليلٍ يُثْبِتُ أنّها لَهُ ، ومن دونَ أنْ تَرضى أنت بذلكَ .

وتابع داودُ عليهِ السَّلامُ قائلاً : وهذا هو شأنُ مُعظم الشُّرَكاءِ ، الَّذين يَخْلِطُون أموالَهُمْ ومُمْتَلكاتِهِمْ ، فيَجُوْرُ بعضُهُمْ على بَعْضٍ ، ويطمعُ في مالِ أخيهِ أو مُلْكِهِ ، وَيُريدُ الاستيلاءَ عليه كما فَعلَ أخوكَ في الطَّمَعِ بنعجتِك .

والقليلُ مِنَ الشُّرَكاءِ يكونونَ عادلينَ مَعَ شُركاءَ أُمناءَ على أموالِهِمْ ومُمْتَلَكاتِهِمْ ، وَهُمُ الشُّرَكاءُ المُؤمنون الّذينَ يَعملُونَ الصَّالحاتِ .

﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

أكثرتْ كتبُ التفسيرِ من النَّقلِ في تفسيرِ الابتلاءِ المذكورِ هنا عَنِ الاسْرائيليّاتِ التي تزعُمُ أَنَّ فتنةَ داودَ كانتْ عندما رَأىَ امرأةَ أحدِ قُوّادِه ، فكلّفَهُ بخوْضِ معركةٍ أدَّتْ إلى اسْتشْهادِهِ ، وتزوَّجَ امرأتَه مِنْ بَعْدِهِ ، والصَّوابُ الذي تدلُّ عليه الآياتُ أنَّ فتنةَ داود كانتْ في حُكْمِهِ لأحدِ الخَصْمينِ قبلَ أن يسمعَ مِنَ الآخَرِ ، وماذكرَتْهُ الإسرائيليّاتُ لم يَدُلّ عليهِ دليلٌ صحيحٌ مِنَ الكِتابِ أو السُّنّةِ .

بَعْدَ مَا أصدرَ داودُ عليهِ السَّلامُ حُكْمَهُ في الرَّجُلَيْنِ المُتخاصميْنِ ، عَرَفَ أنّ اللهَ ابتلاهُ وَفتنَهُ و خْتَبَرَهُ بهذه الحَادِثَةِ ، وكان عليهِ ألاّ يُصْدِرَ الحُكْمَ إلا بعد سَماعِ الخصْمِ الآخَرِ .

وقد سارعَ بالتَّوْبَةِ والاسْتِغْفارِ ، فركعَ للهِ ، ثُمَّ سجدَ واستغفرَ ربّه في سُجُودِهِ ، وأنابَ إليهِ ؛ لأنّه أوّابٌ سريعُ الرُّجوعِ إلى اللهِ .

واستجابَ له ربُّهُ ، وقبِلَ توبَتَهُ واستغفارَهُ ، وغَفر لهُ ما كانَ مِنْهُ ، وجعلَ لهُ عندَهُ المَنزلَةَ العالية ، وقرّبَهُ واصْطَفاهُ واستَخْلَصَهُ ، وكتَبَ لهُ المَرْجعَ الحَسَنَ عندَهُ .

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

عاتَبَ اللهُ تعالى نَبيَّهُ داودَ عَلَيْهِ السلامُ بَعْدَ توبتِهِ وإنابتِهِ ، وأخبرَهُ أنّهُ جعلَهُ خليفةً في الأرضِ ، ومَلِكاً على النّاسِ ، وأَمرَهُ أنْ يَحْكُمَ بينَ الناسِ بالحقِّ والعدْلِ ، ونهاهُ عن اتّباعِ الهوى في حُكْمِهِ وَقَضائِهِ ، لأنَّ اتّباعَ الهوى يُضِلُّهُ عَنْ سبيلِ اللهِ .

والذينَ يتّبعونَ الهوى ويَضِلُّون عَنْ سبيلِ اللهِ لَهُمْ عذابٌ شديدٌ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ ، بسببَ ضلالِهِمْ وانحِرافِهِمْ ، وبسبَبِ نِسيانِهِمْ أهوالَ يومِ القيامة ، وما فيهِ منْ حِسَابٍ وَجَزَاءٍ ، وثواب وعِقاب .

وإذا كان نبيُّ اللهِ داودُ عَليْهِ السَّلامُ مأموراً بالحُكْمِ بالحقِّ والعدلِ ، وعَدمِ الجَوْرِ واتِّباعِ الهَوى ،

وهو الرّسولُ المعصومُ عَليْهِ السَّلامُ ، فإنَّ غَيْرَهُ مِنَ الحُكّامِ والقُضاةِ أَحرى أنْ يلتزِمُوا بهذهِ الوصيَّةِ الحَكِيمَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يختبرُ اللهُ عبادَه بماشاءَ ، وعلَّمَ المُسْلمَ أنْ يصبرَ عِنْدَ الاخْتِبارِ .

٢ـ الخوفُ والفزَعُ مِنَ المُفاجآتِ ظاهرةٌ إنسانيّةٌ ، وليسَتْ دليلَ نقْصٍ في الإنسانِ .

٣ـ الأنبياءُ مَعصُومونَ مِنْ قَصْدِ الظُّلمِ والجَوْرِ ، ولكنَّهم قدْ لا يُصيبُونَ الحَقَّ ، فَهُمْ بَشَرٌ لا يعلمونَ كلَّ شيءٍ .

٤ـ كثيرٌ مِنَ الشُّركاءِ يَظلِمُ بعضُهم بَعْضاً ، ويَطْمَعُ فِيهِ ، وَيَتعدّىٰ عليهِ ويَخُونُهُ .

٥ـ الصّالحونَ الأُمناءُ مِنَ الشُّركاءِ قليلونَ ، وهُمُ المُؤْمِنونَ العامِلونَ للصّالحاتِ .

٦ـ على الحُكّامِ والوُلاةِ والقُضاةِ الحِرْصُ على الحُكم بِالعدلِ ، وتطبيقُ شَرْعِ اللهِ ، وتجنُّبُ الهَوى والجَوْرِ .

٧ـ على الحُكَّامِ والقُضاةِ ألاّ يَقْضُوا بينَ الخُصُومِ ، حتّى يَسْمَعُوا مِنَ الأطْرَافِ كُلِّها .

٨ـ لا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ بما جاءَ في الإسْرائيليّاتِ التي تَنْتَقِصُ أنبياءَ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنى كلٍّ ممّا يلي : تسوّروا المِحْرَابَ ، عَزَّني في الخِطَابِ ، الخُلَطَاءِ ، يَبغي بعضُهُمْ على بعضٍ . زُلْفى وحُسنَ مآبٍ .

٢ـ ما الحالةُ التي كانَ عَليْها داودُ عَليْهِ السَّلامُ عندما أتاهُ الخَصْمانِ ؟ ولماذا فَزِعَ مِنْهُمْ ؟

٣ـ كيف تصرَّفَ داودُ عَليْهِ السَّلامُ في قضيَّةِ الخَصْمَيْنِ ؟ وَلِمَ عاتَبَهُ ربُّهُ ؟

٤ـ اذكُرْ خلاصَةَ قَضيَّةِ الخَصْمَيْنِ ، وما حُكْمُ داودَ عَليْهِ السَّلامُ فيها ؟

٥ـ مَنْ مِنَ الشُّركاءِ يكونُ أميناً ؟ ومَنْ مِنهُمْ يكونُ خائناً طمّاعاً ؟

٦ـ متى أدركَ داودُ عَليْهِ السَّلامُ أنّ اللهَ اختبرَهُ ؟ وماذا فَعَلَ بعدَ ذلك ؟

٧ـ بماذا تُفسِّرُ استغفار داودَ عليه السّلامُ ، وهو الرّسولُ المعْصومُ ؟

٨ـ استخرجْ من الآيةِ الأخيرةِ أمراً ونَهْياً مِنَ اللهِ لداودَ عليه السَّلامُ .

نشاطٌ

اقْرأ تفسير الإمام ابنِ كثيرٍ لهذه الآيات ، واكتُبْ في دفترك رأيَهُ الصّواب في فَهْمِ هذه الآيات ، وكيف تردُّ على اتِّهام أهل الباطل لسيّدنا داودَ عليه السّلامُ بما لا يليقُ .

* * *

الدَّرسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ ص ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

الفُجّارِ : الأشقياءُ مرتَكِبُو المَعاصي .

أُولو الألبابِ : أصحابُ العقولِ .

نِعْمَ العبدُ : ثناءٌ على سُليمانَ عليه السَّلامُ ، ومَدْحٌ له .

أوّابٌ : كثيرُ الرُّجوعِ إلى اللهِ .

العَشِيِّ : ما بعدَ العَصْرِ ، وقبلَ غُروبِ الشَّمسِ .

الصَّافِنَاتُ : الخيلُ تقفُ الواحدةُ منها على ثلاثِ قوائمَ ، وطَرَفِ حافرِ الرابعةِ .

الجيادُ : الخيلُ شديدةُ الجَرْيِ .

أحببْتُ حُبَّ الخيرِ : أحبَبْتُ الخيلَ حُبّاً كثيراً .

حتى توارَتْ بالحِجَابِ : حتى اختفَتْ عَنِ الأنظارِ .

طَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعناقِ	شرعَ سليمانُ عليه السلامُ يُربِّتُ ويَمْسَحُ على سِيقانِ الخيلِ وأعْناقِها تدليلاً لها .
فَتَنَّا سليمانَ	امتَحَنَّا سُليمانَ عليه السَّلامُ واختبرْناهُ .
أَلْقَينا على كُرْسِيِّهِ جسَداً	وضَعْنا على كُرسِيِّهِ جُثَّةً ميِّتَةً .
لا ينبغي لأَحَدٍ مِنْ بَعدي	لا يكونُ لأحدٍ من بَعدِي .
رُخاءً	لَيِّنَةً تَحمِلُ الرَّخاءَ والغَيْثَ .
مُقَرَّنينَ في الأصفادِ	مُقيَّدينَ في القيودِ والسَّلاسلِ .
زُلْفَى وحُسْنَ مآبٍ	قُرْبى عندَ اللهِ ، ومَرجِعاً حَسَناً في الآخِرَةِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ داودَ ، لتتحدَّثَ عَنْ ابنه سليمانَ ، عليهما السَّلامُ ، وماأنعمَ اللهُ به عليهِ مِنَ النِّعَمِ .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

هذا تعقيبٌ على قصَّةِ داودَ عَليْهِ السَّلامَ ، فيهِ تَهْديدٌ لِلْكُفَّارِ ، يُقرِّرُ اللهُ فيه أنَّهُ لم يَخلُقِ السّمواتِ والأرضَ باطِلاً وعَبَثاً ولَهْواً ، إنّما خلَقَهُما لِحكمةٍ مَقصودةٍ ، للدَّلالةِ على قُدرتِه سُبحانَهُ ، ولم يَخلُقِ النّاسَ عَبثاً أيضاً ، إنَّما خَلَقَهُم لِعبادتِهِ ، وأمرَهُمْ بطاعتِهِ ، وأخبرَهُم أنَّه سيُحاسِبُهُمْ يومَ القيامةِ .

والكُفّارُ يظنّونَ أنّ اللهَ خلقَ الخَلْقَ عَبثاً ، ولذلكَ لم يقومُوا بِواجبهِمْ في طَاعتِهِ ، وأَنكَرُوا البعثَ والحِسابَ ، وسَيُحاسِبُهُمُ اللهُ يومَ القيامةِ ، ويُدْخِلُهُمُ النّارَ مُخلَّدينَ فيها ، بِسبَبِ كُفرِهِمْ ومَعَاصيهِمْ .

وبما أنّ اللهَ خلَقَ النّاسَ لعبادتِهِ ، فإنّهُ لا يَتَساوى المُؤمنونَ المُطيعونَ المُتَّقُونَ مَعَ الكافرينَ الفُجَّارِ المُفْسِدينَ في الأَرْضِ في الدُّنيا ولا في الآخِرَةِ ، فالمُؤْمِنونَ في الدُّنيا سُعداءُ ، والفُجّارُ أشقياءُ تُعَساءُ ، والمُتَّقونَ في الآخِرَةِ مُنعَّمونَ في الجَنَّةِ ، والفُجَّارُ مُعَذَّبونَ في النّارِ .

وقد أرشدَنا اللهُ إلى طريقِ السَّعادةِ في الدُّنْيا والفَوْزِ في الآخِرَةِ ، وذَلِكَ في القُرآنِ الذي أنزَلَهُ

على رَسُولِهِ ﷺ ، وجَعلَهُ مُباركاً كثيرَ الخَيْرِ . وأوجَبَ على المُؤمنينَ تدبُّرَ آياتِهِ وحُسْنَ فَهْمِها ، والعَمَلَ على تطبيقِ أحكامِها والالتزامَ بتَوْجيهاتِها . عندَ ذلكَ يتذكَّرُونَ ماأوجبَهُ اللهُ عليهِمْ ، ويكونونَ مِنْ أُولي الألبابِ ، وأصحابِ العقولِ الكبيرةِ .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

في مُقدِّمةِ أُولِي الألبابِ الأنبياءُ والرُّسُلُ ، ولِذلكَ تحدَّثَتِ الآياتُ عَنْ سليمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، الّذي وَرِثَ أباه داودَ في النُّبوَّةِ والمُلْكِ . فأخبرَ اللهُ أنَّهُ وَهَبَ لِداودَ سليمانَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، وأثنى اللهُ عليهِ ومدَحَهُ، ووصَفَهُ بأنّه : نِعْمَ العبدُ ، وأنّه كثيرُ التوبةِ والرّجوعِ إلى اللهِ ، مُسْتَمِرٌّ على عبادتِه وطاعتِهِ وذِكْرِه .

ثم أخبرَنا اللهُ عَنِ اهْتِمامِ سليمانَ عليهِ السَّلامُ بالخَيْلِ المُعَدَّةِ للجهادِ ، وحِرصِهِ على استمرارِ لَياقَتِها الجِهَادِيَّةِ ، ولذلكَ كَانَ يأْمُرُ باستمرارِ تدريبها وجَرْيِها ، وكانتْ خيلُهُ أَصيلةً جميلةً ، مِنْ أفضلِ أنواعِ الجِيادِ ، وعندما تقفُ تكونُ وِقْفَتُها جَمِيلَةً ، حيثُ تَقُومُ على ثلاثِ قوائمَ وطَرَفِ حافرِ الرابعةِ ، وإذا ركضَتْ تكونُ سريعةً شديدةَ الجَرْيِ .

وفي أحدِ الأيامِ أَجْرى سُلَيْمانُ عليهِ السَّلامُ لجيادِهِ الصّافناتِ تَدْريباً ، وكان ذلكَ في آخرِ النَّهارِ ، حيثُ جرَتْ في المَيْدانِ ، وكان مُعْجَباً بها مُحِبّاً لها ، فقالَ لِمَنْ حَوْلَهُ : إني أُحبُّ الخيلَ مَحَبّةً عظيمةً ، وحُبْي لَها لم يكُنْ عَنِ الهَوى ، والمِزاجِ ، وإنما حُبّي لها مِنْ ذِكْرِ ربّي ، وبسبَبِ أمرِهِ لي باتّخاذِها للجِهادِ .

وابتعدَتِ الجيادُ الرّاكِضةُ عَنْ سليمانَ عليهِ السَّلامُ ، حَيْثُ توارَتْ خَلْفَ حِجابٍ يَحجُبُها عَنْهُ ، ولم يَعُدْ يَراها ، فطلَبَ ممّنْ حَولَهُ أنْ يُعيدُوها إليهِ بَعْدَ انتهاءِ تَمْرينِهَا التّدريبيِّ ، ولمّا وقَفْتْ عَلَيْهِ أُعْجِبَ بمنظرِهَا وقُوَّتِها ، وعَمِلَ على تدليلِها ، فصارَ يَمْسَحُ على سيقانِها وظهورِها وأَعناقِها ، ويُمرِّرُ يَدَيْهِ عَلَيْهَا تكريماً لها .

هذا هو الفهمُ الصَّوابُ لهذه الآياتِ إنْ شاءَ اللهُ ، ولا يجوزُ أنْ نلتفِتَ إلى الإسرائيليّاتِ الكاذبةِ التي نسبَتْ لسليمانَ عليه السلامُ تصرُّفاتٍ غيرِ لائقةٍ مَعَ جِيادِهِ ، ولا تَصْدُرُ عَنْ مُؤمِنٍ صالحٍ ، فَضْلاً عن رسولٍ نَبِيٍّ!

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ الحديثِ عن حُبِّ سليمانَ عليهِ السَّلامُ لجيادِهِ الصَّافِنَاتِ أشارَتِ الآياتُ إلى فتنةِ سليمانَ عليه السّلامُ ، حيثُ امتحَنَه اللهُ وابتلاهُ ، بأنْ طَرَحَ على كُرْسِيِّهِ ـ وهو مَلِكُ بني إسرائيلَ ـ جَسَداً لا حِراكَ فيه ، وجُثَّةً هامدةً ميتةً ، ولمّا رأى سليمانُ الجَسَدَ على الكُرسِيّ أمامَه عَلِمَ أنّ هذا اختبارٌ

مِنَ اللهِ لَهُ ، فأنابَ وَرَجَعَ إلى اللهِ ، وأقبلَ عليه تائباً مُسْتَغْفِراً ، وهو الأوّابُ إلى ربِّه دائماً .

ولا نَعْرِفُ تفاصيلَ قصةِ هذا الجَسدِ الميّتِ ، ولا نذهبُ إلى الإسرائيلياتِ الكاذبةِ ، في كَذِبِها على سُلَيْمانَ عليه السلامُ ، ونِسْبَتِها لَهُ أشياءَ لا تليقُ ، وَنَكْتَفي بهذهِ الإشارَةِ القُرآنيةِ المُجْمَلةِ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

نَجَحَ سُلَيْمانُ عليهِ السلامُ في الفتنةِ والامْتِحانِ ، وأنابَ إلى اللهِ ، وطلبَ مِنَ اللهِ أنْ يغفرَ له بعضَ ما يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ أفعالٍ ، ومعلومٌ أنَّ المُرسَلينَ كانوا يُكثِرُونَ مِنَ الاسْتِغْفارِ ، لا عَنْ ذنوبٍ وَمعاصٍ ، ولكنْ مِنْ بابِ ذِكْرِهِمْ للهِ ، وحُبِّهِم لَهُ ، وشُكْرِهِمْ لنِعَمِهِ .

وطلبَ سليمانُ من اللهِ أنْ يَمُنَّ عليهِ بأنْ يهبَهُ مُلْكاً عظيماً يخُصُّه بهِ ، ولا يُعطيهِ لأحدٍ غيرِهِ ، وهو لا يُريدُ هذا المُلْكَ لِلْمُباهاةِ والاسْتِعْلاءِ ، إنَّما لِيجعَلَهُ مَظْهَراً لِذكرِ اللهِ وشُكرِهِ ، وتطبيقِ شَرْعِهِ .

واستجابَ اللهُ لَهُ ، وخَصَّهُ بمُلْكٍ عظيمٍ ، حيث سخَّرَ لَهُ الرّيحَ ، وجَعَلَها مُنقادةً لَهُ ، وَتَجْري بأمرِهِ ، وتتوَجَّهُ حيثُ وجَّهَها ، وتَحْمِلُ مَعَها الرَّخاءَ وَالغَيْثَ ، وتنشُرُ الخَيْرَ في الأقطارِ التي يُوجِّهُها إليها ، وذلّلَ اللهُ الشّياطينَ الأَقْوياءَ وجَعَلَهُمْ مُستسلِمينَ لَهُ ، مُنفِّذينَ لأوامرِهِ ، مِنهُم مَنْ يَعْمَلُ في بناءِ القُصورِ الشّاهقةِ ، ويصنعُونَ المَحاريبَ والتّماثيلَ والجفانَ والقُدورَ ، ومنهم مَنْ يغُوصُ فِي أعماقِ البحارِ ، لاسْتِخْراجِ الجَواهرِ واللآلىءِ منها ، وَمَنْ قَصَّرَ مِنْهُمْ أو عَصى عاقبَه سليمانُ ، بوضْعِ القيودِ والأغلالِ في يَدَيْهِ ، وإلقائِه في السِّجنِ .

وأعطى اللهُ لِسُلَيْمانَ عليهِ السَّلامُ حُريَّةَ التصرُّفِ في ما أعطاهُ مِنَ النِّعمِ ومظاهرِ المُلْكِ ، وقالَ له : هذا عَطاؤنا لَكَ وإنعامُنا عليكَ ، فامنُنْ على مَنْ تشاءُ ، وأَعْطِهِ كما تشاءُ ، وأَمسكْ عَمَّنْ تشاءُ ، وامنَعْ مَنْ تشاءُ ، لا حسابَ عَلَيْكَ فيما أَعْطَيْتَ ، ولا لَوْمَ عليكَ فيما مَنَعْتَ هذا في الدُّنيا .

وفي الآخرةِ جَعَلَ اللهُ لِسُلَيْمانَ عليهِ السَّلامُ قُربى وكَرامةً عندَهُ ، لأنَّهُ مِنْ عبادِ اللهِ المُقرَّبينَ ، وله المَرْجِعُ الحَسَنُ ، والعاقبةُ الكريمةُ ، مُخلَّداً في جنّاتِ النعيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ وما بينهما لِحِكْمَةٍ وغايةٍ ، وخَلَقَ الناسَ للعبادةِ .

٢ـ لا مساواةَ بين المُتَّقينَ والفُجّار في الدنيا ولا في المَصيرِ في الآخِرَةِ ، وفَرْقٌ بينَ مُنْعَم عليه ومُعَذَّب .

٣ـ جَعَلَ اللهُ القرآنَ كتاباً مُباركاً ، وأوْجبَ على المُسْلمينَ تَدَبُّرَهُ وتطبيقَ أحكامِهِ ، ليكونُوا مِنْ أصحابِ العقولِ .

٤ـ كانَ سليمانُ عليهِ السلامُ رَجُلَ جهاد ، يُحِبُّ الخيلَ ويُكْرِمُها ويُدرِّبُها ، ويُهيِّئُها للجهادِ .

٥ـ قد يُعطي اللهُ بعضَ عبادِهِ خَيْرَي الدنيا والآخِرَةِ ، كما فعلَ مَعَ سُلَيْمانَ عليهِ السّلامُ .

التَّقْويمُ :

أجب عن الأسئلة الآتية :

١ـ ما نظرةُ الكُفّارِ إلى خلْقِ السّمواتِ والأرضِ ؟ وكيفَ تردُّ آياتُ الدّرسِ على تلكَ النظرةِ ؟

٢ـ استخرجْ مِن الآيةِ (٢٨) صِفاتِ المُؤمنينَ وصفاتِ الفُجّارِ ، وبيِّنْ حِكْمةَ عدمِ تَساويْهِما عندَ اللهِ .

٣ـ بماذا وصفَ اللهُ خيلَ سُليمانَ عليهِ السّلامُ ؟ وما مَعْنى تِلكَ الصّفةِ ؟ وبَيِّنْ ما فَعَلهُ بها في ذلكَ اليومِ ؟

٤ـ اذكُرْ فتنةَ اللهِ لِسُليمانَ بذلكَ الجسدِ ؟ وماذا فعلَ سليمانُ بعدَ تلكَ الفِتْنَةِ ؟

٥ـ بماذا تُفسِّرُ استغفارَ سليمانَ عليهِ السّلامُ للهِ ؟ ولماذا كانَ يُكْثِرُ مِنْ ذلكَ الاستغفارِ ؟

٦ـ بماذا تفسِّرُ طَلَبَ سليمانَ عليهِ السلامُ مُلْكاً خاصّاً بِهِ ؟

٧ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ مظاهرَ المُلْكِ الخاصِّ الذي خصَّ اللهُ بِهِ سُليمانَ عليهِ السّلامُ .

٨ـ ماذا قالَ اللهُ لِسُليمانَ بَعْدَما أنْعَمَ عليهِ بالنِّعَمِ الخاصّةِ ؟ وما مَعْنى ذلكَ القولِ ؟ .

نشاط :

١ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ الأخيرةِ مِنْ سُورةِ (المؤمنون) آيتَيْنِ تُقَرِّرانِ أنَّ اللهَ لم يَخلُقِ الناسَ عَبَثاً ، وأنَّ هذا القَوْلَ يتنافى مَعَ حِكمةِ اللهِ ، واكتُبْهُما في دفترِكَ .

٢ـ استخرجْ مِنْ سورةِ سَبأ بعضَ ما كانَ يعملُ الشياطينُ لسليمانَ عليهِ السّلامُ ، وصِفِ القَصْرَ الجميلَ الذي بَنَتْهُ لَهُ الشياطينُ واستقبلَ بهِ مَلِكَةَ سَبأ ، واستخرجْ وَصْفَهُ مِنْ سُورةِ النَّمْلِ ، واكتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

الدَّرسُ الخامسَ عشَرَ

سورةُ ص ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

مَسَّنِيَ الشّيطانُ	: أصابَنِيَ الشّيطانُ .
بنُصُبٍ	: بضُرٍّ وتَعَبٍ .
اركُضْ برِجْلِكَ	: اضْرِبِ الأرضَ برِجْلِكَ .
ضِغْثاً	: حُزمةً صَغيْرةً مِنَ الحشيشِ ، أو الأغصانِ الصَّغيرةِ .
لا تَحْنَثْ	: لا تأثَمْ في عدمِ إنفاذِ اليمينِ .
أوّابٌ	: رجّاعٌ إلى اللهِ بالتوبةِ والإنابةِ .
أُولي الأيدي	: أصحابَ القوّةِ فِي العبادةِ .
ذِكرى الدَّارِ	: تذكُّرِ الدارِ الآخِرةِ ، والعملِ لها .
من المُصْطَفَيْنَ الأخيارِ	: المُخْتارِينَ المُفَضَّلِينَ على الآخَرِينَ .

التّفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ نبيِّ اللهِ سليمانَ عليهِ السّلامُ ، لتتحَدَّثَ عن رُسُلٍ أخيارٍ آخرَينَ ،

هم أيُّوبُ وإبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ وإسماعيلُ واليسعُ وذو الكفلِ ، عليهمُ الصّلاةُ والسّلامُ .

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لِرسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : كما ذَكَرْتَ داودَ وسليمانَ عليهما السّلامُ ، اذكُرْ عبدَنا أيُّوبَ عليه السّلامُ ، وتذكّرْ قَصّتَهُ مَعَ البَلاءِ والمرَضِ ، وصَبْرَه عليهِ .

لقد مَرِضَ أيوبُ عليه السّلامُ مرَضاً شديداً ، وطَالَ مَرَضُهُ ، ولم يَبْقَ علىٰ الوفاءِ لَهُ إلا زوجَتُهُ واثنانِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، واستمرَّ بِهِ بلاؤُه ثماني عَشْرةَ سنةً كما صحَّ في الحديثِ .

وعندما طالَ مرضُهُ ـ عليه السّلامُ ـ نادى ربَّه مُتضرِّعاً إليه ، طالِباً منه الشِّفاءَ ، وقال : لقد أَصَابني الشيطانُ بضُرٍّ وتَعَبٍ وَمشقةٍ ، وأدّى ذلك إلىٰ تَعذيبيْ وإيلامِي .

وقد نَسَبَ إصابتَه بالضُّرِّ إلى الشّيطانِ ، مع أنّها مِنَ اللهِ في الحقيقةِ ، لأنّ كلَّ ما يُصيبُ الإنسانَ مِنْ ضُرٍّ أو نَفْع فهُوَ مِنَ اللهِ ، وقد فَعَلَ أيوبُ عليهِ السّلامُ ذَلِكَ أدباً مِنْهُ مَعَ اللهِ ، وتوَقيراً لَهُ كما فعلَ إبراهيمُ عليه السّلامُ ذلكَ مِنْ قَبلُ ، في قولِهِ : ﴿والذيْ هُو يُطْعِمُنِي ويَسْقِيْن ، وإذا مَرِضْتُ فهُوَ يَشْفِين﴾ [الشعراء : ٧٩ـ ٨٠] .

وقد استجابَ اللهُ دُعاءَ أيوبَ عَلَيْهِ السّلامُ ، وأذِنَ بشفائِهِ ، وكَشْفِ الضُرِّ عَنْهَ ، وأرشدَهُ إلى طريقةِ الشِّفاءِ ، فقالَ له : اضرِبْ برِجْلِكَ الأرضَ . فلمّا ضرَبَها أنبعَ اللهُ لَهُ نبعَ ماءٍ ، وجعلَ ذلك آيةً له أَكْرَمَهُ بها ، وكان ماءُ العَيْنِ بارداً ، وطلبَ اللهُ مِنْهُ أنْ يَغْتَسِلَ في ذلك الماءِ البارِدِ ، وأنْ يشربَ مِنْهُ ، وسوف يبرأُ ويزولُ مرضُهُ بإذنِ اللهِ ، فَفَعَلَ وعافاهُ اللهُ في الحالِ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

بَعْدَما عافى اللهُ أيوبَ عليهِ السلامُ مِنْ مرضِهِ زادَ اللهُ عليهِ إنعامَهُ وفَضْلَهُ ، فأعادَ اللهُ لَهُ مالَهُ الكثيرَ ، وضاعَفَ له أهلَهُ وأولادَهُ ، رحمةً منه بِهِ ، وإكراماً لَهُ .

وجعلَ اللهُ ما جَرى لأيوبَ عليهِ السلامُ تذكرةً لأُولي الألبابِ وأصحابِ العُقُولِ الكَبيرَةِ مِنَ المُؤمنينَ ، الذين يَقْتَدُون بهِ في صَبْرِهِ على الابتلاءِ ، وإنابتِهِ إلى اللهِ ، وطلبِ الفَرَجِ مِنْهُ .

وكان أيوبُ عليه السّلامُ قد حَلَفَ يميناً أنْ يَضرِبَ زَوْجَتَهُ إنْ عافاهُ اللهُ ، لِغَضَبِهِ علَيْها يوماً ولكنَّهُ شَقّ عليهِ أنْ يَجْزِيَها لِقاءَ صَبْرِها مَعَهُ بالضَّرْبِ ، فأرشَدَه اللهُ إلى وَسِيلَةٍ يُمضِي بها يَمينَهُ ويُنَفِّذُهُ . ولا يَحْنَثُ فيهِ ، وذلكَ بأنْ يأخذَ حُزْمَةً صَغيرةً مِنَ الحشائشِ أو فُروعِ أغصانِ الشَّجَرِ الطَّرِيَّةِ فَيَضْرِبَها بها ولا يَحْنَثُ في اليمينِ ، وهذا من إنعامِ اللهِ عليهِ ، لأنَهُ نَفَّذَ به يَمينَهُ .

وقد شهد اللهُ لأيوب عليه السّلامُ بالصّبر والعُبوديّةِ والإنابةِ ، فقد وجدهُ صابراً على ما ابتلاهُ بهِ من المرضِ وذهابِ الأهلِ والأولادِ والأموالِ ، ولم يؤثر ذلك في عبادتِهِ للهِ وإخلاصِهِ له ، فكان أوّاباً دائمَ التوبةِ والعودةِ والإنابةِ إلى الله . ولذلك أكرمهُ اللهُ بالشّفاءِ وتفريجِ الكربِ ، ومضاعفةِ الأهلِ والأموالِ .

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

تنتقلُ الآياتُ من الحديثِ عن قصةِ أيّوبَ عليهِ السّلامُ إلى ذكرِ بعضِ رُسُلِهِ وأنبيائِهِ ، إذْ طلبَ اللهُ من رسولِهِ محمدٍ ﷺ أن يذكرَ رُسُلَهُ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ عليهمُ السّلامُ ، وأنْ يقتديَ بهمْ في عبادتِهمْ للهِ ، وقد وصفهمُ اللهُ بأنّهم أولو القوّةِ في العبادةِ والطّاعةِ ، والبصرِ والبصيرةِ والفقهِ والدّينِ .

وشهدَ اللهُ لهؤلاءِ الرُّسُلِ الكرامِ بأنّهُ استخلصهمْ لطاعتهِ ، وخصّهمْ بخصلةٍ كريمةٍ هي العملُ للدّارِ الآخرةِ ، واستمرارُ تذكّرِها ، وكانتْ سيرتُهمْ تذكّرُ من بعدهمْ بالدّارِ الآخرةِ أيضاً .

﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

وطلبَ اللهُ من رسولِهِ ﷺ أنْ يذكرَ للنّاسِ ويتذكّرَ قصصَ ثلاثةٍ من الأنبياءِ ، همْ إسماعيلُ واليسعُ وذو الكفلِ عليهمُ السّلامُ ، وهمْ من الأخيارِ الذين اصطفاهمُ اللهُ واختارهمْ على خلقِهِ . وكلُّ رُسُلِ اللهِ وأنبيائِهِ مصطفونَ أخيارٌ ، ذوو فضلٍ ومنزلةٍ عاليةٍ عندَ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ رسلُ اللهِ وأولياؤهُ أشدُّ النّاسِ بلاءً .

٢ـ الواجبُ على المؤمنِ الأدبُ مع اللهِ ، فلا ينسبُ الشرَّ إلى اللهِ ، بل يفعلُ كما فعلَ أيوبُ عليهِ السّلامُ .

٣ـ على المؤمنِ الصّبرُ على الابتلاءِ والاقتداءُ في ذلكَ بأيوبَ عليهِ السّلامُ .

٤ـ الصبرُ على البلاءِ لا يمنعُ التضرّعَ إلى اللهِ لكشفِهِ ، فالدّعاءُ هو العبادةُ .

٥ـ كلُّ رُسُلِ اللهِ من عبادِهِ الأخيارِ الذين اصطفاهمْ ، ووفّقهمْ للعملِ للدّارِ الآخرةِ ، وجعلهمْ قدوةً لغيرِهمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا نَسَبَ أيوبُ عليهِ السّلامُ النَّصب إلى الشَّيْطانِ ؟ وعلى ماذا يدلُّ ذَلِكَ ؟

٢ـ ما الآيةُ التي آتاها اللهُ لأيوبَ عليه السّلامُ ؟ وماذا فعَلَ حتى عافاهُ اللهُ ؟

٣ـ ماذا فعلَ اللهُ لأهلِ أيوبَ ومالِهِ عليه السّلامُ ؟

٤ـ ما الوسيلةُ التي أرشدَ اللهُ أيوبَ إليها كي لا يَحْنَثَ بِوعدِهِ ؟

٥ـ ما الذي تميَّزَ به أيوبُ عليه السّلامُ ؟ وَبِمَ شَهِدَ اللهُ لَهُ في الآياتِ ؟

٦ـ ما معنى وَصْفِ رُسلِ اللهِ بأنّهم أُولو الأيدي والأبصار ؟

٧ـ ما معنى قولِهِ تعالىٰ : ﴿إنا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرى الدارِ . وإنَّهم عِندَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأخيارِ﴾ ؟ .

نشاط :

١ـ سَجِّلْ آيتيْنِ مِنْ سُورةِ الأنبياءِ تتحدَّثانِ عن أيوبَ عليه السّلامُ ، وَطَلَبِهِ مِنَ اللهِ أنْ يكشفَ عنه ضُرَّهُ ، واذكُرِ الشَّبهَ بينَهما وبينَ الآياتِ (٤١ـ٤٣) .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ كفّارةَ اليمينِ .

٣ـ اذكُرْ دَرَجَةَ القرابةِ التي جمَعتِ الأنبياءَ المذكورينَ في الآياتِ : إبراهيمَ ، وإسحاقَ ، ويعقوبَ ، وإسماعيلَ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، واكتُبْ ذلك في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورَةُ ص ـ القِسْمُ السَّادِسُ

هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

معاني المُفْرداتِ :

حُسْنَ مآبٍ	: حُسْنَ مَرْجعٍ ومصيرٍ في الآخِرَةِ .
مُتَّكِئينَ فيها	: يجلسُون فيها على الأرائكِ والأَسِرَّةِ .
قاصراتُ الطَّرْفِ	: يَقْصُرْنَ نَظَرَهُنَّ على أزواجِهِنَّ ، فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرِهِمْ .
أترابٌ	: مُستَوِياتٌ في السِّنِّ .
نفادٍ	: انتهاءٍ وانقطاعٍ .
المِهادُ	: الفراشُ .
حميمٌ	: ماءٌ حارٌّ شديدُ الحرارةِ .
غَسَّاقٌ	: هو ما يَسيلُ مِنْ أبدانِ الكُفّارِ مِنْ صَديدٍ وقَيْحٍ وأوساخٍ .
أزواجٌ	: أصنافٌ وأنواعٌ .
فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ معكُم	: جماعةٌ من الكُفَّارِ تدخلُ النارَ معكم .
بئسَ القرارُ	: بئس المقرُّ : المكانُ الذي يكونُ فيه الكفّارُ في نارِ جهَنَّمَ .
عذاباً ضِعْفاً	: عذاباً مُضاعَفاً .

التفسيرُ :

انتقلتِ الآياتُ من ذِكرِ الرّسلِ المُصطفَيْنَ الأخيارِ عليْهِمُ السّلامُ ، لتتحدثَ عنْ ثوابِ المُتقينَ وعذابِ الكُفّارِ .

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ ﴾

القرآنُ ذِكْرٌ للنّاسِ ، وقد ذكَرَ في الآياتِ السّابقةِ الأنبياءَ الأخيارَ لِيتذكّرَهُمُ الصّالِحُونَ ويَقتدُوا بِهِمْ ، ويَعْمَلُوا للآخِرَةِ مِثْلَهُمْ .

وعندما يتذكَّرُهُمُ المُؤمِنونَ ويقتدون بهمْ ، يُحسِنُونَ ويُخلِصُونَ للهِ ، ويكونُونَ من المتّقين ، ويُكرِمُهُمُ اللهُ في الآخِرَةِ ، ويجعلُ لهُمْ لمرجعِ الحَسَنَ ، والمصيرَ المحمُودَ ، فيُدخِلُهُمْ جنّاتِ عدْنٍ برَحْمَتِهِ ، ويُحِلُّ عليهِمْ فيها رِضوانَهُ ، وعندما يأتُونها تُفتَحُ لهم أبوابُها تكريماً لهُمْ .

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

يكونُ أهلُ الجنّةِ مُنعَّمِينَ فيها ، ويتّكئونَ على الأرائكِ والأسِرَّةِ ، يطلبونَ فيها ما يُريدُونَ ، مِنْ أنواعِ الفاكهةِ الكثيرةِ والمُنوّعةِ ، وأنواعِ الشّرابِ العذْبِ الطّيّبِ .

وللمُؤمنين في الجنّةِ زوْجاتٌ جميلاتٌ مُنعّماتٌ ، يقْصُرْنَ طرْفهُنَّ على أزواجِهنَّ ، لا ينظُرْنَ إلى غيرِهِمْ مُبالَغةً في عِفّتِهِنَّ وطَهارتِهِنَّ ، وهُنَّ أترابٌ مُتساوياتٌ في السِّنِّ ، ومُتساوِياتٌ في الحُسْنِ والجمالِ ، يَستمتِعُونَ بهِنَّ ، وهكذا جمعَ اللهُ للمُتّقين في الجنّةِ نعيمَ المسْكنِ ، ونعيمَ المأكولِ والمَشْروبِ ، ونعيمَ الاستمتاعِ بالحُورِ العِينِ ، وهُمْ في غايةِ السّعادةِ .

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

وقد رغّبَ اللهُ المُتّقينَ في الجنّةِ ونعيمِها ، حيثُ قال لهُمْ : هذا الذي ذكَرْتُهُ لكُمْ مِنْ نعيمِ الجنّةِ هو الجزاءُ والثّوابُ الذي وعدْتُكُمْ بهِ ، وأجّلْتُ إعطاءَكم إيّاهُ ليومِ الحِسابِ ، فأُدخِلُكُمُ الجنّةَ بعْدَ حسابِكُمْ ونَجاحِكُمْ .

وهذا الذي نُنْعِمُ بهِ عليكُمْ في الجنّةِ هو رزقُكُمْ إيّاهُ ، وهو دائمٌ لا انقطاعَ لهُ ، ومستمرٌّ لا نفادَ لَهُ ، بخلافِ ما عندَكُمْ في الدُّنيا مِنْ رزقٍ وخيرٍ فإنّه يَنْتَهي وينفدُ كما قال تعالى : ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وما عِنْدَ اللهِ باقٍ﴾ [النحل : ٩٦] .

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

هذا المَذكورُ في الآياتِ السابقةِ هو نعيمُ المُتّقينَ الصّالحين ، أمّا الكافرونَ الطُّغاةُ فإنَّ لَهُمْ سُوءَ

المَرْجِع ، وبئسَ المَصِيرُ والعاقبةُ ، فقد أعدَّ اللهُ لَهُم جهَنَّمَ ، وما فيها مِنْ نارٍ وعذابٍ ، يَدْخُلُونَها ويَصْلَوْنَها ويُعَذَّبُوْنَ فيها .

وبئسَ الفِراشُ فراشُهُم في النَّارِ ، فَهُمْ يفْتَرِشونَ النّارَ مِهاداً ، ويَتَغَطَّوْنَ في النارِ بغَواشِيَ مِنْ فَوقِهِم . كما قال تعالى : ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف : ٤١] .

وإذا كانتِ النارُ مِهاداً وفِراشاً لَهُمْ ، فإنَّ شرابَهُمْ فيها الحَميمُ ، وَهُوَ الماءُ الحارُّ الشديدُ الحرارةِ ، الذي يشوبُ وُجوهَهُمْ ، ويُقَطِّعُ أمعاءَهُمْ .

وشرابُهُمْ أيضاً هُوَ الغَسَّاقُ ، وَهُوَ ما يسيلُ مِنْ أبدانِ أهلِ النّارِ مِنْ قَيْحٍ وصَديدٍ وأوساخٍ وقاذُوراتٍ ، وبئسَ هذا شراباً .

ولَهُم في جهَنَّمَ بالإضافةِ إلى الحَميمِ والغَسّاقِ ، ألوانٌ أخرى مُخْتَلِفَةٌ مِنَ العَذابِ كالزَّقُّومِ والسَّمومِ والزَّمْهريرِ والسَّعيرِ .

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾ .

الكفّارُ مُعَذَّبونَ في النارِ بالحَميمِ والغَسّاقِ وسائرِ ألوانِ العذابِ ، ويجري بَيْنَهُم سَبٌّ وتلاعُنٌ وشتمٌ ، فعندما يَدْخُلُ القادةُ والكُبراءُ في النّارِ ، يدْخُلُها مَعَهُمْ فوجٌ كبيرٌ من أتباعِهِمْ ، فتقولُ لَهُمُ الزّبانيةُ : هذا فوجٌ كبيرٌ يدخلُ جهَنَّمَ مَعَكُمْ ، وهم أتباعُكُمْ وأعوانُكُمْ .

فيقولُ القادةُ : لا مَرْحَباً بهؤلاءِ الأتباعِ ، ولا تكْريماً لَهُمْ ، فَهُمْ داخلونَ النّارَ ، مُحْتَرِقُونَ فيها .

وعندما يَسْمَعُهُمُ الأتباعُ يردُّونَ على الشَّتمِ بمثلِهِ ، ويقولونَ لَهُمْ : بل أنتُم لا مرحَباً بكُمْ ، ولا كرامةَ لَكُمْ ، لأنكُمْ كُنْتُمُ السّببَ في إضلالِنا ، إذْ قدَّمْتُمْ لنا الكُفرَ والعِصْيانَ ، ودعَوْتُمُونا إليهِ ، فأوقَعْتُمُونا في النّارِ ، وبئسَ جهَنَّمُ قراراً ومصيراً لنا ولَكُمْ .

ثُمَّ يَدْعُو الأتباعُ على قادَتِهم ، ويطلبونَ مِنَ اللهِ أنْ يُضاعِفَ عذابَهُمْ فيقولونَ : يا ربَّنا : قادَتُنا الذين قدَّمُوا لنا هذا ، وأوْصَلُونا إلى جَهَنَّمَ ، فَعَذِّبْهُمْ يا ربَّنا عذاباً مُضاعفاً في النارِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَسْتَخدِمُ القرآنُ أُسلوبَ التقابُلِ في العَرْضِ للتأثيرِ ، فيَعْرِضُ صُورةً للنَّعيمِ في مُقابلِ صُورةٍ لِلعذابِ .

٢ـ لِلمتقينَ في الجنَّةِ طِيبُ المَسْكَنِ والشَّرابِ والنّساءِ والحُورِ العِينِ ، تكريماً لَهُمْ .

٣ـ الكفارُ الطُّغاةُ مُخلَّدونَ ، مُعَذَّبُون في مُخْتَلفِ أنواعِ العَذَابِ مِنَ الحَمِيمِ والغسّاقِ وغيرِها .

٤ـ يكونُ بينَ القادةِ الكفّارِ والأتباعِ في النّارِ سَبٌّ وتلاعُنٌ وعداوَةٌ ، ويُضاعِفُ اللهُ للقادةِ العذابَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرْ أربعةَ صُوَرٍ لنعيمِ المُؤمنينَ في جنّاتِ عَدْنٍ .

٢ـ ما معنى قولِهِ ﴿وَعِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ﴾ ؟ .

٣ـ اذكُرْ ثلاثَ صُوَرٍ لعذابِ الكُفّارِ في النّارِ .

٤ـ سَجِّلِ الحِوارَ العَدائيَّ بينَ القادةِ وأتباعِهِمْ في نارِ جَهَنَّمَ .

٥ـ ما معنى كُلٍّ مِنْ :

أ ـ ﴿لَحُسْنَ مآبٍ﴾ .

ب ـ ﴿ما لَهُ مِنْ نَفادٍ﴾ .

ج ـ ﴿فبئسَ القرارُ﴾ .

نشاط :

١ـ استخرجْ آيةً مِنْ سورةِ البقرةِ ، تُخبرُ عن طعامِ أهلِ الجنّةِ ، وسرورِهِمْ بما يُقدَّمُ لَهُم ، وهُمْ يقولونَ : هذا الذي رُزِقْنا مِنْ قبلُ ، واكتُبْها في دفترِكَ .

٢ـ استخرجْ مِنْ سُورةِ إبراهيمَ آيتينِ تَتحدَّثانِ عَنْ كونِ الصَّديدِ شَراباً لأَهْلِ النّارِ ، واذكرِ الشَّبَهَ بينهما وبينَ الآيةِ (٥٧) ، واكتبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

٣ـ استخرج آيتَيْنِ مِنْ آخرِ سورةِ الأحزابِ تُخْبِرانِ عن لَعْنِ الأتباعِ للسّادةِ والكُبَراءِ ، وطَلَبِهِمْ مِنَ اللهِ مُضاعفةَ عذابِهِمْ ، واكتُبْهُما في دَفترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ ص ـ القِسْمُ السَّابِعُ

﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

معاني المُفْرداتِ :

الأشرارِ	الذين يفعلُون الشرَّ .
أَتَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً	كُنّا نَسْخَرُ مِنْهُمْ ، ونستهزِئُ بِهِمْ في الدُّنيا .
تَخَاصُمُ	تنازُعُ واختلافُ .
القَهَّارُ	الذي يقهرُ خَلْقَهُ ، ويُجري عليهِمْ قَدَرَهُ .
نبأٌ عظيمٌ	خَبَرٌ مُهِمٌّ جدّاً ، وهو النُّبوَّةُ .
مُعرِضُونَ	مُنْصرِفُونَ عَنْهُ .
الملأِ الأعلى	الملائكةِ سُكّانِ السّموات .
يَخْتَصِمُونَ	يختلِفُون ويتنازَعونَ في شأنِ آدمَ عليه السّلامُ .

التفسيرُ :

بعد أَنْ بيَّنَتِ الآياتُ السابقةُ مصيرَ المُتَّقينَ والكافرينَ في الآخرةِ تُبيِّنُ هذه الآياتُ ما يكونُ عليه الكُفَّارُ في جَهَنَّمَ ، وتُقدِّمُ لنا ما يدلُّ على صِدْقِ رسولِ الله ﷺ .

﴿ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

عندما يُلقَى الكُفَّارُ في نارِ جَهَنَّمَ ، يتذكَّرونَ ما كانوا يَفْعَلونَهُ في الدُّنيا بالمُسْلِمينَ ، ويَبْحَثُونَ عَنهُم في النارِ ، لأنَّهم يتوقَّعُونَ أنْ يكونوا فيها ، ويقولُ بعضُهم لِبَعْضٍ : لماذا لا نرى مَعَنَا في النار رِجَالاً ، كُنَّا في الدُّنيا نَعُدُّهُمْ ضالِّينَ ، ونجعلُهُمْ ضِمْنَ الأشرارِ الَّذينَ لا خيرَ فيهم ؟ وكانوا يَقولونَ لَنا إنَّهم سَيَذْهَبُوْنَ إلى الجَنَّةِ ، وَكُنَّا نَسْخَرُ مِنْهُم ، ونَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ ، ونقولُ لَهُمْ : لَنْ تَدْخلوا الجنّةَ .

ويقولونَ : ابحثُوا عَنْهُمْ في جَهَنَّمَ ، فلعلَّهُمْ في إحْدى زَواياها ، ولعلَّ أبصارَنا زاغَتْ عَنْهُم ، وعُيونَنا لا تراهُمْ!

وعندما لا يَجدونَهُمْ في جَهَنَّمَ يلُومُونَ أنفسَهُمْ ، ويُنكِرُونَ على أنفسِهِمْ سُخْرِيَتَهُمْ بِهِمْ في الدُّنيا ، ويَنْدَمُوْنَ على ذلك .

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لرسولِهِ ﷺ : الذي أخبرتُكَ به مِنْ تَخاصُمِ أهلِ النارِ ، هو الحقُّ الذي لا شَكَّ فيهِ ، وسوفَ يَحْدُثُ ويتحقَّقُ كما أخبرتُكَ بِهِ .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

بعدَ تقريرِ البعثِ والجزاءِ في الآياتِ السابقةِ تَتَحدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ نُبوَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وتُقَدِّمُ الأدلَّةَ على ذلكَ مِنْ أخبارِ القرآنِ نفسِهِ ، وتُحَدِّدُ للنبيِّ ﷺ مَهَمَّتَه ، وتُلَخِّصُ دَعْوَتَهُ .

أمرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لِلنّاسِ : أنا مُنْذِرٌ لَكُمْ ، أُخَوِّفُكُمْ عذابَ اللهِ إنْ كَفَرْتُمْ به وكذَّبْتُمُوني ، وأقدِّمُ لَكُمُ الدَّعوةَ ، فإنْ قَبِلْتُمُوهَا فُزْتُمْ ، وإنْ رَفَضْتُمُوهَا هَلَكْتُمْ ، ولا أتحمَّلُ وِزْرَكُمْ .

وَخُلاصَةُ دَعْوَةِ رسولِ اللهِ ﷺ هي تَوْحِيدُ اللهِ ، وتقريرُ أنه لا إلهَ إلا اللهُ ، المُتَّصِفُ بصفاتِ الكَمالِ والجَلالِ ، فهو الإلهُ الواحدُ لا شريكَ لَهُ ، وهو القهَّارُ الذي قَهَرَ كلَّ مخلوقٍ وَغَلَبَهُ ، وأجرى عليه قَدَرَهُ ، وهُوَ الرَّبُّ الواحدُ ، رَبُّ السّمواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُما ، المُتَصَرِّفُ فيهما كما يشاءُ ، لا يشارِكُهُ في رُبوبيَّتِهِ أحدٌ ، وهو العزيزُ الذي غَلَبَ كلَّ شيءٍ ، وهو الغفَّارُ الذي يَغْفِرُ ذنوبَ عبادِهِ المُطيعينَ عندما يَستغفرونَهُ .

والواجبُ على النّاسِ الإيمانُ بذلكَ ، واجتنابُ الإشراكِ باللهِ سُبحانَهُ وتعالى ، وعليهِمْ عبادتُهُ وحدَهُ ، واتِّباعُ رسولِهِ ﷺ .

﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

تُقَدِّمُ الآياتُ دليلاً مِنْ حديثِ القُرآنِ على صِدْقِ رسولِ اللهِ ﷺ في دعوى النُّبوَّةِ ، ويأمرُهُ اللهُ أنْ يقولَ لقومِه المُكذِّبينَ لَهُ : اللهُ بَعَثَني رسولاً إليكم ، وأمرَني بإنذارِكُمْ ، وأنزَلَ عليَّ القرآنَ لهدايَتِكُمْ ، وهذا القرآنُ نبأٌ عظيمٌ ، وخَبَرٌ مهمٌّ ، وحَدَثٌ كبيرٌ . كما قالَ تعالى : ﴿عمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عن النَّبأ العَظِيْم * الذيْ هُمْ فيهِ مُخْتَلِفُوْنَ﴾ [النبأ : ١-٣] .

والواجبُ على الناسِ أنْ يُؤْمِنوْا بالقُرآنِ ، ولكنَّكُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ كَافِرُونَ بِهِ ، ولا يفعلُ ذلك إلا غافلٌ جاهلٌ .

وأنتم تُنكِرُونَ أَنَّني رَسولُ اللهِ ، وتُكَذِّبونَ بآياتِ القُرآنِ ، وأُقَدِّمُ لَكُمْ دَليلاً على صِدْقِ نُبُوَّتي لتُفَكِّرُوا فيه : فقد سَمِعْتُم مِنْ آياتِ القُرآنِ التي أنزلَها اللهُ عليَّ قصَّةَ خَلْقِ آدمَ عليهِ السَّلامُ ، واخْتِلافِ الملائكةِ واخْتِصامِهِم في الملأِ الأعلى في السَّماءِ بشأنِهِ ، ثم تَمرُّدِ إبليسَ وكُفْرِهِ باللهِ . وذِكْرُ هذهِ التفاصيلِ في القرآنِ دليلٌ على أنه كلامُ اللهِ أنزلَهُ عليَّ ، وأنّي رَسولٌ من عندِ اللهِ ، ولو لم أكُنْ نبيّاً لما عَلِمْتُ باختصامِ الملائكةِ بشأنِ آدمَ عليهِ السّلامُ .

إنَّ الذي جِئْتُكُمْ بهِ وَحْيٌ أوحى اللهُ به إليَّ ، وأمرَني أنْ أُنذِرَكُمْ بهِ ، فأنا لَكُمْ نذيرٌ واضِحُ الإنذارِ ، فآمِنُوا بي واتَّبِعوني تكونُوا مِنَ المُفْلِحِينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يَشْعُرُ الكفارُ في النّارِ بالنّدمِ لسُخْرِيَتِهِمْ مِنَ المؤمنينَ في الدُّنيا ، عندما يَعْلَمُونَ أنَّهُمْ مُنَعَّمُونَ في الجَنَّةِ .

٢ـ أهلُ النّارِ يكونُ بينهم عداوةٌ وتخاصُمٌ وتلاعُنٌ وسُبابٌ ، وأهلُ الجَنَّةِ يكونُ بينهُم موَدَّةٌ ومحبَّةٌ وسَعَادةٌ .

٣ـ الواجبُ على رسولِ اللهِ ﷺ إنذارُ الكُفَّارِ ودعْوتُهم وتحذيرُهُمْ مِنَ النّارِ .

٤ـ خُلاصةُ دعوةِ الرّسولِ ﷺ هي الدعوةُ إلى توحيدِ الألُوهيّة والرُّبوبيَّةِ وعبادةِ اللهِ وحدَهُ .

٥ـ القرآنُ نبأٌ عظيمٌ وخَبَرٌ هامٌّ جدّاً ، على النّاسِ الإيمانُ بهِ ، وحُسْنُ فَهمِهِ وتطبيقُ أحكامِهِ .

٦ـ من الأدلَّةِ على صِدْقِ نبوّةِ الرّسولِ ﷺ إخبارُ القرآنِ عن أحداثٍ غَيْبيَّةٍ سابقةٍ ، كقِصَّةِ آدمَ عليهِ السّلامُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا يبحثُ الكفّارُ عَنِ المُؤْمنينَ في النّارِ ؟ وماذا كَانْوا يَقُوْلُون عَنْهُمْ في الدُّنيا ؟

٢ـ استخلِصْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ مَهَمَّةَ رسولِ الله ﷺ ، واشرحْها .

٣ـ اذكُرْ خُلاصةَ دعوةِ الرسولِ ﷺ ، وسجِّلْ على ذلك دَليلاً مِنْ آيات الدَّرسِ .

٤ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ أربعةَ أسماءٍ لله ، واشرَحْها .

٥ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدرسِ دَليلا على صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ في دَعْوَى النُّبُوَّةِ ، ووضِّحْ ذلكَ الدَّليلَ .

نشاط :

١ـ سجِّلِ الآياتِ الأخيرةَ مِنْ سُورةِ المُطَفِّفينَ التي تُخبرُ عن سُخْريَةِ الكافرينَ مِنَ المُؤمنينَ في الدُّنيا ، واتِّهامِهمْ لَهُمْ بالضَّلالِ ، واذْكُرِ الشبَهَ بَيْنَها وبينَ الآيات (٦٢ ، ٦٣) .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ آيةَ الكُرسيِّ من سُورةِ البقَرةِ ، واستخرجْ أسماءَ اللهِ وصفاتِه التي فيها .

٣ـ اذكُرِ اسمَ السُّورةِ التي أخبرَتْ عن اختصامِ الملائكةِ بشأنِ آدمَ ، وسجِّلِ الآياتِ التي تتحدَّثُ عن ذلكَ .

٤ـ ارجعْ إلى المُعْجَمِ المُفَهْرسِ واستخرجْ منهُ الآياتِ التي تُبيِّنُ تخاصُمَ أهلِ النارِ ، وضَعْها في مَجلَّةِ الحائطِ في المدرسةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورَةُ ص ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

سَوَّيْتُهُ : أَكْمَلْتُ خَلْقَهُ وعَدَّلْتُهُ .

فقعُوا له سَاجِدِينَ : خرُّوا ساجِدِينَ لَهُ .

العالينَ : المُتَكَبِّرينَ والمُتَعالِينَ على الآخَرِينَ .

رجيمٌ : مرجومٌ مطرودٌ مِنَ الرَّحمةِ .

أَنْظِرْني : أَمْهِلْني وأَخِّرْني .

لأُغْوِيَنَّهُمْ : لأُضِلَّنَّهُمْ .

المُخْلَصِينَ : الذينَ استَخْلَصَهُمُ اللهُ للعبادةِ .

المُتَكَلِّفينَ : المُتَصَنِّعِينَ ، الذين يدَّعُونَ ما ليسَ عندَهُمْ .

التفسيرُ :

أشارتِ الآياتُ السّابقةُ إلى أنَّ الحديثَ عَنْ تخاصُمِ الملائكةِ في الملأِ الأعلى في القرآنِ دليلٌ على نبوّةِ الرّسولِ ﷺ ، وفصَّلَتْ هذه الآياتُ الحديثَ في قصةِ آدمَ عليهِ السّلامُ .

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لرسولِهِ ﷺ : اذكُرْ لقومِكَ قصةَ خَلْقِ آدمَ لتكونَ دليلاً على نُبوّتِكَ . فقد قالَ اللهُ للملائكةِ : إني سَأَخْلُقُ بشَراً مِنْ طِينٍ ، وَهُوَ آدمُ عليه السّلامُ ، وعندما أُسَوِّيهِ وأُكْمِلُ خَلْقَهُ وأُعَدِّلُهُ ، سأنفُخُ فيه رُوحاً مِنْ عندي ، فيصيرُ إنساناً حيّاً مُتحرِّكاً .

عند ذلكَ عَلَيْكُمْ أنْ تَخِرُّوا لَهُ ساجدينَ ، وسُجودُكُمْ له سجودُ تَحِيَّةٍ وتكريمٍ ، وليس سجودَ عِبادةٍ .

ولما سَوَّىٰ اللهُ آدمَ ونفخَ فيه من رُوحِهِ ، وصارَ حيّاً ، نَفَّذَ الملائكةُ أجمعونَ أَمْرَ اللهِ ، وخَرُّوا له ساجدينَ ، وكانوا بسُجودِهِمْ عابدينَ للهِ مُنَفِّذينَ لأَمْرِهِ ، ولم يتخلَّفْ عَنِ السُّجُودِ إلاَّ إبليسُ ، الّذي اسْتَكْبَرَ على أمرِ اللهِ ، وعَصاهُ وخالفَهُ ، وكفرَ بهِ .

وإبليسُ ليسَ مِنَ الملائكةِ ، فَلَوْ كانَ مِنْهُمْ لَسَجَدَ مثلَهُمْ ولَمَا عَصَى اللهَ ، لأنَّ المَلائِكَةَ لا يَعْصُونَ اللهَ ، وإنَّما هوُ مِنَ الجنِّ ، بنصِّ القرآنِ .

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

بَعْدَما أعلنَ إبليسُ عِصيانَه برَفْضِ السُّجودِ ، سألَهُ اللهُ لإدانتِهِ باعترافِهِ ، مَعَ أَنَّهُ سُبحانَهُ عالِمٌ بسبَبِ رَفْضِ سجودِهِ ، فقالَ لَهُ : ما الّذي حَملَكَ على رَفْضِ السُّجودِ لآدمَ ، وصَرفَكَ عَنْهُ ، مَعَ أني خَلَقْتُهُ بيديَّ مِنْ طِينٍ ، وَمِنْ غَيْرِ واسِطَةٍ أو سَبَبٍ مِنْ أبٍ وأُمٍّ ، هل كنتَ في رفْضِكَ سُجودَكَ مُسْتَكْبِراً رافِضاً التنازلَ لَهُ ، أَمْ كنتَ مُسْتَعْلِياً ترى نَفْسَكَ أعلى مِنْهُ ؟ .

وهذا السُّؤالُ لإبليسَ بهدفِ ذمِّهِ وتوبيخِهِ ، وتقريرِ أنهُ لا يجوزُ أنْ يتكبَّرَ أو يَسْتَعْلِيَ ، لأنَّهُ بذلكَ يَعْصِي اللهَ ويتمرَّدُ عليهِ .

وقد أجابَ إبليسُ عِنِ السّؤالِ مُصرِّحاً بتكبُّرِهِ واستعلائِهِ ، فقالَ : أنا خيرٌ وأفضلُ مِنْ آدمَ ، لأنكَ خلَقْتَني مِنْ نارٍ ، وخلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ، والنارُ أفضلُ مِنَ الطِّينِ ، فكيفَ أسْجُدُ لِمن هو دُوني وأقلُّ منّي ؟

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

جَنَى إبْليسُ على نَفْسِهِ بتكَبُّرِهِ وعِصْيانِهِ ، وحَرَمَ نفسَهُ مِنَ الجَنَّةِ التي كانَ مُنَعَّماً فيها ؛ إذ أمرَ اللهُ بإخراجِهِ منها ، وقالَ له : اخرُجْ مِنَ الجَنَّةِ ، فلا يجوزُ لك أنْ تتكبَّرَ فيها ، وأنتَ محرومٌ مِنَ الخيرِ ، مَطْرودٌ مِنْ رَحْمَتِي ، وقد أَحْلَلْتُ عَلَيْكَ غَضَبِي ولَعْنَتِي ، وأوْقَعْتُ بكَ غَضَبِي وعِقابِي ، وجعلتُ لَعْنَتِي مُلازمَةً لكَ إلى يوم القِيامَةِ .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

أَيْقَنَ إبْليسُ أنَّ اللعنةَ مُلازِمَةٌ لَهُ إلى يَوْم القيامةِ ، فَطَلَبَ مِنَ اللهِ ألاّ يُعَجِّلَ موتَهُ ، ورَجَاهُ أن يُؤَخِّرَهُ ويُمْهِلَهُ إلى يَوْمِ البَعْثِ ، عِنْدَما يَبْعَثُ اللهُ النّاسَ أحياءً مِنْ قُبُورِهِم للحساب .

ولكنَّهُ لابدّ مِنْ أنْ يموتَ لأنه مَخْلُوقٌ ، ولِذلكَ قالَ اللهُ لَهُ : لقد أنظَرْتُكَ وأَخَّرْتُ مَوْتَكَ ، ولكنْ لَيْسَ إلى يوم البَعْثِ ، بلْ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُوم ، حَيْثُ يأْتيكَ المَوْتُ عِنْدَ انْتِهاءِ عُمُرِكَ ، وذلكَ عِنْدَ نَفْخةِ الصَّعْقِ عند قيامِ السّاعةِ ، حيثُ يموتُ جميعُ الأحياءِ عِنْدَ تلكَ النَّفْخَةِ ، ولا يبقىٰ إلا اللهُ الحيُّ الباقي .

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

بعدما ضَمِنَ إبليسُ حياتَه إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلوم ، أَخَذَ على نفسِهِ عَهْداً بإغواءِ بني آدمَ ، وأقْسَمَ للهِ على ذلكَ ، وقالَ له : أُقْسِمُ لك بعِزَّتِكَ وسُلطانِكَ وقَهْرِكَ أنْ أُغْوِيَ وأُضِلَّ جميعَ ذُرِّيَّةِ آدمَ ، وأنْ أَقْعُدَ لَهُمْ لأَصُدَّهُمْ عَنْ صِراطِكَ المُسْتَقيمِ ، ولَنْ ينجوَ مني إلاّ عبادُكَ الصَّالحونَ المُطِيعُونَ لكَ ، الذينَ استخلَصْتَهُمْ أنتَ لطاعتِكَ وعبادَتِكَ .

أمامَ تعهُّدِ إبليسَ بإغْواءِ بَني آدمَ قالَ اللهُ لَهُ : أنا الحقُّ ، وأقولُ لكَ الحقَّ الذي لا يَتَخَلَّفُ : لأَملأَنَّ جهنَّمَ مِنْكَ ، وَمِنْ جِنْسِكَ مِنْ شياطينِ الجنِّ ، وَمِمَّنْ اتَّبَعكَ مِنْ ذرّيةِ آدمَ ، الَّذين اسْتَجابُوا لِوَسَاوِسِكَ وتخلَّوْا عَنِ الحقِّ . كما قالَ تعالى : ﴿قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فإنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوْراً﴾ [الإسراء : ٦٣] .

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

جاءتْ خاتَمَةُ السُّورَةِ تَأْكِيداً على نُبُوَّةِ الرَّسُولِ ﷺ ، وحَقِيْقَةِ الوَحْيِ ، فقدْ أَمَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لقومِهِ المُكذّبينَ لَهُ : أنا رَسُولٌ مُكلَّفٌ بدَعْوَتِكِمْ إلى اللهِ ، وأَبْتَغي بذلكَ الأَجْرَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ ،

ولا أطلُبُ منكُمْ أجراً ولا مالاً مُقابلَ دعْوتي لكمْ . وأنا صادقٌ في كلامِي معَكُمْ ، ولستُ مُتكلِّفاً ولا مُتصنِّعاً أوْ متقوِّلاً ، وهذا القُرْآنُ الَّذي أُسمِعُكُمْ إياهُ مِنْ عندِ اللهِ ، وهو ذِكْرٌ ومَوْعِظَةٌ للعالَمِينَ جَميعاً ، مِنَ الإنْسِ وَ الجِنِّ عِنْدما يَسْمَعُونَهُ يتذكَّرونَ ويَهْتَدونَ وتَصْلُحُ حياتُهُمْ بِهِ .

وأخبَرَ الرَّسُولُ ﷺ الكُفَّارَ أنهُ سَيَنْتَصِرُ عليْهِمْ في المُسْتَقْبَلِ ، فقالَ لَهُمْ : سوفَ تَعْلَمونَ بعدَ حينٍ صِدْقَ أخبارِ القُرْآنِ ووعودِهِ ، عندما يأْتي وَعْدُ اللهِ في آياتِهِ بانتِصارِ الإسلامِ وهَزِيمَةِ الكُفْرِ ، عِنْدَ ذلكَ تَعْرِفونَ أنَّني على الحقِّ ، وأنَّ القُرْآنَ صِدْقٌ .

ومَنْ أصرَّ مِنْكُمْ على الكُفْرِ سَيَعْلَمُ صِدْقَ القُرْآنِ عندما يَمُوتُ ويُعَذَّبُ في قَبْرِهِ . . وسيعلَمُ الكُفَّارُ صِدْقَ أخبارِ القرْآنِ يومَ القيامةِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ نارَ جَهَنَّمَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ كانَ سُجودُ الملائِكَةِ لآدمَ سُجُودَ تحيَّةٍ وتَكْريمٍ ، لِفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ ، والأنبياءُ أَفْضَلُ مِنَ الملائكةِ .

٢ـ إبليسُ كانَ مِنَ الجِنِّ ولَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ بنصِّ القُرْآنِ ، ، ولو كَانَ مِنَ المَلائِكَةِ لَمَا عصىٰ اللهَ .

٣ـ التكبُّرُ سَبَبُ كُلِّ هلاكٍ ، وأصْلُ كُلِّ مصيبةٍ تقعُ على المُتَكَبِّرِينَ .

٤ـ جُمْلَةُ ﴿أنا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ أساسُ خَسارةِ إبليسَ ، وَهِيَ أَسَاسُ هلاكِ كلِّ مَنْ يَقُولُها ، مُفَضِّلاً نَفْسَهُ على غَيْرِهِ .

٥ـ اللَّعنةُ مُلازِمةٌ لإبليسَ حتى يومِ القيامةِ ، وَهِيَ واقعةٌ علىٰ كلِّ مَنْ اسْتَجابَ لَهُ مِنْ حِزْبِهِ .

٦ـ إبليسُ مِنْ أطولِ المَخْلُوقينَ عُمْراً ، فقدْ خلقَهُ اللهُ قبلَ آدمَ ، وسيَبقى حيّاً حتى قُرْبِ قيامِ السّاعةِ .

٧ـ لا سُلْطانَ للشَّيْطانِ على عِبادِ اللهِ الصَّالِحينَ ، فطريقُ النَّجاةِ مِنَ الشَّيطانِ هُوَ الإخْلاصُ في عبادةِ اللهِ واللُّجوءِ إليهِ .

٨ـ التَّكلُّفُ والتَّصنُّعُ وتعقيدُ الأمورِ يتنافىٰ مَعَ رِسالةِ الإسْلامِ وَسيرةِ الرَّسولِ ﷺ .

٩ـ المُسْتَقْبَلُ إنَّما هُوَ لِلْقُرْآنِ دائماً ، فهو المُنْتَصِرُ في النِّهايةِ ، والهزيمةُ مُلازِمةٌ لكلِّ مَنْ حارَبَهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلة الآتية :

١ـ بماذا تُفَسِّرُ سُجُودَ الملائكةِ لآدمَ عليهِ السّلامُ ؟ وما الدّلالَةُ التي تَخْرُجُ بها مِنْ ذلكَ ؟

٢ـ هل إبليسُ مِنَ الملائِكَة ؟ اسْتَدِلَّ على جوابك بآيةٍ مِنَ القُرْآنِ .

٣ـ لماذا سألَ اللهُ إبليسَ عَنْ عدمِ سُجودِهِ لآدمَ ، وهو العالِمُ بذلكَ ؟! وبماذا أجابَ إبليسُ ؟

٤ـ بماذا تُفَسِّرُ طَلَبَ إبْليسَ بقاءَهُ حياً حتى يوم البَعْثِ ؟ وماذا قالَ اللهُ لَهُ ؟

٥ـ بماذا تعهَّدَ إبليسُ أمامَ اللهُ مُقْسماً بعِزّتهِ ؟

٦ـ مَنِ الذينَ لا سُلْطانَ لإبليسَ عيهِمْ ؟ وما طَريقُ النَّجاةِ مِنْ مَكائِدِهِ ؟

٧ـ ما التكلُّفُ الذي نَفاهُ الرَّسولُ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ ؟

٨ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ مِنَ السُّورةِ دلالةً على الصّراعِ بينَ الإيمانِ والكُفْرِ .

نشاط :

١ـ سَجِلْ آيةً من سُورةِ الكَهْفِ صَريحةً في أنَّ إبليسَ كانَ منَ الجنِّ ففسَقَ عن أَمْرِ ربِّه .

٢ـ اذكُرْ آيةً منْ قصَّةِ آدمَ في سُورةِ الأعرافِ يذكُرُ فيها إبليسُ قعودَهُ للناسِ لِيَمْنَعَهُمْ مِنْ صراطِ اللهِ المُسْتقيمِ ، وبعضَ أساليبهِ في إغوائِهم ، واكْتُبْها في دفترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ التَّاسِعَ عشَرَ

سُورَةُ الزُّمَرِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ الزُّمَرِ مَكيَّةٌ ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسمِ لِوُرودِ هذهِ الكَلِمَةِ في آياتِها الأخِيرَةِ ، التي تتحدَّثُ عَنْ حَشْرِ الناسِ زُمَراً يومَ القيامةِ ، سواءٌ أكانوا إلى الجَنَّةِ أم إلى النَّارِ .

وموضوعُ هذه السُّورةِ الحديثُ عَنِ العَقيدَةِ ، كباقي السُّوَرِ المكيَّةِ ، فهي تَتَحَدَّثُ عَنْ توحيدِ اللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ ، وتَنْهىٰ عَنِ الشِّركِ بِهِ ، وتُقَرِّرُ حقيقةَ الوَحْيِ والقُرآنِ ، وتَعْرِضُ مَشاهِدَ لليومِ الآخِرِ ، بما فيها مِنْ مشاهِدِ عَذابِ الكُفَّارِ في النارِ ، ومشاهِدِ نَعيمِ المُتَّقِينَ في الجَنَّةِ .

معاني المُفْرداتِ :

أنزَلْنا إليكَ الكِتابَ بالحقِّ : أَنْزَلْنا عليكَ القُرآنَ مُتَضَمِّناً الحقَّ .

للهِ الدِّينُ الخالِصُ : للهِ وحْدَهُ الدِّينُ كلُّهُ صافياً كامِلاً ، خالياً مِنْ شوائِبِ الشِّرْكِ .

زُلْفىٰ : قُرْبىٰ .

كَفّارٌ : شديدُ الكُفْرِ باللهِ .

لاصْطفىٰ لاختار .

سُبْحَانَهُ تنزيهٌ للهِ عَنْ كُلِّ نقْصٍ .

القهّارُ الغالِبُ الذي غلَبَ المَخْلوقينَ وَقهَرَهُمْ .

التفسيرُ :

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ ﴾ .

افتتحتْ آياتُ السُّورة ببيان فضْل القُرآن ، كتاب الله العزيز الذي لا يغْلِبُهُ ولا يُعْجِزُهُ أَحَدٌ ، وهُوَ حكيمٌ في فِعْلهِ وقدرهِ وحُكمه ، ولأنَّ القرآن كتابُ الله فهوَ الحقُّ الَّذي لا شكَّ فيهِ . كما قالَ تعالى : ﴿وإنَّهُ لكتابٌ عزيزٌ * لا يأْتيه الباطِلُ منْ بيْنِ يديْه ولا منْ خلْفِهِ * تنزيلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ﴾ [فصلت : ٤١-٤٢] ، واللهُ أنزلَ القُرآن على قلْب رسوله ﷺ .

وقد أمر اللهُ رسولَهُ ﷺ بعبادَتهِ وحْدهُ لا شريكَ لهُ ، وأمرهُ أنْ يدعوَ الناسَ إلى ذلك ، لأنَّ العبادةَ لا تكونُ إلاّ لهُ ، والرَّسولُ ﷺ هُو إمامُ العابِدينَ .

وأمرهُ أنْ يُخْلصَ دينهُ لله ، بأنْ يقْصد بعمله وجْهَ الله وحْدهُ ، وأنْ يتخلَّصَ مِنْ كلِّ ألْوانِ الشِّرْكِ والرِّياء . ومنَ المعْلُومِ أنّ منْ عمل عملاً لغيْر اللهِ لا يَقْبلُهُ اللهُ منْهُ ، وأنّ الرِّياءَ مُحبطٌ لِلْعَمَلِ .

وقد أمر اللهُ كلَّ الأنبياءِ وأتباعهمْ بإخلاص دينهمْ وعبادتهمْ لله ، كما قال تعالى : ﴿وما أُمِرُوا إلا ليَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لهُ الدِّينَ حُنفاء ، ويقيموا الصَّلاةَ ويؤتوا الزَّكاةَ﴾ [البينة : ٥] .

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ ﴾ .

الرسولُ ﷺ وأُمّتُهُ مأمُورُون أنْ يعْبُدوا اللهَ مُخْلصينَ لهُ الدِّينَ ، لأنَّ اللهَ لَهُ الدينُ الخَالِصُ ، ولَهُ العبادةُ والطَّاعةُ كاملةً ، منْ دُون شِرْكٍ أوْ رياء .

وإذا كان المُؤْمِنُون مُخْلصِينَ في عبادتِهمْ لله ، فإنَّ الكُفَّارَ مُشركونَ باللهِ ، لأنَّهُمْ عَبدُوا مَعَهُ غيْرَهُ ، واتَّخذُوا غيرَهُ أولياء ، يَرْجُون عندَهُمْ النَّفْعَ ودفع الضُّرِّ ، مَعَ أنَّهُمْ لا يَقْدِرُون على ذَلكَ ، لأن النَّفْعَ والضُّرَّ بيد الله وَحْدهُ .

وهُمْ في مُوالاتِهمْ لغيرِ اللهِ لا يُنكرُون وُجودَ اللهِ ، فهُمْ يعتَقِدونَ أنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ المَالِكُ الرَّازِقُ ، وإذا سُئلُوا عنْ سَبب عبادةِ غيره يقولون : ما نعبدُهُمْ إلاّ ليُقرِّبونا إلى اللهِ قُرْبى ، ويَشْفَعوُا

لنا عِنْدَهُ ، ونحنُ لَسْنا أهلاً لِعبادتِهِ مباشرة ، فَنَحْتاجُ إِلَيْهِمْ لِيكونوا شُفَعاء ووُسَطاء عندَهُ! وهذا مِنْ تلبيسِ الشَّيطانِ وتَضْليلِهِ .

وهؤلاءِ المُشْرِكونَ باللهِ سَيكونُ عذابُهُمْ شَديداً يومَ القِيامَةِ .

فاللهُ سَيبعثُهُمْ ثُمَّ يُحاسِبُهُمْ على أعمالِهِمْ ، وسَيَفْصِلُ بَيْنَهُمْ في ما اختلَفُوا فِيهِ ، ويَقضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ، ويَجْزِي كلَّ عاملٍ بِعَمَلِهِ ، مِنْ خيرٍ أو شرٍّ .

والكاذبونَ الكافِرونَ لا يَهديهِمْ اللهُ لدينِهِ ، ولا يُوفِّقُهُمْ إليْهِ ، لأَنَّهُم مَحْجُوبونَ عَنْهُ بِكَذِبِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، إنَّما يَهدي اللهُ للحقِّ الذين أَقْبَلُوا عليه ، وأخلَصُوا دينَهُمْ لَه .

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ .

الكُفَّارُ كاذِبونَ في كلامِهِمْ عَنِ اللهِ ، ومِنْ أَكَاذيبِهِمْ زَعْمُهُمْ أنَّ اللهَ لَهُ ولدٌ ، وقد ردَّ اللهُ عليهم بأنَّه لا يَحْتَاجُ إلى ولَدٍ ؛ لأنه واحدٌ ، لا مثيلَ لَهُ ، ولا شَبيهَ ولا نَظيرَ ، وَهُوَ القَهَّارُ القَويُّ الغالبُ ، لا يحتاجُ إلى مَنْ يُعينُهُ ويُساعِدُهُ ، وَهُو الخالِقُ لكلِّ شيءٍ في السَّمواتِ والأرضِ ، ولو أرادَ اتخاذَ وَلَدٍ لاختارَ ما شاءَ مِنْ مخلوقاتِهِ ، ولكنَّه لا يُريدُ الولدَ ، ولا يحتاجُ إليه .

لقد تَعالى اللهُ وتَنَزَّهَ عَنْ أنْ يكونَ لهُ ولدٌ ، لأنَّه الواحِدُ الأحدُ ، الفَرْدُ الصَّمَدُ ، الغَنيُّ عمَّا سِواهُ ، وكلُّ شيءٍ مُفْتَقِرٌ إليهِ ، قَهَرَهُ وأَخْضَعَهُ لأمرِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ القُرْآنُ كتابُ اللهِ العظيمِ أنزلَهُ اللهُ بالحَقِّ ، وكلُّ ما فيهِ حَقٌّ وصِدْقٌ وَصَوابٌ .

٢ـ لا تَصِحُّ العبادةُ إلا للهِ وحدَهُ ، وعبادةُ غيرِهِ كُفْرٌ وشِركٌ بِهِ .

٣ـ على المُؤْمنِ أنْ يكونَ مُخلِصاً للهِ في عِباداتِهِ وأعمالِهِ ، بِأنْ يتوجَّهَ بها إلى اللهِ وَحْدَهُ .

٤ـ للهِ وَحْدَهُ الدِّينُ الخالِصُ ، والطَّاعةُ التامَّةُ ، والخُضوعُ الكامِلُ ، لأنَّهُ وَحْدَهُ المَعْبودُ .

٥ـ المُؤْمنُ يتَّصِلُ باللهِ مباشرةً في العبادَةِ والذِّكْرِ ، ولا يَحْتاجُ إلى وَسيطٍ أو شَفيعٍ .

٦ـ الَّذينَ يَنْسِبونَ الوَلَدَ للهِ كالنَّصارى والمُشْرِكينَ كاذبونَ ، فاللهُ واحِدٌ أحَدٌ ، فَرْدٌ صَمَدٌ ، لم يلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَدٌ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتية :

١ـ استخرجْ أمراً مِنَ اللهِ لرسولِهِ ﷺ في آياتِ الدَّرسِ ، وبَيِّنْ مَعْنَاهُ .

٢ـ كَيف يكونُ الدِّينُ خالِصاً للهِ ؟

٣ـ ما حُجَّةُ الكُفَّارِ في عبادَتِهم لغيرِ اللهِ ، وما ردُّكَ على حُجَّتِهِمْ ؟

٤ـ لماذا لا يَهدي اللهُ الكَاذِبَ الكَافِرَ ؟

٥ـ بماذا ردَّتْ آياتُ الدَّرسِ على الكُفَّارِ في زَعْمِهِمُ الوَلَدَ للهِ ؟

٦ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أربعةَ أسماءٍ حُسنىٰ للهِ ، وبَيِّنْ معنى كلِّ اسمٍ مِنْهَا .

نشاط :

١ـ سجِّلْ آياتٍ مِنْ أواخرِ سُورةِ الشُّعراءِ تَتحدَّثُ عَنْ تنزيلِ الرُّوحِ الأَمينِ لِلْقُرْآنِ الكريمِ على قَلْبِ رسولِ اللهِ ﷺ .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ معنى الرِّياءِ وبَعْضَ أضْرارِه .

٣ـ استخرجْ آياتٍ من سورةِ الأنعام تَنفي أنْ يكونَ للهِ صاحبةٌ أو ولَدٌ ، لأنَّه الخالقُ لكلِّ شيءٍ و لعليمٌ بكلِّ شيءٍ ، وبديعُ السَّمواتِ والأرضِ ، واكْتُبْها في دفترك .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ العِشْرُونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ ـ القِسْمُ الثَّانِي

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

يُكَوِّرُ الليلَ على النهارِ : يُلقيهِ على النَّهارِ ويَلُفُّهُ بِهِ . والتَّكْويرُ : اللفُّ على الشَّيءِ المُستدِيرِ .

سَخَّرَ : أَخْضعَ وطَوَّعَ وذَلَّلَ .

الأنعام : هي الإبلُ والبَقَرُ ، والغَنَمُ ، وسُمِّيَتْ بذلك لأنَّ النِّعمةَ مِنَ اللهِ علينا فيها بارزةٌ.

ثمانيةَ أزواجٍ : هي أربعةُ أصنافٍ : الإبلُ والبقرُ والضأْنُ والماعزُ ، وكُلُّ صِنْفٍ ذَكَرٌ وأُنثى .

خَلْقاً مِنْ بعدِ خَلْقٍ : ينتقلُ في رَحِمِ أُمِّهِ من نُطْفَةٍ ، إلى عَلَقَةٍ ، إلى مُضْغَةٍ ، إلى عظامٍ ، وهكذا .

ظُلُماتٍ ثلاثٍ : ثلاثُ ظُلماتٍ تحيطُ بالجَنينِ وَهُوَ في الرَّحِمِ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ .

أنّىٰ تُصْرَفُونَ : كيفَ تَنْصرِفُونَ عَنْ تَوْحِيدِ اللهِ إلى الشِّرْكِ .

لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرىٰ : لا تَحمِلُ نفسٌ مُذْنِبَةٌ ذَنْبَ نَفْسٍ أُخْرى .

عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ : يعلمُ ما تُخفِيهِ النُّفوسُ .

التفسير :

تنتقلُ الآياتُ منَ الدَّعوةِ إلى إخلاصِ العبادةِ والدِّينِ لله ، وتكذيبِ المُشركينَ في نِسْبَتِهِمُ الوَلَدَ لله ، لِتتحدَّثَ عنِ الأدلَّةِ على توحيدِ الله ، المُستمَدَّةِ منَ الكونِ وحياةِ الإنسانِ .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ .

اللهُ هُوَ الخالِقُ لكلِّ شيءٍ ، خلَقَ السّمواتِ والأرضَ ، وأوْجَدَهُما مِنَ العدَمِ ، ولَمْ يفعلْ عبَثًا أو لهْواً سُبحانهُ ، إنما خلَقهُما بالحَقِّ والصَّوابِ ، ولِحِكَمٍ ومصَالِحَ ، وأحسنَ خلْقَهُما وأتْقَنَهُ ، فلا يُوجدُ فيهِما خطأٌ أو نقصٌ أو اضْطِرابٌ .

ومِنْ تنظيمِ اللهِ للحَياةِ على الأرضِ أنّه جَعلَها كُرَوِيَة ، وجَعَلَ لها مَدارَيْنِ : تدورُ حولَ نَفْسِها ، فينْتُجُ مِنْ ذلكَ اللّيلُ والنّهارُ ، وتدورُ حولَ الشمسِ ، فينتجُ مِنْ ذلكَ الفُصُولُ الأربعةُ .

وقد جعَلَ اللهُ الليلَ والنّهارَ مُتَتابِعَيْنِ مُتعاقِبَيْنِ ، يَغْشى كلٌّ مِنْهُما الآخَرَ ، ويُكوِّرُ النّهارَ على الليلِ حتى يذهبَ ظلامُهُ وَيَعُمَّ الضّياءُ .

وتكويرُ الشيءِ على الشيءِ لَفُّهُ عليهِ حتى يُغطِّيَهُ ، وهذا دليلٌ على أنّ الأرضَ كُرَوِيَّةٌ ، وهُوَ دليلٌ على دَوَرانِها حولَ نَفْسِها ، لأنَّ الليلَ والنّهارَ يدْخُلُ أحدُهُما في الآخرِ ، بالتَّدريجِ ، وليس دُفعةً واحدة ، ولو لم تكُنِ الأرضُ كُرويّةً لما أمكنَ ذلك .

وكما جَعلَ الليلَ والنّهارَ مُتعاقِبَيْنِ ، كذلك سخَّرَ الشمسَ والقمرَ في الفضاءِ ، وجعلَهُما مُنْقادَيْنِ لأمْرِه ، كلٌّ منهما يجْري دُونَ توقُّفٍ ، لتحقيقِ مصَالِحِ العبادِ ، ولِمعْرفةِ عَدَدِ السِّنينَ والحِسَابِ . ويستمِرّانِ في هذا الجَرَيانِ المُنْضبِطِ إلى أنْ يُوقِفَهُما اللهُ عند حلولِ الآجلِ المُسَمَّى ، وهو انتهاءُ الدُّنْيا وقيامُ الساعةِ .

واللهُ عزيزٌ قويٌّ غالبٌ ، أخْضعَ السمواتِ والأرضَ والشّمسَ والقمرَ ، وهُوَ معَ كَمالِ عِزَّتِهِ وعظَمَتِه غفَّارٌ ، عظيمُ الرَّحْمةِ ، يَغفِرُ لِمَنْ عصَاهُ مِنْ عبادِهِ ، ثُمّ تابَ وأنابَ إليهِ .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ خلْقِ السمواتِ والأرضِ إلى الحديثِ عَنْ خَلْقِ النّاسِ ، فاللهُ هُوَ

الذي خَلَقَ النّاسَ جميعاً مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ ، وَطبيعةٍ وَاحِدَة ، وتمثّلتْ هذهِ النفسُ أولاً في آدم أبي البَشَرِ عليهِ السّلامُ . وجعَلَ زوجَ آدمَ ـ وهي حوّاءُ ـ من جِنْسِه وطبيعتِهِ ، ثم تشعَّبَ الخَلْقُ مِنْهُما .

وخلَقَ اللهُ الأنعامَ ، وَسَخَّرَها وذَلَّلَها للناسِ ، ويَسَّرَ لَهُمْ الانْتِفاعَ بكلّ ما فيها مِنْ لَحْم وشَحْم ولَبَنٍ وشَعْرٍ وجِلْدٍ وَرَوْثٍ ، ويركبونَها في أسفارِهِمْ ، وجَعَلَها ثمانيةَ أزواجٍ ، لأنّ الزوجَ ذكرٌ وأنثى : مِنَ الإبلِ اثنينِ ، وَمِنَ البقرِ اثنينِ ، ومن الضأنِ اثنينِ ، وَمِنَ المَعْزِ اثنينِ .

وَمِنْ حِكْمةِ اللهِ أنه ابتدأ خَلْقَ الناسِ في أرحامِ أُمَّهاتِهِم ، وقدَّر مُرورَهُمْ فيها في مَراحِلَ متدرِّجَةٍ ، فَيكونُ الوَاحِدُ في بدايتِهِ نُطفَةً ، ثم يكونُ عَلَقَةً ، ثم يكونُ مُضْغَةً ، ثم تتكوَّنُ عِظامُهُ ، ثم تُكْسَىٰ العظامُ لَحْماً ، وينفخُ اللهُ فيه الرُّوحَ ، ويتقلَّبُ في رَحِمِ أُمِّهِ في ظُلُماتٍ ثلاث بِحِفْظِ اللهِ ورعايتِهِ .

وهذه الظُّلماتُ الثلاثُ هي ثلاثةُ أغشيةٍ تُحيطُ بالجَنِينِ إحاطةً تامَّةً ، وهُوَ يتقلَّبُ ويَتطوَّرُ فيها بأمانٍ .

اللهُ وحدَهُ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ، وخلَقَ الإنسانَ وحفِظَهُ ورعَاهُ ، وهُو وَحْدَهُ مالكُ المُلْكِ ، وربُّ العالَمِينَ ، لا إلهَ إلا هُو ، ولا تَصِحُّ العبادةُ إلا لَهُ ، فكيفَ يُصْرَفُ المُشركونَ عَنْهُ ، ويُشْرِكونَ مَعَهُ غيرَهُ ، ويَعبُدُونَ أصناماً وأوثاناً ليستْ آلهةً ؟

﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ .

لا تكونُ العبادةُ إلا للهِ ، مَعَ أنَّ اللهَ لا ينتفعُ بها ، والعَابِدُونَ للهِ هُمُ المُستفيدونَ مِنْها ، وقدْ خاطَبَ اللهُ النّاسَ مُبيِّناً استغناءَه عَنْهُمْ ، فقالَ لَهُمْ : إنْ تَكْفُروا باللهِ فإنَّكُمْ لَنْ تَضُرُّوهُ شيئاً ، وَهُوَ غنيٌ عَنْكُم ، وأنتمُ الخَاسِرُونَ . وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ بالناسِ أنه لا يَرْضى لهُمُ الكُفْرَ ، وإنَّما يُحِبُّ لَهُمْ أنْ يَشْكُرُوهُ ، ويَرْضَىٰ عَنْهُمْ ، مَعَ أنَّه غنيٌّ ، لا تَنفعُهُ الطَّاعاتُ ، ولا تضرُّهُ المَعاصِي ، إنَّ النّاسَ هُمْ المُسْتَفيدونَ مِنَ الطاعاتِ ، المُتَضَرِّرونَ مِن المَعاصِي .

ولمَّا كانَ الكافِرُ هو الخاسِرَ بكُفْرِه ، والمُؤْمِنُ هو المُسْتَفيدَ مِنْ طَاعَتِهِ فإنَّ كلَّ إنسانٍ مسؤولٌ عَنْ عَمَلِهِ ، سواءٌ أكان خيراً أم شرّاً ، واللهُ عادلٌ في الحسابِ ، فلا يُحمِّلُ إنساناً ذنْبَ إنسانٍ آخر . كما قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر : ٣٨] .

ومَرْجِعُ الناسِ جميعاً إلى اللهِ يَوْمَ القيامةِ ، حيثُ سيُحاسِبُهُمْ على أعْمالِهِمُ التي عَمِلُوها في الدُّنْيا ، خَيْراً كانتْ أو شرّاً ، وَهُوَ عالِمٌ بأعمالِهِم لأنَّه أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، فلا يَخْفَى عليهِ شيءٌ ، حتّى لو أخفاهُ الناسُ في صُدورِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرة منها :

١ـ في القرآنِ حقائقُ عِلْمِيَّةٌ ثابتة ، تدلُّ على أنه مِنْ عند الله ، وهي موْجودةٌ في الكوْنِ والنفسِ البشرِيَةِ .

٢ـ سخَرَ اللهُ الشَّمْسَ والقمَرَ والليلَ والنهار ، لِخدْمةِ الإنسان ، وتَيسير حياتِه على الأرضِ .

٣ـ ذَلَّلَ اللهُ الأنعامَ للإنسانِ لِيَسْتَفيد مِنْ كُلِّ ما فِيها ، وليشكُر اللهَ على تلك النِّعم .

٤ـ اللهُ وحْدَهُ هُوَ الخالِقُ المالِكُ الربُّ المَعْبودُ ، فكَيْفَ يعبدُ الكافِرونَ غيرَهُ ؟

٥ـ اللهُ غنيٌّ عنِ العالَمينَ جميعاً ، فلا تنفعُهُ طاعةٌ ، ولا تَضُرُّهُ معْصِيةٌ .

٦ـ اللهُ لا يَرْضى الكُفْرَ مِنَ الكافرين ولا يُحبُّهُ لَهُمْ ، ولذلكَ يُعاقِبُهُم عليهِ ، وإنَّما يرضى الطاعةَ والشكرَ مِنَ المُطيعينَ ، ولذلك يأجُرُهُمْ عليهِ .

٧ـ المَسْؤوليةُ في الإسلامِ فرديَّةٌ ، وهذا مِنْ عَدْلِ الله ، ولذلكَ لا يَحْمِلُ إنسانٌ ذنبَ إنسانٍ آخرَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلة الآتية .

١ـ ما معْنى تكويرِ اللَّيلِ على النَّهارِ ، وتكويرِ النَّهارِ على اللَّيلِ ؟ وكيف تسْتدِلُّ بذلك على كُرَوِيَّةِ الأرضِ ؟

٢ـ ما المرادُ بالأجَلِ المُسمَّىٰ في جريانِ الشمسِ والقمرِ ؟ وعلى ماذا يَدُلُّ ذلك ؟

٣ـ ما المُرادُ بالنَّفْسِ الوَاحِدَةِ في آياتِ الدَّرسِ ؟ وما المُرادُ بزوْجِها المَخْلوقِ مِنْها ؟

٤ـ ما الأزواجُ الثمانيةُ مِنَ الأنْعَامِ ؟ ولماذا سُمِّيَت الأنعامُ بذلكَ الاسم ؟

ـ أ ـ لماذا لا يرضى اللهُ الكُفْرَ مِنَ الكُفَّارِ ؟ وما آثارُ كُفْرِهِم عليْهِم ؟

ب ـ ما الذي يرضاهُ اللهُ مِنَ الناسِ ؟

ـ ما معنى قولِهِ ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ؟ وما الدَّلالةُ التي تخرُجُ بها منها ؟

ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ ثلاثَ حقائقَ عِلميّةٍ ، مع بيانِ الجُمَلِ القرآنيّةِ التي قرَّرَتْها .

نشاط :

١ـ سَجّلِ الآيةَ (٥٤) مِنْ سورة الأعرافِ ، واشرَحْ حديثَها عنَ الليلِ والنَّهارِ .

٢ـ سَجّلِ الآيةَ الأُولى مِنْ سُورةِ النّساءِ ، وبيِّنْ مَعْنَاهَا ، والشَّبهَ بَيْنَها وبينَ الآيةِ (٦) .

٣ـ اكتُبْ في دفترِكَ الظُّلماتِ الثلاثَ التي تُحيطُ بالجَنينِ في رَحِمِ أُمِّهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادِي وَالعِشْرونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ الثَّالِثُ

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ (٨) أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (٩) قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي (١٤) فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ (١٦)

معاني المُفْرداتِ :

ضُرٌّ : شِدَّةٌ وابتلاءٌ

مُنيباً إليهِ : راجعاً إليه .

خَوَّلَهُ : أعطاهُ وَمَنَحَهُ .

أنداداً : شُرَكاءَ .

قانِتٌ : طائعٌ خاشِعٌ .

آناءَ اللَّيلِ : ساعاتِهِ وأوقاتِهِ .

أُولو الألبابِ : أصحابُ العُقُولِ الكَبيرةِ .

يُوَفَّىٰ : يُعطى أجرَهُ كاملاً غيرَ منقوصٍ .

ظُلَلٌ مِنَ النارِ : طبقاتٌ مِنَ النارِ مِنْ فوقِهم ومِنْ تحتِ أرجلِهم .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ ذِكْرِ بعضِ الأدلّةِ على تَوْحِيدِ اللهِ ، لتتحدَّثَ عَنْ تناقُضِ الكُفّارِ ، وتُبيِّنْ بعضَ صفاتِ العلماءِ القانتينَ ، وأحوالِ المُؤمنينَ والكافِرينَ .

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ .

موقفُ الكافرِ مِنَ اللهِ عجيبٌ ومُتناقضٌ ، فالكافرُ إذا أصابتْهُ شِدَّةٌ كمَرَضٍ أو فَقْرٍ أو كَرْبٍ ، دعا اللهَ وتضرَّعَ إليهِ ، وأعلنَ رُجوعَهُ وإنابتَه إليهِ ، وعاهَدَهُ أنْ يكونَ صالحاً مُستقيماً ، وعندَما يُفرِّجُ اللهُ عَنْهُ كَرْبَهُ ، ويَمْنَحُهُ نِعْمَةً وفَضْلاً وعَطاءً ، فإنه يَنسى حالَهُ السّابقَ ، ويَنقُضُ عهدَهُ مَعَ ربِّه ، ويتخلّى عَنْ دُعائِهِ وإنابتِهِ إلى اللهِ ، ويُشْرِكُ باللهِ غيرَهُ ، ويَجْعَلُ لَهُ أنداداً وشُركاءَ يعبدُهُمْ مِنْ دونِهِ ، وبذلك يُضِلُّ نفسَهُ ، ويُضِلُّ غيرَهُ عَنْ سبيلِ اللهِ .

وقد هَدَّدَ اللهُ هذا الكافرَ المُتناقِضَ بقولِهِ : استَمتِعْ أيُّها الكافرُ في دُنياكَ بكُفْرِكَ ، فإنَّ متاعَ الدُّنيا قليلٌ ، لأنَّ عُمُرَكَ قصيرٌ ، ومتاعَ الدّنيا زائلٌ ، وعِنْدَما يَبْعثُكَ اللهُ يومَ القيامةِ سيُعذِّبُكَ في جَهَنَّمَ ، ويجعلُكَ مِنْ أصحابِ النّارِ المُخلَّدينَ فيها .

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ .

تُقارِنُ الآيةُ الكريمةُ بينَ ذلك الكافرِ المْتناقِضِ مَعَ نَفْسِهِ والمُؤْمِنِ القانتِ العالِمِ ، وتقولُ : أيُّهما أحْسَنُ حالاً : أذلكَ الكافرُ الّذي لم يَعْرِفِ اللهَ إلا عِنْدَ الضُّرِّ والشدَّةِ ، وينساهُ عِنْدَ النعمةِ والرَّخاءِ ، أم المُؤْمِنُ الصالحُ ، الذي يَقْضي ليلَهُ في طاعةِ اللهِ والصَّلاةِ والقُنوتِ ، ويكونُ ساجداً وقائماً للهِ في صلاتِهِ وقانتاً ذاكِراً للهِ ، يَخافُ عذابَ اللهِ في الآخِرَةِ ، ويَرْجو رَحْمَتَهُ بإدْخالِهِ الجَنَّةَ ؟ لا شكَّ في أنَّ المْؤمِنَ القانتَ هُوَ الأحْسَنُ حالاً ومآلاً .

وذلكَ المُؤمِنُ القانِتُ عالِمٌ ، والكافرُ المُتناقِضُ جاهلٌ ، ولا يَستوي العُلَماءُ والجْهّالُ ، كما أنَّه لا يَستوي المُؤمنُ والكافرُ ، ولا يعرِفُ هذهِ الحقيقةَ إلا أصْحَابُ العقولِ الكبيرةِ ، الذين يَحْرِصُونَ على تَحْصِيلِ العِلْمِ ، وعلى قَرْنِهِ بالعَمَلِ الصّالحِ .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

لأنَّهُ لا يستوي العالِمُ والجاهلُ ، ولا المُؤْمِنُ والكافرُ ، فعلى العُقَلاءِ أنْ يكونوا مِنَ المؤمنينَ

المتَّقين المُحْسنينَ ، ولذلكَ أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ ينصحَ عبادَهُ المُؤْمنينَ قائلاً : يا عبادَ اللهِ المُؤْمنين عَلَيْكُم بتقوى اللهِ ربِّكُمْ ، بالاستمرارِ على طاعتِه ، والإحسانِ في عبادَتِهِ ، وأداءِ فرائضِه ، واجتنابِ مُحرّماتِه .

ومَنْ أحْسَنَ في طاعةِ اللهِ وعباداتِهِ فإنَّ اللهَ يُحْسنُ إليهِ ؛ لأنَّ جزاءَ الإحسانِ الإحسانُ ، إنَّهُ يُعطيهِ في الدُّنيا حَسَنَةً في الصِّحَّةِ والعافيةِ والطُّمأنينةِ والتوفيقِ للطَّاعةِ ، ويُعطيهِ في الآخِرَةِ حَسَنَةً في دُخولِ الجنَّةِ وتَنْعُّمِهِ فيها .

وعندما يُضَيِّقُ الكُفَّارُ على المُؤمنينَ المُحْسنينَ في أرضِ اللهِ ، ويمَنْعُونَهُمْ مِنْ عِبَادةِ اللهِ ، فعليهمْ أنْ يُهاجروا منها إلى أرضٍ أُخْرَى ، يَتمكَّنونَ فيها مِنْ طاعةِ اللهِ ، وأرضُ اللهِ واسعةٌ أينما توجَّهُوا فثَمَّ وجْهُ اللهِ .

وعليهِمْ أنْ يصْبرُوا صَبْراً جَميلاً شَامِلاً ، صبْراً على طاعةِ اللهِ ، وصبراً على تَرْكِ معاصِيهِ ، وصَبْراً على الهِجْرَةِ ومُفارقَةِ الأوطانِ ، لينالوا أجرَهُمُ الجزيلَ ، وَمِنْ رحمةِ اللهِ بالصَّابرينَ أَنْ يُوَفِّيَهُمْ أجْرَهُمْ بغيرِ حِسابٍ ولا كَيْلٍ ولا وَزْنٍ ، وإنَّما يُفيضُهُ عليهِمْ بسخاءٍ ، وَهُوَ الرحيمُ الكريمُ .

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

وكما أمرَ اللهُ رَسولَهُ ﷺ بتَوْجيهِ المُتَّقينَ للإحسانِ والهجرةِ والصَّبْرِ أمرَهُ أنْ يُخاطِبَ الكافِرينَ مُبيِّناً لهم إخلاصَهُ في عبادتِهِ للهِ ، وخوفَهُ مِنْ عذابِهِ ، وأنْ يقولَ لَهُمْ : لقد أمرَنيَ اللهُ ربِّي أنْ أعبدَهُ وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ، وأنْ أُخْلِصَ له ديني ، وأنْ أدعُوَ الناسَ إلى الدخولِ في الإسلام ، وأنْ أكونَ أوَّلَ مَنْ يُسْلِمُ ، لأنَّني رسولُ اللهِ ، ومَعَ أَنَّني رسولُ اللهِ فإنني أخافُ عذابَ يوم القيامةِ العظيمِ المُخيفِ إنْ عَصَيْتُ رَبِّي وخالَفْتُ أمرَهُ ، فلماذا لا تَخافونَ أنتُمُ العذابَ مَعَ كُفرِكُمْ وشِرْكِكُمْ ؟

وأمرَهُ أنْ يقولَ لَهُمْ أيضاً : إنَّني لا أعبدُ إلاَّ اللهَ وحْدَهُ ، وأنا مُخْلِصٌ في ديني وعِبادَتِي للهِ وَحْدَه ، غيرَ مَشُوبٍ بشِرْكٍ أو رياءٍ ، وإنِ اقتدَيْتُمْ أنتُم بي في عبادَتِي وإخْلاصِي أفلَحْتُمْ ، وإنْ أصَرَرْتُمْ على الشِّرْكِ باللهِ خَسِرتُمْ ، وأنا بريءٌ منكُمْ ، فاعبدوا ما شئتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ، ولكنْ لا تَنْسَوْا أنكُمْ ستُحاسَبونَ على ذلكَ ، وتُعذَّبُونَ في النارِ يومَ القيامةِ .

﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾

وأمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يُحَذِّرَ المُشْركينَ عاقبةَ شِرْكِهِمُ السيئةَ في الآخِرَةِ ، ويذكُرَ لَهُمْ ما ينتظِرُهُم

مِنْ خُسرانٍ وعذابٍ ، ويقولُ لهم : الخاسرون خسارةً مُطْلَقَةً شاملةً هُمْ الكافرون ، فقد خسِرُوا أنفُسَهُمْ بالكُفْرِ والمَعاصِي ، وخَسِرُوا أهليهِمْ عندما اتَّبعوهُمْ في الضَّلالِ ، وخَسِرُوا أموالَهُمْ بإنفاقِها في ما حَرَّمَ اللهُ ، وتكونُ خسارتُهُمْ واضحةً بيِّنَةً ظاهرةً يومَ القيامةِ ، حيثُ يُؤْمَرُ بهِم إلى النار ، فيُعَذَّبُونَ فيها عذاباً مُؤَبَّداً مُخلَّداً ، وتكونُ النارُ مُحيطةً بهِمْ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، ولَهُمْ مِنْ فوقِهِمْ ظُلَلٌ وَطَبَقاتٌ مُتراكِمَةٌ مِنَ النارِ ، وَمِنْ تحتِهِمْ ظُلَلٌ وطبَقَاتٌ أخرى ، فهي مِهادٌ لَهُمْ ، وظُلَلٌ لغيرِهِمْ .

وقَدْ أخبرَنا اللهُ عَنْ بعضِ أصْنافِ عذابِ الكُفَّارِ في النارِ ليُخَوِّفَ عبادَهُ المُتَّقين وَيُنْذِرَهُمْ ، فيتوقَّفُوا عَنِ المَعاصِي ، ويُقْبِلوا على الطاعاتِ ، ويَخْشَوْا بأسَ اللهِ وانتقامَهُ ، وبذلك يزدادُونَ تقوى للهِ ، واستقامةً على الصِّراطِ المُستقِيم .

وهكذا تَحَقَّقَ وعيدُ الكفارِ وتحذيرُهُمْ ، كما تحقَّقَ تبشيرُ المُسلمين وترغيبُهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكافرُ يلجأُ إلى اللهِ عِنْدَ الضُّرِّ ، وينساهُ عند الرَّخاء ، والمُؤْمنُ يكونُ مع اللهِ في الشِّدةِ والرَّخاءِ .

٢ـ لا يستوي عِنْدَ اللهِ المؤمنُ والكافرُ ، ولا يستوي عِنْدَهُ العالِمُ والجاهلُ ، وللْعُلَماءِ أعلى المنازلِ عندَ اللهِ .

٣ـ يُجازي اللهُ عِبادَهُ المُتَّقينَ المُحْسنين بالحُسْنَى في الدُّنيا والآخرةِ ، لأنَّ جزاء الإحسان هُوَ الإحسانُ .

٤ـ على المُؤْمنِ أنْ يقْتدِيَ بالرَّسولِ ﷺ في عبادته وإخلاصِه لله وحِرْصِهِ على أنْ يكون في مُقدِّمةِ المُسلِمينَ ، وخوفِهِ مِنْ عذابِ اللهِ ، وطَمعِهِ في جنَّةِ اللهِ ، وترْكِهِ لِمَا حرَّمَ اللهُ .

٥ـ كُلُّ كافرٍ خاسِرٌ خسارةً مُطْلَقةً ، وتظْهرُ خسارتُهُ يوم القيامةِ عندما يُخلَّدُ في النار .

٦ـ يُخَوِّفُ اللهُ عبادَهُ المُتَّقين بإخبارِهِمْ عنْ عذابِ الكفارِ في النارِ ، ليَتَّقُوهُ ويُخْلِصُوا لهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ الكافِرُ في صِلَتِهِ باللهِ مُتناقِضٌ ، وضِّحْ ذلك التناقُضَ مِنَ الآيةِ الأُولَى مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

٢ـ استخرِجْ مِنَ الآيةِ (٩) أفعالَ العلماءِ التي يَمْدَحُهُمُ اللهُ عليها .

٣ـ لماذا لا يَسْتَوي العُلَماءُ والجُهّالُ ؟ اذكُرْ آيةً أَوْ حَديثاً صَحيحاً في فَضْلِ العُلماءِ عندَ اللهِ .

٤ـ بماذا يُجازِي اللهُ الَّذينَ أَحْسَنوا ؟ وكَيْفَ يكونُ جزاؤُهُمْ ؟ وكيف يكونُ ثوابُ الصَّابِرِينَ ؟

٥ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدرسِ أمرَينِ أمَرَ اللهُ بهما رسولَهُ ﷺ .

٦ـ ما الذي يَخافُهُ رسولُ اللهِ ﷺ ؟ وما موقِفُكَ أنتَ مِنْ ذلكَ ؟

٧ـ متى تكونُ خسارةُ الكُفّارِ واضحةً ؟ ولماذا هُمْ خاسِرُونَ ؟

٨ـ لماذا يُخبِرُنا اللهُ عَنْ عذابِ الكُفّارِ في النارِ ؟ وما أثرُ عِلْمِكَ بذلك العذابِ على سُلوكِكَ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلِ الآيةَ(١٢) من سورة يونُسَ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآيةِ (٨) .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سُورةِ السَّجْدَةِ ، التي تَنْفي عدم استواءِ المُؤْمنينَ والكافرينَ .

٣ـ سجِّلِ الآيةَ رقم (٢٦) من سورةِ يونسَ ، واذكرِ الشَّبَه بينها وبينَ الآيةِ (١٠) .

٤ـ سجِّلْ آيةَ مِنْ سورةِ الأعرافِ تُخْبِرُ أنَّ لِلكُفّارِ نارا هي مِهادٌ وغَواشٍ لَهُمْ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينها وبين الآيةِ (١٦) .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني والعِشْرونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

معاني المُفْرداتِ :

الطاغوتُ	: كلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ .
أنابُوا إلى اللهِ	: أقبَلوا ورَجَعوا إلى اللهِ .
لَهُمُ البُشْرىٰ	: لَهُمُ الخَبَرُ السارُّ بدخولِ الجنَّةِ .
أولو الألباب	: أصحابُ العقولِ الكبيرةِ .
حقَّ عليهِ كلمةُ العذابِ	: ثبتَ ووجَبَ عذابُهُ لِكُفْرِهِ .
لا يُخْلِفُ الميعادَ	: لا يُبْطِلُ اللهُ وَعْدَهُ بالثوابِ ، ولا يتخلَّى عنهُ .
يهيجُ	: يُنَوِّرُ ويَنْمُو ويكبُرُ .
فتراه مُصْفَرّاً	: يكونُ لونُهُ أصفرَ بعدَ أنْ كانَ أخضرَ .
حُطاماً	: يكونُ يابِساً ويَنْكَسِرُ .

التفسير :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ وعيدِ الكافِرينَ وتهديدِهِمْ بالعَذابِ ، وبيانِ خسارتِهِمُ الواضحةِ يومَ القيامةِ ، لتتحدَّثَ عَنْ حُسْنِ جزاءِ المُتقينَ في الآخرةِ ، والثناءِ عليهِم بذِكْرِ بعضِ صفاتِهِم وأعمالِهِم الطيّبةِ في الدّنيا ، التي استحقُّوا بها نعيمَ الجنةِ برَحْمَةِ اللهِ ، ثم تذكرُ الآياتُ حالَ الدُّنْيا وسرعةَ انقضائِها .

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ .

يُثْني اللهُ على المُؤمنينَ ، لأنهم أعْرَضُوا عن عبادة الطاغوتِ ـ وهو كلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ ، مِنْ شيطانٍ أو إنسٍ أو جنّ أو جمادٍ ـ وعبَدُوا الله وحدَه ، وأنابُوا إليهِ ، وأقْبَلوا عليهِ .

هؤلاءِ لهم البُشْرى العظيمةُ عند اللهِ ، وهي الجَنَّةُ وما فيها من نعيمٍ وثوابٍ جزيلٍ ، وهذه البشرى قُدِّمَتْ لَهُمْ على ألْسِنةِ الرُّسُلِ عليهِمُ الصّلاةُ والسّلامُ ، وأُنزلَتْ في الكُتُبِ الربانيّةِ ، كما أنَّ الملائكةَ يُبَشِّرُونهُمْ بها عند احتضارِهِمْ .

ولأنَّ هؤلاءِ العبادَ الصالحينَ لَهُمُ البُشْرى مِنَ اللهِ ، فقد أمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ بتقديمِ البُشْرى لَهُمْ ، لِتَرْغيبِهِمْ في بَذْلِ المَزيدِ مِنَ الطاعةِ .

ومِنْ صفاتِ عبادِ اللهِ الصالحينَ أنَّهُمْ يَسْتمعونَ الكلامَ والقَوْلَ الحقَّ مِنَ الكتابِ والسُّنةِ ، فيفهمُونَهُ ويَعرفونَ المَطْلوبَ مِنْهُمْ ، ويُمَيِّزُونَ بينَ الحَسَنِ والأحْسَنِ ، فيَتَّبِعُونَ أفضلَ ما يُؤْمَرُونَ بِهِ وأحْسَنَهُ . وهذا كقولِهِ تعالى : ﴿واتَّبِعُوا أحْسَنَ ما أُنْزِلَ إليكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر : ٥٥] .

والعبادُ المتَّصِفُونَ بهذهِ الصِّفةِ الحميدةِ هُمُ الذينَ هداهُمُ اللهُ بتوفيقِهِمْ للصَّوابِ في عباداتِهِمْ وطاعاتِهِمْ ، وَهُمْ أصحابُ العقولِ الواعيةِ ، المُلتزمونَ بشرْعِ اللهِ .

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

ثم ذكرَ اللهُ النموذجَ المُقابلَ لهؤلاءِ العبادِ الصَّالحينَ ، وَهُمُ الكفارُ المُصرُّونَ على الكُفْرِ ، بالرَّغمِ مِنْ دعوتِهِم للإيمانِ ، وقدْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ حريصاً عليْهِمْ ، طامِعاً في إيمانِهِمْ ودَعاهُمْ مرّاتٍ مُتعددةً ، ولكنَّهُمْ رفَضُوا دَعْوَتَهُ وكفَرُوا بهِ ، فحَزِنَ عليهِم ، فواساهُ اللهُ بقولِهِ : إنك لا تَقْدِرُ على هِدايةِ مَنِ اختارَ الكُفْرَ وَرَفَضَ الإيمانَ ، وبذلك حقّتْ عليه كلمةُ اللهِ ، وكتَبَ اللهُ لَهُ العذابَ لكُفرِهِ وتكذيبِهِ ، وأنْتَ لا تقدرُ على إنقاذِهِ مِنَ النارِ ، لأنه ذاهبٌ إليها بسببِ إعراضِهِ عنِ الإيمانِ ، والواجبُ عليكَ دعوتُهُ ونصْحُهُ ، وقد قمتَ بالواجبِ .

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

إذا كان الكافرُ قد حقّتْ عليه كلمةُ العذاب ، واستحقَّ النار بسبب كفره ، فإنَّ الصورة المُقابلة هي صورةُ المؤمنينَ المُتّقينَ ، الذين اتّبعُوا أحْسَنَ القول ، وأحْسنُوا في عبادتِهم لله ، واتّقوا الله ربَّهُمْ ، فإنَّ اللهَ يُكْرِمُهُمْ ويُحْسِنُ جزاءَهُمْ في الآخِرَةِ ، إذ يُدْخِلُهمُ الجنة برحمته ، يتنعّمُون بخيراتها ونعيمِها ، ومِنْ ذلكَ القصورُ الشاهقةُ ، ذاتُ الطَوابقِ المُتعدِّدة ، والغُرفِ المُزَخْرفة الجميلة ، من فَوْقِها غُرَفٌ مُزخْرَفَةٌ أخرى جميلةٌ ، وجعل اللهُ الأنهارَ تَجْري مِنْ تحْتِ قُصورهم وغُرَفِهِمْ ، وذلك زيادةً في جَمَالِها وبَهائِها وحُسْنِها .

وقد وَعَدَ اللهُ عبادَهُ الصَّالحينَ تلكَ الجناتِ وهُمْ في الدّنيا ، وسيُنجِزُ لهم وعْدَهُ ، لأنّهُ ـ سُبحانهُ ـ لا يُخْلِفُ الميعادَ ولا يَنْقُضُهُ ولا يتخلّى عنْهُ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ .

بَعْدَما وصَفَ اللهُ تعالى الجنّةَ وما فيها مِنْ قُصُورٍ وغُرَفٍ وأنهارٍ ونعيمٍ ، ورغَّبَ المؤمنين فيها ، ووجَّهَ أنظارَهُمْ إليها ، ذكر الدُّنيا وقصرَ مُدّتها وسُرعةَ زوالها ، فقالَ للنبيِّ ﷺ ـ ولكلِّ مؤمن مِنْ بعدِهِ ـ : مَثَلُ الدنيا في قِصَرِها وسُرعة زوالِها كمثلِ ماءٍ انزلَهُ اللهُ من السحاب ، فأسكنَهُ في الأرْضِ ، ثم أخرجَ مِن الأرضِ عُيونا مُتدفّقة وينابيع غزيرة ، وأخرجَ بذلك الماء زروعا ونباتاتٍ وأعشاباً وحشائشَ وخضْرَاوات ، مختلفة ألوانُ أزهارِها وثمارها ، ما بين أبيض وأصفر وأحمر وأخضرَ .

وبعدَ ذلك يهيجُ ذلكَ الزَرْعُ ويكبُرُ ، ويكون قويّا ناميا نضرا ، ثم تراهُ مُصفرَّ اللَّون والأوراقِ ، ثم يُصبِحُ حُطَاما يابساً مُفتّتا مُكسّرا . فعُمْرُ هذا الزرع قصيرٌ ، وهكذا الدُّنيا لا تدومُ على حال .

وفي هذا التمثيلِ للدُّنيا بالزَرْعِ ذكْرى وعظةٌ للمُؤمنين ، أصحاب العقولِ الواعية ، فلا يَعْملون للدُّنيا الفانية ، ولا يُفَضِّلونها على الآخرة الباقية ، وانما يَسْعَوْنَ للآخرة ونعيمها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرة منها :

١ ـ وُجوبُ تبْشيرِ العبادِ المُتقين المُنيبين إلى الله بالجنة ونعيمها ، لينشطُوا للعبادة أكثر .

٢ـ المؤمنُ يُحسنُ فهمَ القولِ الصّحيحِ ، ويتّبعُ الأحسنَ والأفضلَ والأكملَ ، ويُقدِّمُهُ على غيرِه .

٣ـ اللهُ يهدي أُولي الألبابِ ، وأصحابَ العُقولِ الواعيةِ ، ويوفِّقُهُمْ لِما يُحبُّه ويرضاهُ .

٤ـ على المُسلمِ أنْ يدعوَ اللهَ ، ولا ييأسَ مِنْ عدمِ إيمانِ كثيرٍ مِنَ الناسِ .

٥ـ وعدَ اللهُ المُتقينَ الجنّةَ ، وهُوَ مُنْجِزٌ لَهُمْ ما وَعَدَ ، لأنّهُ لا يَنْقُضُ عَهْدَهُ ولا يُخْلِفُ وَعْدَهُ .

٦ـ الدُّنيا سَريعةُ الزّوالِ ، قَصيرةُ المُدَّةِ ، أَشْبهُ ما تكونُ بِزَهْرةٍ سريعةِ الذُّبولِ ، أو زَرْعٍ قريبِ الحصادِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ استَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ خمسَ صفاتٍ لعبادِ اللهِ المُتقينَ استحقّوا لها البُشرى مِنَ اللهِ .

٢ـ متى تُقدّمُ لِلْمُتّقينَ البُشرى ؟ وما دليلُكَ مِنَ القرآنِ على ذلكَ ؟

٣ـ لماذا لا يقدرُ رسولُ اللهِ ﷺ على إنقاذِ مَنْ في النارِ ؟ وما الواجبُ عليهِ تُجاهَهُمْ بالرّغمِ مِنْ ذلكَ ؟

٤ـ استخرجْ من آياتِ الدّرسِ صُورتَيْنِ جميلتَيْنِ لنعيمِ المُتقينَ في الجنةِ .

٥ـ اذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بينَ الدُّنيا والزَّرعِ المذكورِ في الآيةِ الأخيرةِ . واستشهدْ على ذلكَ بآيةٍ أُخرى .

٦ـ مدحَ اللهُ المُؤمنينَ في آياتِ الدّرسِ بأنّهم أُولو الألبابِ مرّتينِ . اذكُرْ سببَ مدْحِهِم بذلكَ في كلِّ مرّةٍ .

٧ـ ذكرتِ الآيةُ الأخيرةُ ثلاثَ مراحلَ يمرُّ بها الزّرعُ ، اشرحْ كلَّ مرحلةٍ منها .

نشاط :

١ـ سجّلِ الآيتينِ (٣٠ـ٣١) من سورةِ فُصّلتْ ، واستخرجْ منهما البِشارةَ لِلمُؤمنينَ ، واذكُرِ الشَّبهَ بينهما وبينَ الآيةِ (١٧) .

٢ـ استخرجْ آيةً من أواسطِ سُورةِ الكهفِ تَضربُ مثلَ الحياةِ الدُّنيا بالماءِ النازلِ مِنَ السّماءِ المُختلطِ بهِ نباتُ الأرضِ ، واذكرْ وجهَ الشّبهِ بينها وبينَ الآيةِ (٢١) .

الدرسُ الثالثُ والعشرونَ

سُورةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ الخامِسُ

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **شرَحَ اللهُ صَدْرَهُ** : بسَطَهُ وجَعَلَهُ مُسْتَعِدّاً لقَبولِ الحقِّ .
- **ويلٌ** : كلمةُ تهديدٍ بالعذابِ .
- **للقاسيةِ قلوبُهُمْ** : لِلّذينَ قلوبُهُمْ جامِدَةٌ مُعْرِضَةٌ عَنِ الحقِّ .
- **أحسَنَ الحديثِ** : القُرآنَ .
- **مُتَشابِهاً** : تُشْبِهُ آياتُهُ بعضُها بعضاً .
- **مَثانِي** : تُكَرَّرُ موضوعاتُهُ وتُثَنّى ، دونَ أنْ يَمَلَّ القارِئُ منها .
- **تَقْشَعِرُّ** : ترتعدُ خَوْفاً مِنْ آياتِ الوعيدِ والتهديدِ .
- **تلينُ** : تَسْكُنُ وتطمَئِنُّ .
- **يَتَّقِي بوجهِهِ** : يقي نَفْسَهُ بوجْهِهِ .
- **الخِزْيَ** : الذُّلَّ والهوانَ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ بعضِ صفاتِ المُتَّقينَ ، لتتحدَّثَ عَنِ القرآنِ المُتشابهِ والمَثاني ، وتأثُّرِ المُؤمنينَ واهتدائِهم بِهِ ، وإعراضِ الكُفَّارِ عَنْهُ .

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

لا يَستوي المُؤْمنُ مُنْشَرِحُ الصَّدْرِ مَعَ الكافرِ قاسي القَلْبِ ، فالمؤمنُ شرحَ اللهُ صدرَهُ للإسلامِ ، فَقَبِلَهُ واهتدى بِهِ ، وبذلك صارَ على بَصيرَةٍ ونورٍ مِنْ ربِّه ، سعيداً في حياتِهِ ، سَمْحاً راضياً في تعامُلِهِ مَعَ الناسِ .

أمّا الكافرُ فقد طَبَعَ اللهُ على قَلْبِهِ بسببِ كُفْرِهِ ، فصارَ قاسِيَ القلبِ ، غافِلاً جاهِلاً سَيّءَ الخُلُقِ ، بعيداً عَنِ الحقِّ .

وقد هدَّدَ اللهُ الكفارَ قُساةَ القلوبِ بالعذابِ الشَّديدِ ، حيثُ إنَّ قلوبَهُمْ لا تلينُ عِنْدَ ذكرِ اللهِ ، ولا تخشَعُ للحقِّ ، وبذلكَ صاروا في ضلالٍ واضِحٍ .

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ الحديثِ عَنْ شَرحِ صَدْرِ المُؤمنِ ، أخْبَرَنا اللهُ عَنِ الذي يَشْرَحُ الصَّدْرَ ، وَهُوَ القُرْآنُ ، وذَكَرَ صِفَةَ هذا القُرْآنِ وأثرَهُ على المُؤْمِنِ .

فاللهُ هُوَ الَّذي أنزَلَ القُرآنَ على قَلْبِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وجَعَلَهُ أحْسَنَ الحديثِ . وخَيْرَ الكلامِ ، لما فيهِ مِنَ البَرَكةِ والخَيْرِ ، وهُو كتابٌ مُتشابِهٌ ، تتشابَهُ وتتماثَلُ آياتُهُ وعباراتُهُ ، في جَمالِ النَّظْمِ وإحْكامِ التعبيرِ وتَحْقيقِ الإعجازِ ، وتتشابَهُ مَعانيهِ ومَوْضوعاتُهُ ، وأحكامُهُ ، في الصِّدقِ والصَّوابِ والخيرِ ، وهو مثاني تُثَنَّىٰ آياتُهُ وتتكرَّرُ ، ويُكَرِّرُ المُؤْمِنُ تِلاوتَهُ مِنْ دونِ مَلَلٍ ، وتتكرَّرُ مَواعِظُهُ وأحكامُهُ وأوامرُهُ ونواهيهِ .

ويُؤَثِّرُ القرآنُ في قَلْبِ المُؤمنِ الخاشعِ ، فعندما يقرأُ آياتِ الوعيدِ والعذابِ يَرْتَعِدُ خَوْفاً مِنَ اللهِ ، ويَقْشَعِرُّ جِلْدُهُ ، وتَضْطَرِبُ نفسُهُ ، لأنَّه يَخْشَى عذابَ اللهِ ، فإذا قرأ آياتِ التَّرْغيبِ والوَعْدِ والرحمةِ سكَنَ قلبُهُ ، واطمأنَّتْ نفسُهُ ولانَ جِلْدُهُ واستقامَتْ حياتُهُ .

ويَنتُجُ مِنْ تأثُّرِ المُؤمنِ بالقرآنِ اهتداؤهُ بهُدى اللهِ تعالى ، فتكونُ حياتُهُ وفْق أحكام اللهِ ، وقدْ جَعَلَ اللهُ القرآنَ هُدىً ، يَهدي بهِ عبادَهُ المؤمنينَ المُقْبِلينَ على القرآنِ . أمّا الكفارُ فإنّهم محجوبون عَنْ أنوارِهِ وهُداهُ بكُفْرِهِمْ ، ولِذلكَ صَارُوا ضالّين ، ولا يستطيعُ أَحَدٌ أنْ يهدِيَ مَنْ أضلَّهُ اللهُ ، بسبب عِنادِهِ وإصرارِهِ على الكُفْرِ .

﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

وإذا كانَ المُهْتدونَ بالقرآنِ والمُعرِضون عنهُ لا يستَوُونَ في الدُّنْيا ، فهم لا يستوون في الآخرةِ ، فالكافرُ يَقِي نَفْسَهُ سُوءَ العَذابِ بوجْهِهِ يومَ القيامةِ ، ولا يَجِدُ ما يتّقي به العذاب الشّديدَ سوى وجهِهِ ، فيُلْقَى على وجْهِهِ في جهنّم ، وهو لا يَسْتوي مَعَ المُؤمنِ الذي يأتي آمنا يوم القيامةِ .

وعندما يُلقَى الكُفّارُ الظالمونَ على وجوهِهِمْ في النارِ يُقالُ لَهُمْ مِنْ بابِ الذمِّ والتوبيخ : ذُوقُوا أيُّها الظالمُونَ عذابَ النارِ عِقاباً لكمْ على ما كسبْتُمْ في الدنيا مِنَ المَعاصي .

ولقد كذَّبَ الكُفّارُ رسولَ اللهِ ﷺ كما كذَّبَ الكفارُ الذينَ مِنْ قبلِهِمْ رُسلَهُمْ ، فعاقَبَ اللهُ المُكذِّبينَ السّابقينَ بِذُنوبِهِمْ ، فأتاهُمْ عذابُهُ فجأةً ، مِنْ جهةٍ لم يَترَقَّبُوها ، ولم يستعِدُّوا لَهُ .

وأوقعَ اللهُ بهِمُ الذُلَّ والخِزْيَ في الحياةِ الدُّنيا . وعذابُ الآخرةِ أكبرُ مِنْ عذابِ الدُّنيا بدرجات ، لأنَّهُ عذابٌ أبديٌّ لا انتهاء لَهُ ، ولكنَّ الكفار لا يَعلَمونَ ذلكَ ، ولِذلِكَ لا يتَّعِظُونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعِبر كثيرةٍ منها :

١ـ المؤمنُ مُنْشَرِحُ الصدر ، يَمْنَحُهُ الإسلامُ هُدُوءاً وطُمأنينةً وحِلْماً وسعادة ، فلا يقْلَقُ ولا يتوتَّرُ .

٢ـ قسوةُ القلبِ عقوبةٌ شديدةٌ مِنَ الله ، ولا تَسْتَقيمُ حياةُ مَنْ قَسا قَلْبُهُ .

٣ـ القُرآنُ خَيْرُ الكلامِ وأحسنُ الحديث وهو مُتشابهٌ مُتماثِلٌ . يُكرَّرُ ويُثنَّى مِنْ دون مللٍ ، والحياةُ مَعَهُ نِعْمَةٌ .

٤ـ المُؤْمِنُ الصَّادقُ بيْن خوفٍ ورجاء ، يخافُ عندَ سماعِ آيات العذابِ ، ويرْجو الجنّةَ عندما يَسْمَعُ آياتِ النّعيم .

٥ـ القرآنُ يؤثّرُ في حياةِ المؤمنِ ، ويزيدُهُ اهتداءً والتزاماً وتطبيقاً لشرعِ اللهِ .

٦ـ لا يستوي المهتدي بالقرآنِ والمُعرِضُ عنْهُ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ .

٧ـ لا يجدُ الكافرُ ما يدفعُ به عن نفسه العذابَ يوم القيامة إلا وجْهَهُ ، فيتَّقي بِهِ مِن العذابِ .

٨ـ الخِزْيُ والذلُّ في الدّنيا والآخرةِ لكلِّ مَنْ كفرَ باللهِ ، وكذَّبَ رُسلَهُ ، وأعْرضَ عَنْ شرْعِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ كيف يكونُ المؤمنُ مُنْشرِحَ الصَّدرِ ؟ وما آثارُ ذلك عليه ؟

٢ـ اذكرْ أربعَ علاماتٍ لصاحبِ القلبِ القاسي .

٣ـ ما معنى وصفِ القرآنِ في الآيةِ : ﴿أحسنَ الحديثِ كتاباً مُتشابهاً مثانيَ﴾ ؟

٤ـ لماذا تَقْشَعِرُّ جُلُودُ المؤمنينَ مِنَ القرآنِ ؟ وماذا يُصيبُهُم بعد تلك القُشَعْريرةِ ؟

٥ـ بماذا يتقي الكافرُ النارَ يومَ القيامةِ ؟ ولماذا ؟

٦ـ اذكرْ نوعين من العذابِ عذَّبَ اللهُ بهما الكفارَ ، أشارتْ إليهما آياتُ الدَّرسِ .

٧ـ استخرجْ من آياتِ الدرسِ خمسةَ فروقٍ بينَ المؤمنين والكافرين .

نشاط :

١ـ سجّلْ آيةً مِنْ سورةِ الأنعامِ تفرِّقُ بيْنَ مَنْ شرحَ اللهُ صدْرَهُ للإسلامِ ، ومَنْ جَعلَ صَدْرَهُ حَرَجاً كأنَّما يصَّعَّدُ في السَّماءِ ، واذكرِ الشَّبهَ بينها وبين الآيةِ (٢٢) .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ أربعةَ فروقٍ بين سماعِ المُؤمنِ وسماعِ الفاسقِ للقرآنِ وما ينتجُ مِنْ كلٍّ ذلك .

٣ـ سجّلِ الآيةَ الأربعين من سورةِ فُصِّلتْ ، واذكرِ الشَّبهَ بينها وبين الآيةِ (٢٤) .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والعِشْرُونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **ضَرَبْنا للناسِ** : أوْرَدْنا وذَكَرْنا للناسِ .
- **غيرَ ذي عِوَجٍ** : لا لَبْسَ ولا اختلافَ ولا اعوِجاجَ فيه .
- **مُتَشاكِسُون** : مُتنازِعونَ مُختلِفُونَ .
- **رجُلاً سَلَماً** : سالِماً خَالِصاً لا يُنازِعُهُ فيهِ أحدٌ .
- **تَخْتَصِمُونَ** : تَحْتَكِمون إلى اللهِ لِقَضاءِ المَظالمِ بينكُمْ .
- **مَثْوىً** : مأوىً ومكانُ إقامةٍ دائمةٍ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنِ القُرآنِ وَصِفاتِهِ وأثرِهِ الإيجَابيِّ على المُؤمنينَ ، وتهديدِ المُعْرِضينَ عنْه بالخِزْيِ والعذابِ لتَتَحدَّثَ عَنْ ضَرْبِ الأمثالِ في القرآنِ وحِكْمَته .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

يُخبرُنا اللهُ أنهُ ضربَ للناسِ أمْثالاً مُتعدِّدةً في القُرآن . وضَرْبُ المَثَلِ هُو تشبيهُ حالٍ غريبةٍ بحالٍ أخْرى مَفْهُومةٍ ، لتوضيحِ الفكْرةِ لدَى المُستمعين .

لقد ذَكرَ اللهُ في القرآن أمثالا مُتعدِّدة ، تشملُ كلَّ ما يحتاجهُ الناسُ في أُمورِ دينِهمْ . والحكْمةُ مِنْ ذلكَ أنْ يتذكَّرَ النَّاسُ الحقَّ ، ويعتبرُوا ويتَّعظُوا ، ويلْتزمُوا بالحقِّ ويتخلَّوْا عنِ الباطل .

وَوصَفَ اللهُ القرآنَ بأنَّهُ عربيٌّ . وعربيَّتُهُ في لُغته وتعبيرهِ وأُسْلوبه . وقد عَجزَ الفُصحاءُ البُلغاءُ العَرَبُ ، ممَّا يدلُّ على أنَّ عربيَّتَهُ بلغتْ الذِّروةَ السَّاحقةَ المُعجزَةَ . وهذا القرآنُ مُستقيمٌ ، كلّهُ صوابٌ ، لا عِوَجَ فيه ، ولا انحرافَ ولا تناقُضَ ، كما قال تعالى : ﴿ولوْ كانَ منْ عندِ غيْرِ اللهِ لوَجدُوا فيهِ اخْتلافا كَبِيرا﴾ (النساء : ٨٢) وقدْ جعلَهُ اللهُ كذلكَ ليُؤمنَ بهِ منْ يسْمعُهُ .

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

ذكرَ اللهُ مَثلاً عَجيبا لِلمُؤْمنِ في خُضوعِهِ لله وَحْدَهُ ، والكافرِ في خُضوعِهِ لآلِهَةٍ مُتعدِّدينَ .

مَثلُ الكافرِ المُشركِ باللهِ في خُضوعِهِ للآلهةِ الكثيرينَ كمثَلِ عَبدٍ مَملوكٍ لِعددٍ منَ الرِّجالِ ، كلُّ واحدٍ منهُمْ يملكُ جُزءاً منْهُ ، فهُمْ شُركاءُ فيهِ . وَهُمْ شركاءُ مُختلِفُونَ مُتنازعُونَ في العَبْدِ ، أخلاقُهُمْ سَيِّئةٌ ، وكلُّ واحدٍ منهم يَطْلُبُ منهُ حاجةً خِلافَ طلبِ الآخَرِ ، فماذا يفْعلُ ؟ وكيفَ يُرضيهِمْ جميعاً ؟ وكيفَ يُنَفِّذُ طلباتِهمُ المُتعارِضَةَ ، إنَّهُ يتمزَّقُ بينهم ، وهكذا المُشركُ يتمزَّقُ بين الآلِهَةِ المُتَعَدِّدةِ ، والمذاهبِ المختلفة ، والمَناهجِ المُتضَادَّةِ ، ولا يُمكنُ إرْضاؤُها كلّها . .

وضرَبَ المَثلَ للمؤمنِ في خُضوعِهِ للهِ وَحْدهُ باطمئنانٍ وأمانٍ ، بمثلِ عبْدٍ مملوكٍ لرجلٍ واحدٍ ، لا يُشارِكُهُ فيهِ أحدٌ ، فإذا طَلبَ منهُ شيئا نَفَّذَهُ بيُسْرٍ . هل يستوي هذانِ العبدانِ في ولائِهما وطَاعَتِهما ؟

وكما أن العَبْدينِ لا يَسْتويَانِ ، لِلْفَرْقِ البعيدِ بيْنَهُما ، كذلك لا يستوي المُؤمنُ والكافرُ في حياتِهما ، فالمُؤمنُ آمنٌ مُطمئنٌ ، سعيدٌ هَادِىءٌ ، لأنَّهُ يعبدُ اللهَ وحْدهُ ، والكافرُ قَلِقٌ مُتمزِّقٌ ، حائرٌ ضائعٌ ، لأنه يَعْبُدُ آلِهَةً كثيرةً .

وبهذا المَثَلِ أقامَ اللهُ الحُجّةَ على المُشركين ، فلهُ الحمدُ على ما أنْعَم وقدَّمَ ووضَّح ، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلَمُونَ هذا الحَقَّ ، فيُعْرِضُونَ عَنْهُ ويُعادُونَهُ لجهْلِهم ، ومَنْ جهلَ شيئا عاداهُ .

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

ولمَّا كانَ مُعْظَمُ الناسِ لا يَعلمونَ ، ويَجْهَلُونَ ما في القرآنِ مِنْ حَقائقَ ، فلا بُدَّ مِنْ أنْ يتمَّ الحُكْمُ والفَصْلُ بينَهم يومَ القيامةِ ، ولِذلكَ أخبرَ اللهُ عَنْ حقيقةِ المَوْتِ والبَعْثِ .

قالَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ : أنتَ لَسْتَ مُخَلَّداً في الحَياةِ الدُّنْيا ، وعندما يأتيكَ أجلُكَ وَيَنْتَهي عُمُرُكَ فإنَّ اللهَ سَيُمِيتُكَ وَيَقْبِضُ رُوحَكَ ، وسيُميتُ أعداءَكَ الكُفَّارَ أيضاً ، ويومَ القيامةِ سيَبْعَثُ اللهُ الأحياءَ جميعاً ، ثم يفصِلُ بَيْنَهُمْ في ما وَقَعُوا فيهِ في الدُّنيا مِنْ خِصَامٍ وتنازُعٍ واخْتِلافٍ ، بِحُكْمِهِ العَادِلِ ، وقضائِهِ الحَاسِمِ .

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يَخْتَصِمُ المُختصِمُونَ عندَ اللهِ يومَ القِيَامَةِ ، وَمِنْ ذلكَ اخْتِصَامُ المُشركِينَ ، الَّذينَ يَحْكُمُ اللهُ فيهم حُكْمَهُ العادِلَ ، ويُعاقِبُهُمُ العُقوبةَ التي يستحقُّونَهَا ، والتي تنُاسِبُ جرائِمَهُمْ . إنَّهُمْ ظَالِمُونَ ظُلْماً قبيحاً لارتِكَابِهِمْ جَرِيمَتَيْنِ شَنِيْعَتَيْنِ : فقد كذَّبُوا على اللهِ ، عندما زَعَمُوا أنَّ لَهُ شريكاً أو صَاحِبَةً أو وَلَداً ، ثم كذَّبُوا رَسُولَهُ ﷺ لمّا جاءَهُمْ بالصِّدْقِ والحَقِّ ، وكَفَروا بِهِ ، ولا أَحَدَ أَشَدُّ ظُلْماً ممَّنْ كذَبَ على اللهِ ، وكذَّبَ رَسُوْلَهُ ، وأنكرَ ما جاء بِهِ مِنَ الحَقِّ .

وإنَّ العَذَابَ الشديدَ لَيَنْتَظِرُ هؤلاءِ الظَّالِمينَ الكاذِبينَ المُكَذِّبينَ ، حيثُ يُخَلِّدُهُمُ اللهُ في جَهَنَّمَ ، ويَجْعَلُها لَهُمْ مَسْكَناً دائِماً ومأوىً ثابِتاً ، وبِئْسَ جَهَنَّمُ مُسْتَقَرّاً ومَقيلاً لَهُمْ .

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

انتقلَ مِنْ وَعيدِ الظَّالِمينَ وتَهْدِيدِهِمْ بالعَذَابِ إلى وَعْدِ الصَّادِقينَ وتَبْشِيرِهِمْ بالنَّعِيمِ ، وهؤلاءِ الصَّادقونَ مِنْهُمْ مَنْ جاءَ بالصِّدقِ وَهُوَ رسولُ اللهِ ﷺ ، ومِنْهُمْ مَنْ صدَّقَ بِهِ فآمنَ بِهِ واتَّبَعَهُ ، وَهُمْ أُمَّتُهُ المُتَّبِعَةُ لَهُ ، وفي مُقَدِّمَتِها أصْحَابُهُ رضوانُ اللهِ عليهِمْ .

وقَدْ أعدَّ اللهُ لهؤلاءِ الصَّادقينَ المُصَدِّقينَ المُتَّقينَ النعيمَ المُقيمَ في الجَنَّةِ ، وأعطاهُمْ فيها كلَّ ما يُرِيدُونَ ويطلُبونَ ، لا يُمنعَون مِنْ شيءٍ ، ولَهُمْ فيها ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بشرٍ .

وقد أكرَمَهُمُ اللهُ بذلكَ النَّعيمِ لأنَّهُمْ كانوا في الدُّنيا مُحسِنينَ للهِ ، في عِبَادَتِهِمْ وَحيَاتِهِمْ . وجزاءُ المُحسنينَ عندَ اللهِ الإحسانُ .

وقد مَنَّ اللهُ عليهِمْ بتكفيرِ سيِّئَاتِهِمُ التي عَمِلُوها في الدُّنيا ، مَهْمَا كانَ مُستواها مِنَ السُّوءِ ، وَبَعْدَ

ذلكَ يَجزيهِمْ أَحْسَنَ الجَزاءِ ، ويُثيبُهُمْ أوفى ثَوابٍ وأَكْرَمَهُ . كما قالَ تعالى : ﴿أولئِكَ الذينَ نَتَقبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ . .﴾ [الأحقاف : ١٦] كلُّ ذلكَ جَزاءَ إيمانِهِمْ وأَعْمالِهِمُ الصَّالحَةِ التي عَمِلُوهَا في دُنياهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ ضرَبَ اللهُ للناسِ أمثالاً مُتَعَدِدةً في القُرآنِ لِيَتَذَكَّرُوا .

٢ـ القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مُعْجِزٍ ، لا خطأَ أو تَنَاقُضَ أو اضْطِّراب في مَعَانِيهِ وَمَوْضُوعاتِهِ .

٣ـ المُؤمنُ آمِنٌ مُطْمَئِنٌّ مُسْتَسْلِمٌ للهِ ، والكافرُ حائِرٌ قَلِقٌ مُتمزِّق .

٤ـ لم يجْعَلِ اللهُ مَخْلُوقاً مُخَلَّداً ، والمَوْتُ نِهايَةُ كلِّ مَخْلُوقٍ .

٥ـ الكافرونَ الكاذِبونَ على اللهِ ، المُكَذِّبونَ لِرَسُولِهِ ﷺ ، هُمْ أظلَمُ الناسِ .

٦ـ يَمْدحُ اللهُ المُؤمنينَ المُتَّقينَ ، لأنَّهُمْ صَادِقُون مُصَدِّقُونَ .

٧ـ جزاءُ الإحْسَانِ عندَ اللهِ هُوَ الإحسانُ ، ويُكْرِمُ اللهُ المُحْسِنِينَ بنَعِيمِ الجَنَّةِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما حِكْمَةُ ضَرْبِ الأمثالِ في القُرآنِ ؟ اذكُرْ أربعةَ أمثالٍ قُرآنيةٍ .

٢ـ اشرحِ المَثَلَ المَضْرُوبَ في القرآنِ للمُؤمنِ والكَافِرِ ، وبيِّنِ الارتباطَ بَيْنَ المَثَلِ وبينَ المُؤمنِ والكافرِ .

٣ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ صِفتَيْنِ وُصِفَ بِهِمَا القُرآنُ ، وبيِّنِ الصِّلَةَ بَيْنَهُما .

٤ـ ما معنىٰ قولِهِ : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾ وكيفَ خاطَبَ الرّسولَ ﷺ بذلكَ مَعَ أنَّهُ لم يكُنْ ميِّتاً عند نُزولِ الآيةِ ؟

٥ـ استخرجْ جَرِيمَتَيْنِ فَعَلَهُمَا المُشرِكُونَ ، وبذلكَ كانوا أظْلَمَ الظَّالِمِيْنَ .

٦ـ اسْتَخْرِجْ صِفتَيْنِ حَمِيْدَتَيْنِ لِلْمُتقينَ اسْتَحَقُّوا بِهِما حُسْنَ الجزاءِ .

٧ـ ماذا يُعطِي اللهُ المتَّقينَ في الجَنَّةِ مُقابلَ إحسانِهِمْ ، استخرجْ ذلكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ ثلاثةَ أمثالٍ للحَشَراتِ مَضْروبةً في القرآنِ ، واذكُرِ السُّورةَ التي ضُرِبَ فيها كلٌّ واحدٍ منها .

٢ـ اُذْكُرْ آيةً مِنْ سورةِ السَّجْدَةِ تُقَرِّرُ أنَّهُ لا يَعْلَمُ أحدٌ ما أُخْفِي للمُؤمنينَ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ ، واذكُرْ حديثاً عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، بِمَضْمُونِ ذلكَ ، واكتُبْهُما في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامسُ والعِشْرُونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ السَّابِعُ

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **كافٍ عَبْدَهُ** : يتكَفَّلُ بعبدِهِ ويَحْفَظُهُ ويَحْمِيهِ .
- **عَزيزٍ** : قويٌّ غالِبٍ لا يَغْلِبُهُ شيءٌ .
- **كاشِفاتُ ضُرِّهِ** : يَدْفَعْنَ ضُرَّهُ .
- **مُمْسِكاتُ رَحْمَتِهِ** : يَحْبِسْنَها ويَمْنَعْنَها .
- **حَسْبِيَ اللهُ** : اللهُ يَكْفِيني في جميعِ أُموري .
- **على مَكانَتِكُمْ** : على حالِكُمْ .
- **يُخْزِيهِ** : يُذِلُّهُ .
- **عَذابٌ عظيمٌ** : عَذابٌ دائِمٌ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ ضَرْبِ المَثَلِ للمُؤمنِ والكافرِ ، لِتَتَحَدَّثَ عَنْ تَكَفُّلِ اللهِ بعبادِهِ ، وكِفايَتِهِ لَهُمْ .

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

الاسْتفْهامُ في الآيةِ للتقريرِ ، فهي تُقرِّر حقيقةً قاطعةً ، وهي أنَّ الله يكفي كلَّ منْ عبدهُ وتوكّل عليهِ ، ويقضي لهُ حاجاته ، ويدفعُ عنهُ الخطر . وفي مُقدِّمة العباد الّذين يكفيهمْ اللهُ رسولُهُ ﷺ . فاللهُ يَحْفظُهُ ويَحميهِ منْ أعدائه ، وينْصُرُهُ عليهمْ .

وقد طَمْأنَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ ، ودَعاهُ إلى ألاّ يخافَ منْ تهديدِ الكُفّارِ ، الّذين كانوا يُخوّفونَهُ بآلِهَتِهِمْ وأصْنامِهمْ ، ويزْعُمون أنّها ستَنْتقم منهُ وتقْضي عليهِ ، إنِ استمرَّ في مُواجهتها . فدعَاهُ إلى ألاّ يَخافَ منها ، لأنها لا تضُرُّ ولا تنفعُ ، واللهُ كافيه وحافظُهُ .

وبيّن اللهُ أنّ الهداية والضّلال بيده وحْدهُ ، فهُو يُضلُّ من يختار الضّلال ورفض الهداية ، وهذا لا هادي لهُ ، ويَهْدي منْ أراد الهداية ورغب فيها ، وهذا لا يقدرُ أحدٌ على إضلاله .

واللهُ عزيزٌ قويٌّ غالبٌ ، قاهرٌ لكُلِّ شيء ، منيعُ الجناب ، لا يُضامُ من اعتمد عليه . وهُوَ ذو انتقام ، يُعاقِبُ منْ عَصاهُ ، وينتقمُ منْهُ . وهذا وعيدٌ وتهديدٌ للْكُفّارِ ، وبُشرى وطُمأنينةٌ للمؤمنين .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

بعد تقرير حقيقة الهُدى والضّلالِ ، وأنّهما بيدِ الله ، عاد لإقامة الحجّة على الكُفّار ، ونقض ما عندهُمْ منْ أباطيل ، فبيّن أنّهمْ مُقرُّون بأنَ الله الخالق ، ومع ذلك يعبدون معهُ آلهة لا تضُرُّ ولا تنفعُ .

يقولُ اللهُ لرسوله ﷺ : إنْ سألت المُشركين المُعاندين : من الذي خلق السموات والأرض ؟ فسيكونُ جوابُهمْ : اللهُ الذي خلقهُما وحده ، لأنّ هذه حقيقةٌ واضحةٌ . لا يستطيعُون ردّها أو مُخالفتها .

ومع ذلك الاعتراف يُشركون بالله ، ويعبدون غيرهُ من الأصنامِ ، وهُمْ يُوقنون أنّها ليست خالقةً . فكيْف قبلتْ عقولُهُم عبادة غير الخالق ؟

ولذلك أمر اللهُ رسولهُ ﷺ أن يسأل المشركين مُوبّخا لهُمْ : إذا أقررْتُم بأنّ الله وحْدهُ هو الخالقُ ، فمنْ أين أتيْتُمْ بآلهة شُركاء لهُ ؟ ثمّ أخبرُوني عنها : هل تقدرُ على دفع ضُرّ أو أذى أرادَ اللهُ إصابتي به ؟ وهلْ تقدرُ على منع رحمة أراد اللهُ إيصالها لي ؟

والجوابُ أنها لا تقدرُ على دفع ضُرّ ، ولا على منع رحمة وخير ، لأنّ الضّرّ والنّفع بيد الله

وَحْدَهُ ، فكيفَ جعلُوها آلهةً وعبدُوها مِنْ دونِ اللهِ ؟ وهي بهذا العَجْزِ!

وبعد إفْحامِ الكافرِ وإقامةِ الحُجَّةِ عليهِ أمرَ اللهُ رسُولَهُ ﷺ أنْ يُعْلِنَ توكُّلَهُ على اللهِ ، لأنَّ الأمورَ كُلَّها بيدِهِ ، ويقولَ : اللهُ حَسْبِي وكَافِيني في جميعِ أُموري ، فَهُوَ الذي يَحْفظُني ويَرْعانِي ، ويَدْفعُ الضُّرَّ عَنِّي ، ويُقَدِّمُ الخَيْرَ لي ، وأنا أتوكَّلُ عليهِ وأُوَجِّهُ كُلَّ طَلَبَاتِي إليهِ ، وأُحْسِنُ الظَّنَ بِهِ . ويَجِبُ أنْ يَتَوَكَّلَ المُتوَكِّلُونَ عليهِ وَحْدَهُ ، والتوكُّلُ على غَيْرِهِ شِرْكٌ بِهِ .

والإعلانُ الواضِحُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿حسبيَ اللهُ عليهِ يتوكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ﴾ هو تطبيقٌ للسؤالِ التقريريِّ في الآيةِ السابقةِ : ﴿أليسَ اللهُ بكافٍ عبدَهُ﴾ .

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

بعد وُضُوحِ الطَّرِيقَيْنِ : طريقِ المُؤْمِنِينَ المُتوكِّلِينَ على اللهِ وَحْدَهُ ، وطَرِيقِ المُشْرِكِينَ المُتَناقِضِينَ مَعَ أنفُسِهِمْ ، الذينَ يَعترِفُون بأنَّ اللهَ هو الخالقُ وَحْدَهُ ثم يُشْرِكونَ بِهِ ، ويَعبُدُونَ غيْرَهُ ، أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لهُمْ مُهَدِّداً مُتَوَعِّداً : يا قَومي : لَقَدْ دَعوتُكُمْ ، ولكنَّكُمْ كذَّبْتُمُونِي ورَفَضْتُمْ دَعْوَتي ، وتَمَسَّكْتُمْ بشِرْكِكُمْ وكُفْرِكُمْ ، فاعمَلُوا على حَالَتِكُمْ وطَرِيقَتِكُمْ ، وامكرُوا بي وتآمَرُوا عليَّ وحارِبُوني ، كما شِئْتُمْ . . وأنا عاملٌ على حالَتي ومَنْهَجِي وطَرِيقَتِي ، في عِبَادَتي للهِ وَحْدَهُ ، ودَعْوتي الناسَ إليهِ . . وأنامُوقِنٌ بالنَّصْرِ عليكُمْ ، واثِقٌ بانتشارِ دِيني وهزيمةِ باطِلِكُمْ .

وأنتم لا تُصَدِّقُونَني ، وتَسْخَرونَ مِنِّي ، فسوفَ تَعْلَمُوْنَ صِدْقي ، عندما يَنْصُرُني اللهُ عليكُمْ ، وبذلكَ يُوقِعُ اللهُ بكُمُ العذابَ الشديدَ الذي يُذِلُّكُمْ ويُخْزِيكُمْ في الدُّنْيا ، ويومَ القيامةِ سوفَ يُعذِّبُكُمُ اللهُ في النارِ ، وبذلك تَخْسَرونَ الدُّنيا والآخِرَةَ .

وقد تحقَّقَ ما هدَّدَهم بِهِ رسولُ اللهِ ﷺ ، ونَصَرَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ في غَزَواتِ بَدْرٍ وأُحُدٍ وما بعدَها ، وأَوْقَعَ اللهُ بِهِمْ عَذَابَ الخِزْيِ ، وانتشرَ الإسلامُ ، ومكَّنَ اللهُ لهُ في الأرضِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ مِنْ أساليبِ إقامةِ الحُجَّةِ على المُخالِفِينَ طَرْحُ الأسئلةِ التقريريَّةِ ، التي لها جَوَابٌ وَاحِدٌ فَقَطْ .

٢ـ اللهُ يكفي عِبادَهُ أمورَهُمْ ، ويَقضي لَهُمْ حَاجاتِهِمْ ، وَهُمْ يتوكَّلُون عليهِ وَحْدَهُ .

٣ـ اللهُ وحدهُ هو الخالقُ الرّزاق ، والضّارّ والنافعُ ، وغيرُه عاجزٌ عنْ كلّ ذلك .

٤ـ المؤمنُ لا يخافُ إلا الله ، لأنّ الأمور كلَّها بيدِه ، ولهذا لا يؤثّرُ فيه تهديدُ الكفار وتخويفُهم .

٥ـ المؤمنون والكافرون يعملون ، كلّ على طريقه ومنهجِه ، والعاقبةُ للمؤمنين ، والمستقبلُ لهم .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلة الآتية :

١ـ استخرجْ من آيات الدّرس أربعة استفهامات تقريرية ، ثم يذكرْ جوابَها لأنّها بدهيّةٌ مقرّرةٌ .

٢ـ كيف تكونُ كفايةُ اللهِ لعبدِهِ ؟ ومتى يتوكّلُ العبدُ عليهِ وحدَهُ ؟

٣ـ استخرج من آياتِ الدّرس مثالاً لتناقضِ المشركين مع أنفسهمْ .

٤ـ بماذا تردّ على منْ خوّفك منْ غير الله ؟ ولماذا ؟

٥ـ ما المرادُ بقوله تعالى للمشركين : ﴿اعملوا على مكانتكمْ إنّي عاملٌ﴾ ؟ وما الدّلالةُ التي تخرجُ بها منْ ذلك ؟

٦ـ استخرجِ من الآيةِ الأخيرة تهديد الرّسول ﷺ للمشْركينَ ، وبيّنْ كيفَ تحقّقَ ذلكَ التهديدُ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترك حادثة تدلُّ على حماية اللهِ لرسوله ﷺ

٢ـ اكتُبْ في دفترك ردّ إبراهيم عليه السلامُ على قومه ، عندما خوّفُوهُ منْ آلهتهمْ ، كما جاءَ في سورة الأنعام .

٣ـ سجّلِ الآيةَ الأخيرة من سورةِ التوبة التي يعلنُ الرّسولُ ﷺ فيها أنّ الله حسْبُهُ ونعْمَ الوكيلُ . واذكرِ الشّبهَ بينها وبين الآية (٣٨) .

٤ـ اكتُبْ في دفترك الخطابَ الذي خاطب به رسولُ اللهِ ﷺ قَتْلى قُريش يومَ بَدْر ، وعلى ماذا يدلُّ ذلك ؟

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالعِشْرُونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ الثَّامِنُ

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

معاني المُفرداتِ :

ما أَنْتَ عَلَيْهِم بوكيلٍ : لستَ مُوَكَّلاً عَلَيْهِمْ لتُجبرَهُمْ على الإيمانِ .

يَتوفَّىٰ الأنفُسَ : يَقْبِضُ الأرواحَ .

حينَ موتِها : حينَ نومِها .

يُمْسِكُ التي قَضَى عليها المَوْتَ : يَقْبِضُ الرُّوحَ التي كُتِبَ عَلَيْها المَوْتُ ، ولا يَرُدُّها إلى البَدَنِ .

يُرْسِلُ الأُخْرى : يُعيدُ الرُّوحَ الأُخرى إلى البَدَنِ .

إلى أَجَلٍ مُسمَّى : إلى حينِ حُلولِ مَوْعِدِ موتِها .

آياتٍ : دَلالاتٍ وعِظاتٍ .

شُفَعاءَ : وُسَطاءَ .

اشْمأَزَّتْ : نفَرَتْ وانْقبَضَتْ .

يَستبشِرونَ : يفرَحُونَ ويُسَرُّونَ .

تنتقلُ الآياتُ منَ الحديثِ عنْ لتوكّلِ على اللهِ ، لتتحدّثَ عنْ بعضِ مظاهرِ قدرةِ اللهِ المُطْلَقةِ .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لرسولِه ﷺ : نحنُ الّذين أنزلنا عليكَ كتابنا القرآنَ ، وكان إنزالُهُ مقْروناً بالحقِّ ، وعليكَ أنْ تدعْوَ الناسَ إليه ، وتُطالِبَهُمْ بالالتزامِ به .

فمنِ استجابَ لكَ ، وآمنَ بالقرآنِ ، واهتدى بهِ ، وعمِلَ بما فيهِ ، فقدِ انتفعَ بهِ ، وعادَ نَفْعُهُ على نفْسِه ، ومَنْ رَفضَ دعْوَتَكَ ، وكذَّبَ بالقرآنِ ، وأعرضَ عنهُ ، فقدْ ضلَّ وخابَ وخسِرَ ، وعادَ ضلالُهُ على نَفْسِهِ ، ولا يَضُرُّكَ أنت ، لأنّكَ قُمْتَ بالواجبِ عندما دعوْتَهُ ، وأنتَ لستَ مُكلّفاً بجَعْلِ الإيمانِ والاهتداءِ في قلوبِهِمْ ، ولذلكَ لا تُحاسَبُ عنهُمْ إنْ أصرُّوا على كُفرِهِمْ .

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

تتحدّثُ الآيةُ عنْ مَظْهرٍ منْ مظاهرِ قُدرةِ الله ، بعْدَ الحديثِ عنْ إنزالِ القرآنِ . فاللهُ هُوَ الخالقُ للإنسانِ المُتصرِّفُ فيه ، يُحييه ويُميتُهُ .

فاللهُ سبحانه يَقبضُ الأرواحَ عنْدَ النومِ ، ويُسيطِرُ عليْها ويتحكَّمُ فيها ، والإنسانُ يكونُ عندَ النومِ كالميّتِ ، فإذا جاءَ أجلُهُ في أثناءِ نومِه وانتهى عُمْرُهُ الّذي حدَّدهُ الله لهُ ، فإنه يُمسِكُ روحَهُ عندَهُ ، ولا يعيدُها إلى بدنِهِ ، وبذلكَ يُصبِحُ هذا الإنسانُ ميّتاً وجُثّةً هامِدةً ، وإذا لمْ يحنْ أجلُهُ ، وبقيَ في عُمْرِه بقيّةٌ فإنَّ اللهَ يُعيدُ روحهُ إلى بدنه عند استيقاظِهِ ، ويُبقيهِ حيّاً لحينِ انتهاءِ عُمْرِهِ .

فالنومُ كالموتِ ، في عدمِ قُدْرةِ النائمِ على التصرُّفِ ، والنومُ وفاةٌ صُغرى ، لأنَّ اللهَ يتوَفّى روحَ النائمِ ، لكنَّه يُعيدُها إليهِ عِنْدَ استيقاظه ، والموتُ وفاةٌ كُبْرى ، لأنَّ الرّوحَ لا تُعادُ إلى البدَنِ .

وفي هاتينِ الوفاتيْنِ ـ الصُّغرى بالنوْمِ ، والكُبرى بالموْتِ ـ اللّتَيْنِ يمرُّ بهما الناسُ دائماً آياتٌ وعِظاتٌ ودروسٌ وعِبرٌ ، ولكنْ لا يعتبرُ بها إلاّ المُؤْمنون الّذين يتفكّرونَ ويهْتدونَ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

معَ أنَّ الأمورَ كلّها بيدِ الله إلاّ أنَّ الكفّارَ اتّخذوا شُفعاءَ من دونه . وقدْ ذمّهُمُ اللهُ على ذلكَ

بقوله : هل اتخذ المشركون من دون الله آلهة من الأصنام والأوثان ، اعتبروها شفعاء ، تشفعُ لهم ، تجلبُ لهم الخير أو تدفعُ عنهمُ الضرَّ ؟ مع أنّه لا ينبغي لهم ذلك .

وقدْ أمرَ اللهُ رسولهُ ﷺ أنْ يُنكرَ عليهم فِعْلَهُمْ قائلا : كيْفَ اتَّخذْتُمُ الأصنامَ شُفعاءَ لَكُمْ عند اللهِ مع أنَّهُمْ لا يملكُون شيئا أصلا ، فضلا عنْ أنْ يملكُوا الشَّفاعة التي هِيَ المَنْزِلةُ العُليا عندَ اللهِ ، وَهُمْ لا يَعقلونَ شيئاً مُطْلقاً ، فكيف يَكُونُ الّذي لا يَملِكُ ولا يعقلُ شفيعاً ؟

إن الشَّفاعة كلَّها لله ، لأنّهُ مالِكُ السّموات والأرضِ وحْدَهُ ، والمُتصرّفُ فيهما ، وأَنْتُمْ تُرْجَعونَ إليه في الآخرَة ليُحاسبكُمْ ، ولا تكونُ الشّفاعةُ إلا لمالكِ النَّفْعِ والضُّرِّ في الدُّنيا ، ومالكِ الحساب والجزاء في الآخرة ، وهذا خاصٌّ باللهِ وحْدَهُ . ولا يشفعُ عندَهُ أحدٌ إلا بإذنِهِ ، لقوله تعالى : ﴿مَنْ ذا الذي يشْفعُ عِنْدَهُ إلا بإذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ .

ولبستْ قبائحُ المُشركينَ مَقْصُورةَ على اتِّخاذِ الأصْنامِ شُفعاءَ عندَ اللهِ ، بل لَهُمْ قبائحُ مُتعَدِّدةٌ ، منها أنّهم يكْرَهون ذكْرَ الله ، ويُحبُّون ذكْرَ الأصْنام والأوثان : فإذا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ ، وسمعُوا مُؤمناً يقولُ لا إلهَ إلاّ اللهُ ، تنْقبضُ قلوبُهُمْ وينفِرون ، ويمْتلِئونَ غيْظاً وغَضَباً ، لأنهم لا يُوَحِّدُونَ اللهَ ، ولا يُؤمنون باليوم الآخرِ ، وإذا ذُكِرَ الّذينَ منْ دُونِ الله منَ الأصنام والأوثانِ يستبشرونَ ويُسَرُّونَ ويَفْرَحُون .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المُؤمنُ هو المُستفيدُ من الهُدى ، والضالُّ لا يجْني إلاّ على نفسِه ، واللهُ غَنيٌّ عنِ العالَمينَ .

٢ـ مهمَّةُ الرسولِ ﷺ مقْصُورةٌ على الدَّعوةِ والبَلاغ ، وهُوَ غيرُ مُكلَّفٍ بجَعْلِ الإيمانِ في قلوبِ الناس .

٣ـ الإنسانُ تحْتَ أمرِ اللهِ وقضائِهِ ، فاللهُ هُو الذي يُحْييه ويُميتُهُ ويَحْفَظُهُ ويَرْعاهُ .

٤ـ النومُ وفاةٌ صُغرىٰ ، والموتُ وفاةٌ كُبرىٰ . وحياةُ الإنْسانِ بيْنَ هاتينِ الوفاتَيْنِ .

٥ـ الشّفاعةُ كُلُّها لله وَحْدَهُ .

٦ـ مِنْ قبائحِ المُشْرِكين أنَّهُمْ تشْمئِزُّ قلوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ، ولكنَّ قلوبَ المُؤْمنين تطمَئِنُّ عند ذِكْرِ اللهِ .

٧ـ المُؤْمِنْ يفرَحُ بِذِكْرِ اللهِ ويَطمَئِنُّ قلبُهُ ، ويَنْقَبِضُ عند ذِكْرِ الباطِلِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتية :

١ـ اذكرْ آيةً تُبيِّنُ أنَّ المُؤْمِنَ هُوَ المُسْتَفِيدُ مِنَ الهُدى ، والكافِرَ هو الخاسِرُ بسببِ الضَّلالِ .

٢ـ ما هُوَ الواجِبُ على رسولِ اللهِ ﷺ تُجاهَ الناسِ ؟ وما الَّذي يَعْجَزُ عنهُ تُجاهَهُمْ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ وفاتَيْنِ يمرُّ بهما الإنسانُ ، واستشهدْ على ذلكَ بآيةٍ أُخْرى .

٤ـ ما معنى كَوْنِ الشَّفاعةِ كلِّها للهِ ؟ ومَنِ الذين يَشْفَعُونَ يومَ القيامةِ بإذنِ اللهِ ؟

٥ـ لماذا يَنْفِرُ الكفارُ من ذِكْرِ اللهِ ، ويفرَحُونَ بذكرِ الباطِلِ ؟

٦ـ ما أثرُ ذكرِ اللهِ عليكَ أنتَ ؟ وماذا تفعلُ إذا سمِعْتَ ذِكْرَ البَاطِلِ والحرام ؟

نشاط :

١ـ اذكُرْ آيةً تَقصُرُ مَهمَّةَ الرسولِ ﷺ على البلاغِ والتَّذْكيرِ ، وأنَّهُ غيْرُ مَأْمورٍ بجَعْلِ الإيمانِ في قلوبِ الناسِ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينها وبينَ الآية (٤١) ، واكتُبْ ذلك في دفترِكَ .

٢ـ اكتُبْ في دفترِكَ الدُّعاءَ المأْثُورَ الذي تَدْعُو بهِ عندَ النَّومِ ، والدُّعاءَ الآخَرَ الذي تَدْعُو بهِ عند الاستيقاظِ .

٣ـ سجِّلِ الآيةَ(٦٠) مِنْ سُورةِ الأنعام . واستخرجْ منها الوفاةَ الصُّغرى والوفاةَ الكُبرى ، واذكرْ وجْهَ الشَّبَهِ بينَهاوبينَ الآيةِ (٤٢) .

٤ـ سَجِّلْ آيةً مِنْ أواخِرِ سورةِ الحجِّ بمعنى الآيةِ (٤٥) ، تُقرِّرُ إنكارَهُمْ على مَنْ يَتْلُونَ عليْهِم آياتِ اللهِ ، حتى إنهم لَيَكادونَ يَسْطُونَ بِهِمْ ويَقْضُونَ عليهِمْ .

* * *

الدَّرسُ السَّابعُ والعِشرونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ التَّاسِعُ

قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

فاطرَ السّمواتِ والأرضِ	: خالِقَهُمَا ومُبْدِعَهُما على غَيرِ مثالٍ سابقٍ .
عالمَ الغيبِ والشّهادةِ	: عالِمَ ما غابَ عنّا وما نُشاهِدُهُ .
لافْتَدَوْا به	: قدَّمُوهُ لِينجُو مِنَ العذابِ .
بَدَا لَهُمْ	: ظَهرَ لَهُمْ .
يَحْتَسِبُونَ	: يَتوقّعُونَ .
حاقَ بهم	: حلَّ بِهِمْ .
خَوّلْناهُ	: أَعْطَيْناهُ .
فِتْنَةٌ	: ابتلاءٌ وامتِحانٌ .
يَقْدِرُ	: يُضَيِّقُ الرِّزْقَ ويُقَلِّلُهُ .

التفسيرُ :

كان الحديثُ في الآياتِ السَّابقةِ عَن بعضِ مظاهِرِ قُدرة اللهِ المُطلقةِ ، وتتحدَّثُ هذه الآياتُ عَن خسارةِ الظالمينَ وسوءِ مَصيرِهِمْ .

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

يأْمُرُ اللهُ نبيَّهُ ﷺ باللجُوءِ إليهِ ودُعائِهِ ، بأنْ يقولَ في دُعائِهِ : يا اللهُ ، يا خالِقَ السمواتِ والأرضِ ، ويا عالِمَ ما غابَ عنَّا وما شاهدْناهُ ورأيْناهُ ، أنتَ لقادرٌ على كلِّ شيءٍ ، والمُحيطُ عِلْماً بكلِّ شيءٍ ، وستَبْعثُ المُخْلُوقِينَ يَوْمَ القيامةِ ، وتُحاسِبُهُمْ على أعْمالِهِمْ ، وتُثيبُ المُحسنَ بإحسانِهِ ، وتُعاقِبُ المُسيءَ بإساءتِهِ ، وأنتَ تَحْكُمُ بينَ عِبادِكَ ، وتَفْصِلُ بينَهُمْ فيما اختلفُوا فيهِ في الدُّنيا .

وقَدْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُنَفِّذُ أمْرَ اللهِ في صَلاتِهِ ، فروى مُسلمٌ عَنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا قامَ مِنَ الليلِ افتتحَ صلاتَهُ بقولِه : « اللهمَّ ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ ، عالِمَ الغيبِ والشهادةِ ، أنت تَحْكُمُ بيْنَ عِبادِكَ فيما كانُوا فيه يختلِفُونَ . اهْدِني لِمَا اختُلِفَ فيه مِنَ الحقِّ بإذنِك ، إنَّكَ تَهدي مَنْ تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ . . »[1]

﴿ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

اللهُ يَفْصِلُ بينَ عبادِه يومَ القيامةِ ، فيما كانوا يَختلِفُونَ فيه في الدُّنيا ، ويَحْكمُ على الكافِرينَ الظالِمينَ بعَدْلِهِ ، ويُعذِّبُهُمْ على ذنوبهم التي عَمِلُوها في الدنيا ، ولا يَدفعُ أحدٌ عنهمُ العَذابَ .

ولو مَلَكَ الظَّالمونَ الكافرونَ كلَّ ما في الأرضِ جميعاً ، مِنَ الأموالِ والذَّخائرِ والمُمْتلكاتِ ، ومَلكُوا مَعَهُ مِثْلَه ، وضَمُّوهُ إليهِ ، لقدَّمُوا ذلك الكثيرَ فِدْيةً لَهُمْ ، يَفْدُون به أنفُسَهُمْ مِنَ العذابِ السيِّءِ المُهينِ في نارِ جهَنَّمَ ، ولو ملكُوا هذا كلَّهُ وقدَّمُوهُ فدْيةً لأنفُسِهِمْ . فإنَّ اللهَ لن يتقبَّلَهُ مِنْهُمْ ، لأنَّ الآخِرَةَ دارُ جزاءٍ على أعمالِ الدُّنيا ، وقد كانوا في الدُّنيا كافرينَ ظالِمينَ .

ويَظْهَرُ لِلكُفَّارِ الظالمينَ مِنْ صنوفِ العذابِ ، وأنواعِ العِقابِ ، الذي أعدَّه اللهُ لَهُمْ ، ممَّا لم يكُنْ

(١) صحيح مسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب الدعاء في صلاة الليل . حديث رقم ٧٧٠ .

في حسابهم ولم يخطر على بالهم . وبذلك يكون قد ظهر لهم آثار ونتائج ما كانوا يعملونه في الدنيا ويكتسبونه من السيئات والمعاصي ، وأحاط بهم ما كانوا يستهزئون به في الدنيا من العذاب ، فما أنكروه من عذاب النار ، حل بهم ، وتمكن منهم في جهنم يوم القيامة .

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

ومن قبائح الظالمين الكافرين وجرائمهم التي يستحقون بها العذاب في الآخرة ، تناقضهم في مواقفهم ، وفي صلتهم بالله ، فالواحد منهم عندما يصيبه الضر ، كالفقر أو المرض أو المصيبة ، يدعو الله ويفزع إليه ، ويطلب منه وحده الفرج ، وعندما يفرج الله عنه ضره ينساه وينقض عهده معه ، ويشرك به ، وعندما ينعم الله عليه بالنعم ، لا ينسبها لله ، ولا يشكره عليها ، وينسبها لنفسه ، ويعتبرها ثمرة علمه وكسبه وجده وذكائه .

ولم يعلم هذا الكافر الجاهل أن ما آتاه الله من نعم ، إنما هو فتنة وابتلاء له ، ليعرف هل يشكره أم يكفر به ، ويجحد نعمته .

﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

هذه الجملة الجاحدة « إنما أوتيته على علم » لم يقلها الواحد من الكافرين المتأخرين ، وإنما قالها الكفار السابقون ، الذين كانوا قبلهم ، فعاقبهم الله على كفرهم وجحودهم ، وأوقع بهم العذاب ، ولم يدفع عنهم عذاب الله ، وبذلك دفعوا ثمن السيئات التي كسبوها ، وجنوا ثمارها المرة .

وسيصيب الظالمين من الكفر المتأخرين نتائج سيئاتهم التي كسبوها ، كما حصل مع الكفار السابقين ، وهذه هي سنة الله مع الكافرين الجاحدين ، على اختلاف زمانهم ومكانهم ، ولا تبديل أو تغيير لسنة الله . والكافرون لا يعجزون الله ، لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

هذا إنكار من الله على الكافرين المتقدمين والمتأخرين ، الذين جهلوا أو غفلوا ، فلم يعلموا أن الله هو الرزاق ، وأنه يوسع رزقه على عباده بحكمته ، فيبسطه لمن يشاء منهم ويزيده ، ويقلله على من يشاء ويضيقه عليه . وفي هذا كله آيات وعبر وعظات ، ولكن لا يلتفت إليها إلا القوم المؤمنون ، فيزدادون إيمانا بالله ، ويرضون بقدره .

دُروسٌ وعِبرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على المُؤْمِنِ أنْ يُكثِرَ مِنْ دُعاءِ اللهِ والثناءِ عَلَيْهِ ، وَوَصْفِهِ بما يَليقُ بهِ مِنْ كَمالٍ وجَلالٍ .

٢ـ لا يُقْبَلُ مِنَ الكافرينَ الظالمينَ أيُّ فِدْيَةٍ يَوْمَ القيامةِ ، حتّى لَوْ قدّموا ما في الأَرْضِ جميعاً ومثْلَه مَعَهُ .

٣ـ يُفاجَأُ الكُفّارُ بأنواعٍ مِنَ العذابِ يومَ القيامةِ ، لم يكونوا يتوقعونها .

٤ـ سُنّةُ اللهِ مُعاقَبَةُ الكافِرينَ والظّالمين على جرائمِهِمْ ، على اختلافِ زمانِهِمْ ومكانِهِمْ ، وهم لا يَغلِبُونَ اللهَ وَلا يُعجِزُونَهُ .

٥ـ اللهُ حكيمٌ في توزيعِهِ الرِّزقَ على عبادِه ، فيُوَسّعُ على مَنْ يشاءُ بحِكْمَتِهِ ، ويُضيّقُ على مَنْ يشاءُ بحِكْمَتِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكرِ الدّعاءَ الَّذي عَلَّمَهُ اللهُ لِرَسولِهِ ﷺ ، وبيّنْ معناهُ ، وكيفَ طبّقَهُ الرّسولُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ .

٢ـ ما الذي يَتمنّى الظّالمونَ دَفْعَهُ يَوْمَ القيامةِ ؟ ولماذا لا يُقْبَلُ مِنْهُمْ ؟

٣ـ ما الذي يُفاجَأُ بِهِ الكفارُ يومَ القيامة ممّا ذَكَرتْهُ آياتُ الدّرسِ ؟

٤ـ كَيْفَ يتصرّفُ الكافرُ عند الضُّرِّ ، وعندَ النِّعْمَةِ ؟ وما وَجْهُ الخطأِ في ذلك ؟

٥ـ اذكرْ نموذجاً للكافِرِ مِنَ السّابقينَ نَسَبَ النِّعْمَةَ إلى نَفْسِه ، وكيف كانَتْ نهايَتُهُ ؟

٦ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ القاعدة الربانيّةَ الحكيمةَ في توزيعِ الرِّزقِ على الناسِ .

نشاط :

١ـ سجّلْ آيتيْنِ مِنْ سُورة المائدةِ تُقرّرانِ أنّه لو قدّمَ الكُفّارُ كلَّ ما في الدّنيا فِدْيَةً لَهُمْ مِنَ النارِ لما تقبَّلَهُ اللهُ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ عذابٌ أليمٌ مُقيمٌ .

٢ـ تَنْطَبِقُ هذه الآيةُ على قارونَ الذي اغترَّ بمالِه ، اقرأْ قِصّتَهُ في سُورةِ القَصَصِ ، وسجّلِ الجُمْلَةَ التي قالَها ، وأَخبرَتْ عنها الآيةُ (٤٩) ، وماذا كانَتْ نهايَتُهُ ؟ واكتُبْ ذلك في دفترِكَ .

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ العَاشِرُ

۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَسْرَفُوا على أنفُسهِم : جنَوْا على أنفُسِهِمْ بالإكثارِ مِنَ المَعاصي .

لا تقنَطُوا : لا تيأَسُوا .

أَنيبُوا إلى ربِّكُمْ : اِرْجعُوا إلى ربِّكُمْ .

بغتةً : فجأةً .

يا حَسْرَتَى : يا نَدَمي وحُزْني .

فرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ : قصَّرْتُ في حقِّ اللهِ .

كَرَّةً : رَجْعَةً إلى الدُّنيا .

مثوًى : مأوىً ومُقامٌ .

بمَفازَتِهِمْ : بفَوزِهِمْ وفَلاحِهِمْ .

التفسيرُ :

تحدَّثتِ الآياتُ السَّابقةُ عَنْ خسارةِ الظَّالمين الكافرين ، وسوءِ مصيرِهِم في الآخرةِ ، وتدعُو هذه الآياتُ النَّاسَ العُصاةَ إلى التوبةِ ، والاستغفارِ والإنابةِ إلى اللهِ قبلَ فواتِ الأوانِ .

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

يأمرُ اللهُ رسُولَهُ ﷺ أَنْ يُرغِّبَ النَّاسَ العُصاةَ في التَّوبةِ ، بأنْ يقولَ لَهُمْ : يا عِبادَ اللهِ ، ٱلَّذين تجاوَزُوا الحَدَّ ، وجنَوْا على أنفُسِهم بالإكثارِ من المَعاصي ، لا تيْأسُوا ولا تقنَطُوا مِنْ رَحمةِ اللهِ ومغفِرَتِهِ ، ولا تَستَسلِمُوا لِلمَعاصي ، بل عليْكُمْ أنْ تُسارِعُوا إلى التوبةِ والاستغفارِ ، وأنْ تُوقِنوا بأنّ اللهَ سيغفِرُ لكُمْ ذنُوبكمْ كلَّها ؛ لأنهُ يغفرُ الذنوبَ جميعاً ويَرْحمُ التائبينَ المُستَغْفِرينَ ، وَهُوَ غفورٌ رحيمٌ .

وهذه الآيةُ دعوةٌ للمُذْنبينَ جميعاً إلى التوبةِ ، سواءٌ أكانوا مُسلمينَ عُصاةً ، أَمْ كُفّاراً ظالمينَ . وترغيبٌ لَهُمْ في التَّخلّي عَنِ الذُّنوبِ أَوِ الكُفرِ ، لأنّ اللهَ يَغفرُ لِكُلِّ إنسانٍ ذُنوبَهُ ، حتّى الكافِرُ يغفرُ له كلّ ذُنوبِهِ ، إذا أسْلمَ وتابَ واسْتَغْفَرَ .

﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ الدّعوةِ إلى عدمِ القُنوطِ مِنْ رحْمةِ اللهِ ، وترغيبِ العُصاةِ في التوبةِ ، لابدّ مِنَ القِيامِ بخطُواتٍ أُخرى ، كي تكونَ التوبةُ صادقةً .

- الإنابةُ إلى اللهِ ، والاستسلامُ الصادقُ لهُ ، والطاعةُ التامّةُ باجْتنابِ ما حرّمَ وأداءِ ما أوجَبَ ، وذلكَ قَبْلَ مَجيءِ عذابِ الدنيا بالموْتِ ، لأنّ منْ ماتَ كافرا أو مُسرفاً منْ دون توبةٍ وإنابةٍ فسَوفَ يُعذَّبُ يومَ القيامةِ ، ولن يجدَ ناصراً يدفعُ عنهُ ذلكَ العذابَ .

- الاتّباعُ الصّادقُ للقرآنِ الكريمِ ، وهو أحسنُ ما أنزلهُ اللهُ مِنَ الكُتُبِ على رُسلِهِ ، وذلكَ بإحلالِ حَلالِه وتَحْريمِ حرامِهِ ، قبلَ أنْ يأتيهُمُ العَذابُ فجأةً ، وهُمْ غافِلُونَ عَنْهُ ، لا يشعُرُونَ بِهِ .

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

إنَّما دعا اللهُ كلَّ نَفْسٍ إلى التوبةِ والعَملِ الصَّالح لِئلاَّ تتعلَّلَ بالأمانِيِّ أو تتحسَّرَ على ما فاتَ ، في وَقْتٍ لا تنفعُ فيهِ الحَسْرةُ والندامةُ .

يقولُ اللهُ : بادِرُوا بالتوبةِ والعَملِ كَراهَةَ أنْ تقولَ نَفْسٌ آثِمَةٌ مُذنِبَةٌ بعدَ فواتِ الأَوانِ : يا حَسْرَتي ونَدامَتي وأَسَفي على ما قصَّرْتُ ، لعدمِ قيامي بحقِّ اللهِ ، وعدمِ تنفيذِي لأحكامِهِ ، فقدْ كنتُ مِنَ السّاخِرينَ ، المُسْتَهزئينَ بكتابِ اللهِ ودينهِ ورُسُلهِ .

ويقولُ : بادِرُوا إلى التوبةِ كَراهةَ أنْ تقولَ نفسٌ آثِمَةٌ أُخرى لَوْ أنّ اللهَ هَداني بالإرشادِ إلى دِينِهِ لكنْتُ مِنَ المُؤْمنينَ المُتّقينَ للهِ .

ويقولُ : بادِرُوا بالتَّوْبةِ كَراهةَ أنْ تقولَ نفسٌ أُخرى آثِمَةٌ حينَ تشاهِدُ أمامَها عذابَ النارِ : ليتَ لي رَجْعةً أُخرَى إلى الدُّنيا ، فأكونَ مِنَ المُؤمنينَ المُحْسِنينَ العابِدينَ للهِ .

يقولُ لَهُم : بادِرُوا بالتَّوْبةِ والعَمَلِ الصالحِ ، فمازالَتِ الفُرْصَةُ موجُودةً أمامَكُمْ ، فاسْتَفيدُوا مِنْها لتُفْلِحُوا .

﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

هذا ردٌّ مِنَ اللهِ على تحسُّرِ الكافرِ يومَ القيامةِ ، وتَعلُّلِهِ بعدم هدايةِ اللهِ لَهُ ، وتمنِّيهِ العَوْدةَ للدُّنيا ، يقولُ اللهُ له : نَعَمْ لقد جاءَتْكَ - أيها العبدُ النادِمُ حيثُ لا ينفعُ الندمُ - آياتُ اللهِ المُنزَّلَةُ في القرآنِ ، وقامَتْ عليكَ الحُجَّةُ ، فكذّبْتَ بتلك الآياتِ ، واستكْبَرْتَ عنها ، ولم تَقْبَلْ أنْ تخضعَ لها وتَتَّبِعَها ، وكُنْتَ مِنَ الكافرينَ بها فَفَضَّلْتَ الضَّلالةَ على الهُدى ، وبذلك حقَّ عليك العذابُ بكُفرِكَ .

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

الكفارُ الذين كذبُوا على اللهِ بأنِ ادَّعَوْا لهُ شَريكاً أو صَاحِبةً أو وَلَداً ، تَسْوَدُّ وُجوهُهُمْ يومَ القيامةِ ، بسبَبِ كَذِبهِم وافترائِهم ، وذلكَ عندما يُشاهِدُونَ النارَ والعذابَ ، فيُسَيْطِرُ عَليْهِمُ الحزنُ والكآبةُ ، ويَنعكِسُ ذلك على وُجوهِهم قترةً وغَبَرَةً وسَوادًا .

ويُدخلُهُمُ اللهُ النارَ أذلاّءَ مُهانِينَ ، ويَجْعَلُ جَهَنَّمَ مأوًى ومَسْكَناً لَهُمْ ، عقاباً لَهُمْ على تكبُّرِهِمْ ورَفْضِهِمُ الانقيادَ لِلْحَقِّ .

وإذا كانَ هذا هُوَ حالَ الكافِرينَ المُفترينَ المُتكبِّرينَ في النارِ ، فإنَّ المُؤْمِنينَ المُتّقين يكونونَ في عِزَّةٍ وسَعادةٍ ونعيمٍ في الجَنَّةِ . فاللهُ يُنْجيهم مِنَ النارِ بفوزِهِمْ بالجَنةِ ونعيمِها ، وهم فيها آمِنونَ مُطمَئِنّونَ ، لا يَمَسُّهمُ السُّوءُ ، ولا ينالُهُمُ الأذى ، ولا يُحزِنُهُمْ شيءٌ ، ولا يَخافونَ مِنْ شيءٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ على المُسْلِمِ ألاّ ييأسَ مِنْ رَحمةِ اللهِ وَمغفرَتِهِ ، مَهْما عَمِلَ مِنْ ذُنوبٍ ، وأنْ يُوقِنَ بأنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ .

٢ـ اللهُ يَغْفِرُ الذُّنوبَ كُلَّها حتّى لو كانَتْ كُفْراً باللهِ ، إذا تابَ الإنسانُ وتخلّى عنها قبلَ إغلاقِ بابِ التَّوْبةِ .

٣ـ مِنْ نتائجِ التَّوْبةِ النَّصوحِ الإنابةُ إلى اللهِ ، والإكثارُ مِنَ العَمَلِ الصالحِ ، والاتّباعُ الصّادِقُ للقُرآنِ .

٤ـ اللهُ يُقيمُ الحُجَّةَ على الكُفّارِ والعُصاةِ ، ويَقطعُ أسبابَ الاعتذارِ ، لِئلاّ تكونَ لَهُمْ حُجَّةٌ على اللهِ .

٥ـ الكُفّارُ يتحسَّرُونَ ويَنْدَمُونَ يومَ القيامةِ ، ولكنْ بعدَ فواتِ الأوانِ ، ويتمَنَّوْنَ العودةَ ليُؤمِنوا ، ولكنْ لا يُستجابُ لَهُمْ .

٦ـ المُتّقونَ فائِزونَ ناجُونَ آمِنونَ مُطْمَئِنّونَ في الجَنَّةِ ، جزاءً بما كانُوا يَعْمَلُونَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأُولى ترغيبَ اللهِ الناسَ في التوبةِ والاستغفارِ .

٢ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ ثلاثةَ أعْمالٍ لا بدّ مِنْ أنْ يَعْمَلَها التائبُ لتُقْبَلَ توبتُهُ .

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ ثلاثةَ أقوالٍ يقولُها الكُفّارُ يومَ القيامةِ ، وكان يُمْكِنُهُمْ ألاّ يَقولُوها لَوْ آمَنُوا .

٤ـ كَيْفَ تكونُ وُجُوهُ الكُفّارِ يومَ القيامةِ ؟ وَلِماذا ؟

٥ـ اذكُرِ الصُّورةَ المُشرِقَةَ التي يَكونُ عَليْها المُؤمْنِونَ في الجَنّةِ ، كما تبدُو مِنَ الآيةِ الأَخيرةِ .

تَعَلَّمْ :

في كَلمَةِ فرَّطْتُ « تُدغمُ الطاءُ في التاءِ ، وتُلفَظُ تاءً مُرَقَّقة » . استمِعْ إليها مِنَ المُعَلِّمِ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ حديثاً يُبيِّنُ أنَّ التوبة تمحُو جميعَ الذنوبِ .

٢ـ سَجِّلِ الآيةَ (٣١) من سُورةِ الأنعامِ ، التي تُخبِرُ عنْ حَسْرةِ الكُفَّارِ وَنَدَمِهم في الآخِرَةِ . واذكُرِ الشَّبهَ بينَها وبينَ الآيةِ (٥٦) .

٣ـ سَجِّلِ الآيتَيْنِ (١٥٦ـ١٥٧) مِنْ سُورةِ الأنعامِ في تعلُّلِ الكُفارِ بعدمِ هِدايةِ اللهِ لهُم .

٤ـ سجِّلِ الآيتَيْنِ (٢٧ـ٢٨) مِنْ سُورة الأنعامِ ، في تمنِّي الكفارِ العودةَ إلى الدنيا ليُؤمِنُوا ، وتكذِيبِهِمْ في هذه الأمنيّةِ .

* * *

الدرسُ التاسعُ والعشرون

سورةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ الحادي عشَرَ

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

مقاليدُ السّمواتِ والأرضِ : مفاتيحُ خزائِنِ السّمواتِ والأرضِ .

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ : لَيَذْهَبَنَّ عملُكَ ، فيُصْبِحُ باطلاً فاسِداً لا أَجْرَ لكَ عَلَيْهِ .

ما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِه : ما عَظَّمُوا اللهَ حقَّ تعظيمِهِ ، عندما أشركُوا بِهِ .

الأرضُ جميعاً قبْضَتُهُ : الأَرْضُ مقبوضَةٌ للهِ ، وفي مُلْكِهِ وتَصرُّفِهِ .

السمواتُ مَطوِيّاتٌ بيَمينِهِ : السّمواتُ مجْموعَاتٌ بيمينِ اللهِ ، يَطْويها بيمينه كَطَيِّ السّجِلِّ للكُتُبِ .

سُبحانَه وتعالى : تنَزَّهَ اللهُ وتقدَّسَ وتعاظَمَ عمّا يُشرِكُ به المُشركونَ .

الصُّور : البُوقُ ، وهو القَرْنُ الذي يَنفُخُ فيه إسْرافيلُ يَوْمَ القيامةِ .

صَعِقَ : أُغمِيَ عَليْهِ ، ثُمَّ ماتَ .

ثم نُفخَ فيهِ أُخْرى	: هي النَّفخةُ الثانيةُ التي يُبعثُ الناسُ بعدها .
أَشرقَتِ الأرضُ بنورِ ربِّها	: أضاءتِ الأرضُ بنورِ الله ، حين يتجلّى اللهُ للقَضاء بيْنَ عباده .
وُضِعَ الكتابُ	: توضعُ صحائفُ أعمالِ الناسِ وسجلاتُهُمْ لحسابِهِمْ .
قُضِيَ بينَهُمْ بالحَقِّ	: حكمَ بينَهُمْ بالعدْلِ .
وُفِّيَتْ كلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ	: أُعطيتْ كلُّ نفْسٍ جزاءَها كاملا .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِن الحديثِ عنْ دعْوةِ الناسِ إلى التَّوْبةِ والاستغفارِ ، واتِّباعِ القرآنِ ، إلى الحديثِ عَنْ خُضوعِ السمواتِ والأرضِ للهِ ، وملْكِه للدُّنيا والآخرةِ ، وذكْرِ بعضِ الأحداثِ التي تحْصلُ عنْدَ قيامِ السَّاعةِ .

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٣) ﴾ .

يُخبرُنا اللهُ مُعرِّفاً بنفسِهِ أنَّهُ خالقُ كلِّ شيءٍ مِن الموْجوداتِ ، لَمْ يشارِكْهُ في الخلْقِ أَحدٌ ، أَوْجدَ الأشياءَ كُلَّها وأبدَعها ، صغيرَها وكبيرَها ، فهْوَ ربُّها ومالِكُها والمُتصرِّفُ فيها ، والوكيلُ عليْها ، يحفَظُها ويُدبِّرُها ويتولّى أمورَها . وتلْكَ المخْلوقاتُ كلُّها مُحتاجةٌ إلى اللهِ .

ولمّا كانَ اللهُ هو الخالقُ لكلِّ شيءٍ في السمواتِ والأرضِ والوكيلُ عليه ، فإنَّهُ هو المالكُ للسمواتِ والأرضِ وما فيهما ، بيده مقاليدُها وخزائنُها ، وأرزاقُها وخيراتُها ، وهو المدبِّرُ لأمرِها ، الحافِظُ لها ، وصاحبُ الأمرِ والنَّهْيِ والحُكمِ والسلطانِ والقضاءِ فيها ، وهي مُنقادةٌ مُسْتَسْلِمَةٌ لهُ .

ومعَ ذلكَ فإنَّ الكُفّارَ لم يُوحِّدوا اللهَ ولم يستسلِموا له ، وإنّما أشرَكوا به غيرَهُ ، وكذَّبوا بآياتِ القرآنِ ، وأنكَروا نُبوَّةَ رُسلِهِ عليهِمُ السَّلامُ ، وعبدُوا غيرَ اللهِ ، وبذلك كانوا خاسرين ، خسِروا الدُّنيا والآخرةَ .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٦٥) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٦) ﴾ .

مع وُضوحِ الأدلّةِ على وحدانيةِ اللهِ إلاَّ أنَّ الكفارَ يشركونَ به ، ويعبدُونَ غيرَهُ ، وهذا قبيحٌ

منهم ، وقد ارتكبوا جريمةً أكثرَ قُبْحاً عندما رفضوا دعوة الرّسولِ ﷺ إلى عِبادَةِ اللهِ وحْدَهُ ، ودعوهُ إلى أنْ يُشرك باللهِ ويعبُدَ غيرَه مِثْلَهُم .

وقد أمرهُ اللهُ أنْ يرُدّ عليهم قائلاً : أتأمُروني أنْ أعبدَ غيْرَ اللهِ ، بعدَ أنْ قامَتِ الأدلّةُ على وَحدانيّته ووُجوبِ عبادَته وَحْدَهُ ، وأنتمْ جاهِلُونَ في الإشراكِ بهِ وعبادةِ غيرِه ؟

وخاطبهُ اللهُ بأنَّ الشِّرْكَ مُحبطٌ للعملِ الصَّالحِ ، حتّى لو صَدر عن نبيّ ، فقالَ له : لقدْ أُوحِيَ إليكَ ، كما أُوحيَ إلى الرُّسُلِ مِنْ قبْلِك ، أنّهُ لا إلهَ إلاّ اللهُ ، وأنّه لا يُعْبدُ إلا اللهُ ، وأنّه لا يجوزُ أنْ يُشركَ بهِ ، ولا أنْ يُعبدَ غيْرهُ ولو أشْركَ نبيٌّ باللهِ ، لَحبطَ عملُهُ وبطُلَ وفسد ، لأنّ الشِّرْكَ مُفْسدٌ للأعمالِ كلِّها ، والمُشْرِكُ خاسرٌ خسارةً مُطْلقة في الدُّنيا والآخِرَة .

وبعدما نهى اللهُ رَسُولَه ﷺ عَنِ الشِّرْكِ أمرَهُ بعبادَةِ اللهِ وحْدَهُ ، وقالَ له : اعبُدِ اللهَ وحدهُ لا شريكَ لهُ ، وأخْلِصْ لهُ العِبادةَ ، واشكُرهُ على ما أنعمَ به عليكَ مِنَ النِّعمِ التي لا تُحصى ، أنتَ ومَن اتّبعكَ مِن أُمّتِكَ .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

الكفارُ الذين دَعَوا الرّسولَ ﷺ إلى الشِّرْكِ باللهِ ، إنّما فَعلُوا ذلك لأنّهُمْ ما عظّمُوا اللهَ حقَّ تعظيمِه ، وما عرفوهُ حقّ معْرفَتِهِ ، ولذلك عبدُوا معَهُ غيرهُ وأشركُوا بِهِ ، مع أنَّ اللهَ هو العظيمُ الذي ليس كمثْلِه شيْءٌ ، والمالكُ لكلِّ شيءٍ ، والقادرُ على كلِّ شيءٍ ، وكلُّ شيءٍ خاضعٌ لَهُ ، وتحتَ قدرتِه وقبْضتِه .

ويومَ القيامةِ يجعلُ اللهُ الأرْضَ في قَبْضتِهِ ، ويَجْمعُ السّموات السّبْعَ ويَطويها بيمينِهِ ، كما يطوي السجلُّ الكُتُبَ . كما قالَ تعالى : ﴿يوم نطوي السّماء كَطيِّ السّجلِّ للكُتُب﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

ومع إثباتِ أنّ الأرضَ في قَبْضتِهِ يوم القيامةِ ، والسمواتُ مَجْمُوعَاتٌ مَطْوِيّاتٌ في يَمينهِ إلا أنّه يجبُ تنزيهُ الله عَنْ مُشابَهةِ المَخْلُوقينَ ، لأنّه ليسَ كمِثْلِهِ شيءٌ ، ويجَبُ تقديسُهُ وتعظيمُهُ ووَصْفُهُ بما يَليقُ به ، وإبعادُ النّقْصِ عَنْهُ . وهُوَ تعالى وتعاظَم وتَنَزَّهَ عمَّا يقولهُ عَنْهُ المُشْركونَ مِنْ بَاطِلٍ ، وما ينسبُونهُ لَهُ مِنَ الشَّريكِ أو الوَلدِ . روى البُخاريُّ ومُسْلمٌ عَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسولِ الله ﷺ قال : « يَقْبِضُ اللهُ تبارك وتعالى الأرضَ يومَ القيامةِ ، ويطوي السَّماء بيمينهِ ، ثُمَّ يقولُ : أنا المَلِكُ ، أينَ ملوكُ الأرضِ ؟ »[1]

(١) صحيح البخاري . كتاب التفسير . تفسير سورة الزمر . حديث رقم : ٤٨١٢ ، وصحيح مسلم . كتاب صفات المنافقين . باب صفة القيامة . حديث رقم ٢٧٨٧ .

ويجبُ أنْ نفهمَ معنى الآيةِ والحديثِ في جَعْلِ قبْضِهِ ـ سُبحانَه وتعالى ـ للأرضِ وَطيِّهِ للسمواتِ بيدينِه مِنْ دونِ تَجْسيمٍ ولا تكييفٍ ولا تحْريفٍ ، ونُثبتُ هذا الفِعْلَ للهِ مَعَ تنزيهِهِ عَنْ مُشابَهَةِ المخْلُوقينَ .

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

وبمناسَبَةِ الحَديثِ عَنْ أَحداثِ يومِ القيامةِ وما فيهِ منْ أهوالٍ ومَشاهِدَ ، يُخبرُ عَنِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ ، وَهُوَ قَرْنٌ كالبُوقِ ، يَنفُخُ فيه إسرافيلُ عليهِ السّلامُ بأمْرِ اللهِ .

وينفخُ في الصُّورِ نَفختَيْنِ :

النفخةَ الأولى : عِنْدَ قِيامِ الساعةِ ، وبهذهِ النَّفْخَةِ تُدمّرُ السّمواتُ والأَرْضُ وَيَمُوتُ الأحياءُ ، وتُسَمّى « نفخَةَ الصَّعْقِ » فعندما يسْمَعُ الأحياءُ الصَّيْحَةَ الناتِجةَ مِنْ تلكَ النفخَةِ يفزَعُونَ وَيَخافُونَ ، ثم يُصْعَقُونَ ويَمُوتُونَ ، سواءٌ أكانوا في الأَرْضِ أَمْ في السَّمواتِ ، ولا يُستَثْنى مِنْ ذلكَ إلاّ بعضُ الملائِكَةِ ، يُميتهُمُ اللهُ بعدَ ذلكَ ، فلا يَبقَىٰ مخلوقٌ حياً ، حتَّى لو كانَ مَلَكاً مُقرَّباً .

النَّفْخَةَ الثانيةَ : وتُسمّى « نَفْخَةَ البَعْثِ » . وتكونُ بَعْدَ نَفْخَةِ الصَّعْقِ بفَترةٍ ، وَحينَها يأمرُ اللهُ الملكَ أنْ يَنْفُخَ في الصُّورِ ، فَيَسْمَعُها كلُّ المَخْلُوقينَ ، ويَخرُجُونَ مِنْ قبُورِهِمْ ، ويَقِفُونَ قياماً ينظرُونَ بدهشةٍ إلى أهوالِ يومِ القيامةِ ، ثم يُساقُونَ إلى أرْضِ المَحْشَرِ للحِسَابِ والجزاءِ .

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

تُتابعُ الآياتُ حَديثَها عَنْ أحداثِ يومِ القيامةِ بعد نَفْخَةِ البَعْثِ ، وخُروجِ الناسِ من قُبورِهِم للحسابِ . فعندما يجتمعُ الناسُ في سَاحَةِ العَرْضِ ، يتَجلّى اللهُ على عبادِهِ ، تَجَلّياً يَليقُ بعَظَمَتهِ ، ليَفْصِلَ بينَهُمْ ، وتُشرِقُ الأرضُ بنورِ ربِّها سُبحانَه ، وَيَغْمُرُها الضياءُ الباهرُ ، وتَضَعُ الملائكةُ الكُتُبَ والسّجلاتِ التي فيها أعمالُ العبادِ ، ليُحاسَبُوا عليها خيرا كانَتْ أو شَرّاً . ويُؤتَى بالأنبياءِ والرُّسُلِ ليُسْأَلُوا عَنْ مَوْقفِ أقوامِهِمْ مِنْ دَعْوَتِهِمْ ، كما يُؤْتَىٰ بالشُّهَداءِ الذينَ يَشْهَدُونَ على أعمالِ العبادِ ، مِنَ الملائِكةِ والبَشَرِ وغيرِهِمْ .

ويُحاسِبُ اللهُ الناسَ جميعاً ، وَيَقضِي بَينهُمْ بعدلِهِ ، ولا يَظلِمُ أحَداً مِنْهُم ، فلا يُنْقِصُ ثوابَ مُحْسِنٍ ، ولا يَزيدُ في عقابِ مُسيءٍ . وبذلك تُوَفّى كلُّ نَفْسٍ ما عَمِلتْ ، وتُعطَى جزاءَ ما كَسَبَتْ ، مُحْسنَةً كانتْ أو مسيئةً . واللهُ عالِمٌ بأعمالِ الناسِ كلِّها ، لا يَخفى عليهِ شيءٌ مِنْها ، ولِذلكَ يأخُذُ كلُّ إنسانٍ جزاءَ عَمَلِه ، فلا يُظْلَمُ أَحَدٌ شيئاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ اللهُ هو الخالقُ لكلِّ شيءٍ ، والوَكيلُ على كلِّ شيءٍ ، والمالكُ للسّمواتِ والأرضِ وما فِيهِما .

٢ـ كلُّ كافرٍ خاسرٌ خَسارةً مُطْلَقةً ، لِدُنْياهُ وآخرَتِهِ ، لأنَّ الخَسارةَ مُلازِمَةٌ للكُفْرِ .

٣ـ العقيدةُ عندَ جَميعِ الرُّسُلِ واحدةٌ ، وكلُّهم دعا إلى عبادَةِ الله وحْدَه ، ونَهى عَنِ الشِّرْكِ بهِ . والشِّرْكُ مُحْبطٌ للعَمَلِ ومُفْسِدٌ لَهُ ، ويُوصلُ صاحبَهُ للخَسارةِ .

٤ـ الكُفّارُ لم يُعظِّمُوا اللهَ حقَّ تعظيمِهِ ، ولِذلكَ أَشْرَكُوا بِهِ .

٥ـ يجعلُ اللهُ الأَرْضَ يومَ القيامةِ في قَبْضَتِهِ ، ويَطوي السّمواتِ ويَجمَعُها بيَمينه .

٦ـ اللهُ عادلٌ لا يَظلِمُ أحَداً ، ويُوَفِّيهِ حَقَّهُ كامِلا .

٧ـ إثباتُ اليَديْنِ للهِ تباركَ وتعالىٰ مِنْ غيرِ تَشْبيهٍ ولا تَعْطِيلٍ علىٰ حدِّ قولِهِ تعالىٰ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وهوَ السَّميعُ البَصيْرُ﴾ .

٨ـ إثباتُ صفةِ النُّورِ ، وهوَ نُورٌ لا يُشبِهُ نورَ المخْلُوقاتِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ مَسألةً مِنْ مسائلِ العقيدةِ أَوْحَى اللهُ بها إلى جَميعِ الرُّسُلِ .

٢ـ بماذا ردّ الرّسُولُ ﷺ على دَعْوَةِ الكُفّارِ لعبادَةِ غيرِ اللهِ ؟ وبماذا وَصَفَهُم ؟

٣ـ ما معنى قولِهِ : ﴿والأرضُ جميعا قَبضَتُهُ يَوْمَ القِيامةِ والسَّمواتُ مَطْويّاتٌ بيَمِينِه﴾ ؟ وبماذا فسَّرَها رسولُ الله ﷺ ؟

٤ـ أـ ما هو الصُّورُ ؟ ب ـ ومَنْ يَنْفخُ فيهِ ؟ ج ـ وكم مرَّةً يُنْفَخُ فيهِ ؟

٥ـ أـ ماذا ينتُجُ مِنَ النَّفخةِ الأولى ؟ ب ـ وماذا ينتُجُ مِنَ النَّفخةِ الثانيةِ ؟

٦ـ متى تُشرقُ الأرضُ بنورِ ربِّها ؟ وَما مَعْنى ذلك ؟

٧ـ ما الكتابُ الذي يُؤتى بِهِ ؟ ولماذا يُؤتى بالنَّبيّينَ والشُّهداءِ ؟

نشاط :

١ـ سجّلْ آيةً مِنْ سُورةِ الأنعامِ تُقرِّرُ أنّه لو أشركَ الرُّسُلُ لَحَبِطَ عَمَلُهُمْ . وسَجِّلْ آيةً أُخْرَى مِنْ سُورةِ الأنبياء تُبَيِّنُ أنّ كلَّ نبيٍّ دعا إلى توحيدِ اللهِ وعبادَتِهِ وحْدَهُ .

٢ـ أطلَقَتْ آياتُ سُورةِ ﴿يس﴾ على النَّفْخَةِ اسمَ « الصَّيْحَةِ » . سجّلِ الآياتِ التي تتحدَّثُ عن الصَّيْحَتَيْنِ ، ثمَّ اذكُرْ ما يحدُثُ للناسِ بعدَ كلِّ صَيْحَةٍ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّلاثونَ

سُورَةُ الزُّمَرِ - القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

زُمَراً : جَماعاتٍ جَماعاتٍ .

حقَّتْ : وجَبَتْ وَثَبَتَتْ .

مثوَى : مأوى ومَسْكَنٌ .

طِبْتُم : طُهِّرْتُمْ مِنَ المَعاصي وعقابِها .

صَدَقَنا وَعْدَهُ : حَقَّقَ ما وعَدَنا بإدخالِنا الجنَّةَ .

أَوْرَثَنا الأَرْضَ : مَلَّكَنا أرضَ الجنَّةِ .

حافِّينَ مِنْ حَولِ العَرْشِ : مُحيطينَ مُحْدِقينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ .

قُضِيَ بينَهُمْ بالحَقِّ : فُصِلَ بينَ الخلائقِ بالعَدْلِ .

التفسيرُ :

تابعُ الآياتُ حَديثها عنْ أحداثِ يومِ القيامةِ ومشاهِدِه بعْد نفخة البعْثِ وإيقافِ الناس للحساب .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

بعدما يُحاسبُ اللهُ الخلائقَ ويُعطي كلَّ إنسانٍ نتائجَ حسابه ، يأمُرُ الملائكةَ أنْ تَسُوقَ الكافرينَ إلى نارِ جهنَّمَ سَوْقاً عنيفاً ، بتهديدٍ ووعيدٍ وإذلالٍ ، وتجعلَهُمْ زُمرا ومَجْمُوعاتٍ مُتفرِّقةً ومُتتابعةً ، كلُّ زُمْرَةٍ تسيرُ وَحْدَهَا في طريقِها إلى جَهَنَّمَ ، والزُّمْرةُ الثانيةُ بعدَها ، وهكذا . وعندما يَصِلُونَ جَهَنَّمَ تكونُ أبوابُها مُغْلَقَةً ، لا يدْرُون هُمْ ما وَراءَها ، وفَجاةً تُفتَّحُ أبوابُها السَّبْعَةُ ، فيرَوْنَ أهوالَها ونارَها وعَذابَها .

وتسألُهُمْ خَزَنَةُ جهَنَّمَ من الملائكةِ مِنْ بابِ تَوْبيخِهِمْ وذمِّهِمْ : ألم يأتِكُم رُسلٌ مِنْ جِنْسِكُم ، دعَوْكُمْ إلى الإيمانِ ، وتَلَوْا عليكُمْ آياتِ اللهِ التي أنزلَها عليهِمْ في كُتُبِهِ ، وحذّروكُمْ عذابَ يومِ القيامةِ ، وأنذرُوكُمُ اللّقاءَ والعَرْضَ والحِسابَ في هذا اليوْمِ ؟

أَجابَ الكُفَّارُ عَنِ السؤالِ بُذلٍّ وانكسارٍ واعترافٍ قائلينَ : بلى ، لقد جاءَنا الرُّسُلُ وذكَّرُونا وَنَذَرُونا وأقاموا علينا الحُجَجَ ، ولكنّنا خالفْناهُمْ وكذَّبْناهُمْ ، وكفَرْنا بِهِمْ ، وبذلك جَنَيْنا على أنفُسِنا ، ووجبَ العذابُ عَلَيْنا ، ولَزِمَ وعيدُ اللهِ بعقابِ الكافرينَ وعَذَابِهِمْ ، وذلكَ في مثلِ قولِهِ تعالى : ﴿وتَمَّتْ كلِمَةُ ربِّكَ لأملأنَّ جهَنَّمَ من الجنَّةِ والنّاسِ أجْمَعيْنَ﴾ [هود : ١١٩] .

وبعدَ إقرارِ الكُفَّارِ واعترافِهِم تقولُ لَهُمُ المَلائكةُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ : ادْخُلوا جهَنَّمَ مِنْ أبوابِها التي فُتِحَتْ أمامَكُمْ ، وسَوفَ تُعذَّبُونَ فيها وتُخلَّدُونَ ، فلاَ خُرُوجَ لكُمْ مِنْهَا ، ولا مَوْتَ لكُمْ فيها ، وَهِيَ مَثْوَى ومَسْكَنٌ دائِمٌ لَكُمْ ، وبِئْسَتْ جَهَنَّمُ مَسْكناً دائماً لَكُمْ ، وَهَذا جَزَاءُ تَكَبُّرِكُمْ في الدُّنيا ، وَرَفْضِكُمْ الخُضُوعَ لِلْحَقِّ ، وَهُوَ الَّذي صَيَّرَكُمْ إلى الخُلُودِ مُعذَّبينَ في جَهَنَّمَ .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

بَعْدَ الإخبارِ عَنْ سَوْقِ زُمَرِ الكُفارِ إلى جَهنَّمَ بإذلالٍ ، يأتي الإخبارُ عَنْ حَشْرِ المُتَّقينَ إلى الجَنَّةِ ، فإنَّ الملائكةَ تحشُرُهُمْ وتسوقُهُمْ إلى الجَنَّةِ زُمَرًا وجَماعاتٍ مُتَتابعةٍ ، مُعزَّزينَ مُكرَّمينَ ، وَفْداً بعدَ

وفْدٍ ، وَجَمَاعةً بَعْدَ جَمَاعةٍ : الأنبياءَ معَ الأنبياءِ ، والعُلماءَ معَ العُلَماء ، والشُّهَداءَ معَ الشُّهداءِ ، وَهَكَذا .

وَعِنْدَمَا تَقْتَرِبُ زُمَرُ المُتَّقينَ مِنَ الجَنّةِ يجدُونَ أبوابَها الثمانيةَ قد فُتِحَتْ لاسْتِقْبالِهِمْ ، تَرْغيباً وتَشْويقاً لَهُم ، لِيَزْدادُوا شَوْقاً إليها ، وعندما يَصِلُون أبوابَها ، تقولُ لهم خَزَنَتُها مِنَ المَلائِكَة : سلامٌ عليكُمْ ، وَقَدْ وَصَلتُم الجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ ، وسلِمْتُمْ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ وشِدَّةٍ ، وقد طِبْتُمْ في الدُّنيا بابتعادِكُمْ عَنِ المَعاصِي ، وطابَتْ طاعاتُكُمْ وعبادَتُكُمْ ، وطابَ جزاؤُكم فادْخلُوا الجَنّةَ سُعداءَ مُنعَّمِينَ ، خالدينَ فيها برَحْمَةِ اللهِ وفَضْلِه .

﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

عندما يدَخُلُ المُتَّقونَ الجَنّةَ ويتنعَّمُون فيها يَحْمَدُونَ اللهَ على فَضْلِه ، ويقولون : الحمدُ للهِ العَظيم ، الذي أنجزَ لنا وَعْدَهُ الذي وَعَدَنا إيّاهُ في الدّنيا على ألسِنَةِ رُسُلِهِ عليهِمُ السلامُ ، وأدخَلَنا الجَنَّةَ بِرَحْمتِهِ ، وجَعَلَنا مِنْ أَهْلِها المَالِكِينَ لها ، وأورَثَنا أرضَها وقُصُورَها ، نَنْزِلُ حيثُ شِئْنا ، نُقيمُ حيثُ أرَدْنا ، ونِعْمَ الأجرُ أجرُنا على عَمَلِنا الصَّالحِ في الدُّنيا .

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

بعدَ الحَديثِ عَنْ إدخالِ الكُفَّارِ في النار ، وإدخَالِ المُؤمنينَ الجَنَّةَ ، يأتي الحَديثُ عنِ الملائكَةِ المُحِيطينَ بالعَرْشِ ، يقولُ اللهُ : وترى أيُّها المؤمنُ السَّعيدُ الملائكةَ مُحيطِينَ بعَرْشِ الرّحمنِ ، يُسَبِّحُونَ الله ويُقَدِّسُونَهُ ، ويَحمَدُونَهُ ويَذْكُرونَهُ .

وهكذا تنتهي أَحداثُ يوم القيامةِ ، ويَقضِي اللهُ بينَ عبادِهِ بالحَقِّ ، فيُعاقِبُ الكفَّارَ والعُصَاةَ بِعَدْلِهِ ، ويُثيبُ المُتَّقينَ بِرَحْمَتِهِ .

ويَذكرُ الجميعُ ربَّهم قائلينَ : الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ ، ويحمَدُ المُتَّقونَ رَبَّهُمْ على إدخالِهِمْ الجَنَّةَ ، كما يَحْمَدُونَهُ على القَضَاءِ والحُكْمِ بينَ الناسِ بالعَدْلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يُساقُ الكفارُ إلى جهنّمَ جماعاتٍ بذلَّةٍ وهَوانٍ . . على حين يُحشَرُ المُتَّقونَ إلى الجنّةِ مُعزَّزين مُكرَّمين .

٢ـ يُفاجأُ الكُفَّارُ بفتحِ أبوابِ جهَنَّمَ ويُشاهِدُونَ أهوالَها ويرْتعِبُون ، على حين يَرى المُتَّقونَ مِنْ بعيدٍ أبوابَ الجنَّةِ مفتوحة ، فيَزدادُونَ شَوْقاً إليها .

٣ـ يَحمَدُ المُؤمنونَ في الجنّةِ ربَّهُمْ على توريثهِمْ أرْضَ الجنَّةِ ، وعلى الفَصْلِ بينَ العِبادِ بالعَدْلِ .

٤ـ يُحِيطُ المَلائكَةُ بعَرْشِ الرَّحمـٰنِ المَجيدِ ، حامِدِينَ ذاكِرينَ شاكرينَ لله .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلة الآتية :

١ـ استخرجْ أربعةَ فُروقٍ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ بينَ سَوْقِ الكُفّارِ إلىٰ النارِ وحَشْرِ المُتَّقينَ إلى الجنَّةِ .

٢ـ اذكُرْ سؤالَ الملائكةِ للكُفّارِ . وما هدفُهُمْ مِنَ السُّؤالِ ؟ وَمَا جَوابُ الكُفَّارِ عَنْهُ ؟

٣ـ ماذا تقولُ المَلائكةُ وَهُمْ على أبوابِ الجَنةِ ؟

٤ـ على ماذا يَحْمَدُ المُتَّقونَ ربَّهُم ؟

٥ـ حدِّدْ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ مَوْقعَ الملائكةِ ، وماذا يقولُونَ في ذلك المَوقعِ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ آياتٍ من سُورةِ « المُلْك » تُخبرُ عَنْ سؤالِ خزَنَةِ جهَنَّمَ للكافِرين عَنْ مَجيءِ النذيرِ إليهِمْ ، واعترافِهِمْ بالكُفْرِ والتكذيبِ . واذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبين الآيَة (٧١) .

٢ـ سجِّلْ آيَةً من سُورةِ مَرْيمَ تُفرِّقُ بينَ حَشْرِ المُتَّقين إلى الجنَّةِ ، وسَوْقِ المُجرمينَ إلى النارِ ، و ذكُرِ الفَرْقَ بينَ الحالَتَيْنِ .

٣ـ اكتُبْ حديثاً شَريفاً يُبيِّنُ أنَّ دُخولَ الجنَّةِ يكونُ برَحْمَةِ الله .

* * *

الدَّرْسُ الحادي وَالثَّلاثونَ

سُورَةُ غَافِرٍ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ غافرٍ مكيَّةٌ . سُمِّيَتْ بذلك لوُرودِ كَلمةِ « غافر » في الآيةِ الثالثةِ مِنْها ، فاللهُ هُوَ غافِرُ الذَّنْبِ . وتُسمّى سورةَ « المُؤْمِن » أيضاً ، لذكْرِ قَصَّةِ مُؤْمِنِ آلِ فِرْعونَ فيها . وهِيَ أُولى سُوَرِ « الحواميمِ » السبعةِ ، المُفتَتَحَةِ بقولِهِ تعالى : « حم » .

وموضوعُ السُّورَةِ هُوَ العَقيدَةُ كباقي السُّورِ المكيّةِ . فقدْ تحدَّثَتْ عَنِ الإيمانِ باللهِ ، وأَدلَّةِ الوَحْدَانيّةِ ، وأهوالِ يومِ القيامةِ ، ونعيمِ المُؤْمنينَ وعَذابِ الكَافِرينَ ، وذكرَتْ قصَّةَ مُؤمنِ آلِ فِرْعَوْنَ وانتصارِهِ ووقوفِهِ أمامَ فِرْعونَ ، ودعتْ إلى الاعتبارِ بمَصارعِ الكافرينَ والتفكُّرِ في آياتِ اللهِ .

معاني المُفْرداتِ :

حم : حرفانِ مِنْ حُرُوفِ الهِجاءِ ، افتتَحَ اللهُ بِهِمَا هَذِهِ السُّورَةَ .

غافِرِ الذنبِ : يغفرُ ذنوبَ المُؤمنينَ عِنْدَما يستغفِرُونَهُ .

قابلِ التوبِ : يَقْبَلُ توبةَ التائبينَ ، ويُوَفِّقُهُمْ إليها ويُثيبُهمْ عَلَيْها .

ذي الطَّوْلِ	: صَاحِبِ الفَضْلِ ، والغِنى ، والإنعامِ على عبادِهِ .
يُجادِلُ في آياتِ اللهِ	: يُخاصِمُ في آياتِ القرآنِ ، ويُنكِرُه .
لا يَغْرُرْكَ	: لا يَخْدَعْكَ .
تَقَلُّبُهُمْ في البلادِ	: تنقُّلُهُمْ في البُلْدانِ ، كاليَمَنِ ، والشّامِ للتِّجارةِ بأمانٍ .
همَّتْ	: عَزَمَتْ وجَزَمَتْ .
لِيُدْحِضُوا بِهِ الحقَّ	: لِيُبْطِلوا بهِ الحَقَّ ، ويُزيلُوهُ ، ويَقْضُوا عَلَيْهِ .
حقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ	: وَجَبَ قضاءُ اللهِ ، وثَبَتَ حُكْمُهُ .

التفسيرُ :

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ ﴾ .

« حا . . ميم » : حرفانِ هجائيانِ ، افتتحَ اللهُ بِهِمَا هذه السُّورةَ ، التي هِيَ أُولى سُوَرِ الحَواميمِ السَّبعةِ . وَسَبَقَ الكلامُ على دلالةِ الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ التي افتتحَ اللهُ بها بعضَ السُّورِ للدَّلالةِ على أنَّ القُرآنَ مِنْ عندِ اللهِ تعالى .

ولذلكَ جاءَ الكلامُ بعدَ « حم » مباشرةً عَنِ القرْآنِ ؛ إذْ أَخْبَرَ اللهُ أنَّ هذا القُرآنَ كتابُ اللهِ العَزيزِ العليمِ ، أنزلَهُ على رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وفي هذا إثباتُ الوحْيِ والنُّبوَّةِ .

واللهُ عَزيزٌ غَالِبٌ قويٌّ قاهرٌ ، وهوَ عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، لا يَخفى عَلَيْهِ في هذا الوُجودِ شَيءٌ .

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ ﴾

اللهُ العَزيزُ العَليمُ مُنزِّلُ القرآنِ على رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُو الغفورُ الرَّحِيمُ ، وَهُوَ يُرغِّبُ عِبادَهُ في التَّوْبةِ ، ويَدْعُوهُمْ إليها .

ـ ولِذلكَ وصفَ نفسَه بأنَّهُ « غافِرُ الذَّنْبِ » يغفِرُ ذُنُوبَ عِبادِهِ مهما كانَتْ ، عندما يستغفِرُونَهُ ويتوبُونَ إليه .

ـ وهو « قابلُ التَّوْبِ » يَقبلُ توبةَ عبادِهِ التائبينَ العائدينَ إليه . ومنْ رَحْمَتِهِ أنّهُ يدعُوهُمْ إلى التَّوْبةِ ، كما في قولِه تعالى : ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الذينَ أَسرفُوا على أَنْفُسِهِمْ لا تقنطوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً﴾ [الزمر : ٥٣] .

ـ وَهُوَ « شديدُ العِقَابِ » : يُعاقِبُ الكفّارَ والظّالمينَ المُصرِّينَ على مَعاصِيهِمْ ، الذينَ يرفضُونَ التوبةَ والإنابةَ إلى اللهِ .

ـ وهو « ذو الطَّوْلِ » كثيرُ التفضُّلِ والإنعامِ ، يُعطِي عبادَهُ رَحْمةً بِهِمْ ، وإحْساناً إليهِمْ ، ويَرزُقُهُمُ الرِّزقَ الكثيرَ .

ـ وهو « لا إلهَ إلا هُوَ » هُوَ الإلهُ الواحدُ ، المَعْبودُ بِحَقٍّ ، لا شَريكَ له ، ربُّ العالَمِينَ الذي يجبُ أنْ يَتوجّهَ الناسُ إليهِ بالعبادةِ والطّاعةِ .

ـ وهو « إليه المصيرُ » حيثُ يَبعَثُ عبادَهُ يومَ القيامةِ ، ويُرْجِعُهُمْ إليه ليُحاسِبَهُمْ . فهذهِ الصِّفاتُ التي في الآيةِ ، تجمعُ بينَ الوَعْدِ والوَعيدِ ، والتَّرغيبِ والتَّرهيبِ .

﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ .

أخبرَتِ الآياتُ الكريمةُ ، أنّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ ، أنزلَهُ على رسولهِ ﷺ ، ولكنَّ الكفارَ يَرفُضُونَ الإقرارَ بذلكَ ، ويُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ ويُكَذِّبونَ بها ، ويُريدُونَ إبطالَها .

ويُواسي اللهُ رَسُولَهُ ﷺ على ما يَجِدُهُ مِنْ هؤلاءِ الكُفَّارِ تُجاهَ القُرآنِ ، ويُخبرُهُ أنَّهُم لَنْ يَنجَحُوا في القضاءِ عليهِ ، وَهُمُ المَهْزومونَ . وعليه ألاّ يغترَّ بِهِمْ ، ولا يَخدَعَهُ ما هُمْ عليهِ مِنْ تَرَفِ الحياةِ الدنيا ورَفَاهِيَتِها ، وتَنَقُّلِهِم في البُلدانِ للتجارَةِ وجَمْعِ المَالِ ، فإنّ هذا إلى حينٍ ، يَعقبُهُ الخَسَارةُ والعِقَابُ ، والعذابُ في جَهَنَّمَ في الآخرةِ .

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ .

وهذه تَسليةٌ أُخرى ومُواساةٌ للرَّسُولِ ﷺ على ما يَجِدُهُ مِنْ تَكْذيبِ قَوْمِهِ ، وحَرْبِهِمْ للقُرآنِ ، وجدالِهِمْ لإبطالِ آياتِهِ ، فَهُمْ لَيْسوا أوّلَ مَنْ فعلُوا ذلكَ ، وإنَّما سَبَقَهُمْ كُفّارٌ سابقونَ ، فقد كذّبَ قَبْلَهُمْ قومُ نوحٍ رسولَهُمْ نُوحاً عليهِ السّلامُ ، كما كذَّبَ أحزابٌ وأقوامٌ من بعدِ قوم نوحٍ رُسُلَهُم ، كقوم عادٍ وثمودَ ومَدْيَنَ وآلِ فرعونَ ، وحاربَ أُولئكَ الأحزابُ الحَقَّ ، وخطّطَتْ كلُّ أمةٍ مِنْهُمْ لِقَتْلِ رَسُولِهِمْ ، وعزمُوا على ذلكَ ، كما فعلَ قومُ ثمودَ ضدَّ صالحٍ عليهِ السّلامُ ، وقومُ فِرْعونَ ضدَّ مُوسى عليهِ السّلامُ ، وحاربُوا دِينَهُ ، وجادلُوهُ بالباطلِ مِنَ القولِ ، ليردُّوا ويُبطلوا الحقَّ الواضحَ الذي معَهُ ، وبذلُوا جُهودَهُمْ في ذلكَ ، ولكنَّهُمْ كانُوا هُمُ الخاسِرينَ في النّهايةِ ، فَقَدْ أخذَهُمُ اللهُ أَخْذَ عزيزٍ مُقتَدِرٍ ، وعاقبَهُمُ العِقَابَ الشديدَ ، وقَضَى عَلَيْهِمْ .

فَعلى كُفَّارِ قُرَيشٍ ومَنْ بعدَهُمْ أنْ يَعتبرُوا ممّا جرَى للأُمَمِ السّابِقَةِ ، فإنّ العذابَ ينتظرُهُمْ ، إنِ اسْتَمَرُّوا على كُفرِهِمْ ، فكما وَجَبَ العذابُ على الكَافرينَ السّابقينَ ، كذلكَ يَجِبُ العذابُ على هُؤلاءِ الكفَّارِ المُتَأَخِّرينَ ، وَحقّتْ كَلِمَةُ اللهِ بالعذابِ على كلِّ كافرٍ ، في الدُّنيا والآخرةِ ، والسَّبَبُ

المُشْتَرِكُ بَيْنَهُمْ جَميعاً على اخْتِلافِ الزَّمانِ والمَكانِ هُوَ الكُفْرُ ، وهُمْ أَصْحابُ النارِ المُخلَّدونَ فيها في الآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الرّاجِحُ في الحُرُوفِ المُقطَّعَةِ أنّها لِتحدِّي الكُفّارِ ، وإثباتِ إعجازِ القُرآنِ ، وإقامةِ الدَّليلِ على أنّ القُرآنَ كلامُ اللهِ .

٢ـ اللهُ يدعُو عبادَهُ إلى التَّوْبَةِ ، مِنْ خلالِ تَرْغيبِهِمْ وتَرْهيبِهِمْ ، فَهُوَ غفورٌ رحيمٌ ، ولكنَّهُ شَديدُ العِقابِ .

٣ـ لا يُخْدَعُ المُؤْمِنُ بما عَلَيهِ الكُفّارُ مِنْ رَفاهِيَةٍ ونِعْمَةٍ وتنقُّلٍ في البُلْدانِ ، لأنَّهُمْ صَائِرُونَ إلى العذابِ .

٤ـ في الآياتِ إثباتُ الصِّفاتِ التاليةِ للهِ : العَزِيزِ ، العَلِيمِ ، غافِرٍ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا سُمِّيَتْ سورةُ « غافرٍ » بهذا الاسمِ ؟ وَمَا الِاسْمُ الثاني لها ؟ ولماذا سُمِّيَتْ بِهِ ؟

٢ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الثالثةِ ستَّ صفاتٍ للهِ تعالى ، واشرَحْ كلَّ وَاحِدةٍ منها .

٣ـ ما هدفُ جِدالِ الكُفّارِ في آياتِ اللهِ ؟ وبماذا كانوا يَصِفُونَ القُرآنَ ؟

٤ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الخامِسَةِ أربعَ جَرائمَ قبيحةٍ صدرَتْ عَنْ أحزابِ الكُفرِ .

٥ـ ما معنى قولِهِ : ﴿وكذلك حقَّتْ كلمةُ ربِّكَ على الذينَ كفرُوا أنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ﴾ .

٦ـ اذكُرْ أربعةَ نماذجَ للأُمَمِ السَّابِقَةِ الكَافِرَةِ ، وماذا كانَ عِقَابُ كلِّ أمةٍ مِنْهُمْ ؟

تَعَلَّمْ :

روى ابنُ أبي حاتمٍ والحافظُ أبو نُعَيْمٍ عَنْ يزيدَ بنِ الأصمِّ قالَ : كانَ رَجُلٌ مِنْ أهلِ الشامِ ، ذا بأسٍ في القتالِ ، وكانَ يأتي إلى عُمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ في المَدِينةِ . . ففقدَهُ عُمَرُ ، فسألَ عَنْهُ قائلاً : ما فَعَلَ فلانُ بنُ فلانٍ ؟

قالُوا : إنّه مُقبلٌ على شُرْبِ الخَمْرِ يا أميرَ المُؤْمنينَ!

فدعا عُمَرُ كاتِبَهُ ، فقالَ له اكتُبْ :

مِنْ عُمَرَ بنِ الخطاب إلى فلانِ بنِ فلان : سلامٌ عليكَ . فإنّي أحمَدُ إليكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هُوَ : « غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَديدِ العِقابِ ذي الطَّوْلِ ، لا إلهَ إلا هُو ، إليهِ المَصيرُ » .

وبعثَ الرسالةَ إليهِ ، ثم قال لإخوانِه : ادْعُوا اللهَ لأخيكُمْ أنْ يُقبِلَ بقلبِهِ ، وأنْ يَتُوبَ اللهُ عليه .

فلما بَلَغَ الرَّجُلَ كتابُ عُمَرَ ، جعلَ يقرؤُهُ ، ويُرَدِّدُهُ ، ويقولُ : « غافِرِ الذَّنْبِ ، وَقابِلِ التوبِ ، شَديدِ العِقابِ » قد حذَّرني اللهُ عُقوبتَهُ ، ووعَدَني أنْ يَغفِرَ لي ، ثم بكَى ، وتابَ وأحْسَنَ التوبةَ إلى اللهِ .

ولما بلَغَ عُمَرَ توبتُهُ قالَ لِمَنْ حولَهُ : هكذا فاصْنَعُوا ، إذا رأيتُم أخاكُم زلَّ زلَّةً ، فسدِّدُوهُ ووثِّقُوهُ ، وادعُوا اللهَ له أنْ يتوبَ عليهِ ، ولا تكونُوا عوْناً للشيطانِ عليه[1] .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ أسماءَ السُّورِ السَّبْعِ ، التي افتُتِحَتْ بالحرفيْنِ « حم » .

٢ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سُورةِ الحِجْرِ ، تجمعُ بينَ التَّرْغيبِ والتَّرْهيبِ ، وتَصِفُ اللهَ بأنّهُ غفورٌ رحيمٌ ، وأنّ عذابَه أليمٌ .

٣ـ سجِّلْ آيتَيْنِ مِنْ أواخرِ سُورةِ آلِ عمرانَ ، تَدعُوانِ إلى عَدَمِ الاغترارِ بتقلُّبِ الكُفارِ في البلادِ ، لأنّ مأواهُمْ جهَنَّمُ ، واذكُرِ الشبهَ بينهَا وبينَ الآيةِ (٤) .

* * *

(١) تفسير ابن كثير ٤ : ٦٩ . طبعة دار إحياء التراث العربي .

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثُونَ

سُورةُ غَافِرٍ - القِسْمُ الثَّاني

ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾

معاني المُفْرداتِ :

الَّذين يَحْمِلُونَ العَرْشَ	: الذينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ الرَّحمنِ ، هم : المَلائكَةُ .
وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رَحْمَةً وعِلْماً	: شَمَلَتْ رحمتُك كلَّ شيءٍ ، وأَحَطْتَ عِلْماً بكُلِّ شَيءٍ .
قِهِمْ عذابَ الجَحيمِ	: اصرِفْ عَنْهُمْ عذابَ النارِ بحِفْظِكَ لَهُمْ .
جَناتِ عَدْنٍ	: جَنّاتِ الإقامةِ الدَّائمةِ .
قِهِمُ السَّيئاتِ	: اصرِفْ عَنْهُمُ السَّيئاتِ والمَعاصِي .
مقْتُ اللهِ	: بُغْضُ اللهِ .
أكبرُ من مَقتِكمْ أنفُسَكُمْ	: أشدُّ مِنْ بُغضِكُمْ لأنفُسِكُمْ .
أمَتّنا اثنتيْنِ	: كُنَّا أمْوَاتاً قَبْلَ خَلْقِنَا ، ثُمَّ أَمَتَّنا عند انقضاءِ آجالِنا .
أحْيَيْتَنَا اثنتيَنِ	: عِشْنا حياتَنا الدُّنيا ، ثم أحْيَيْتَنا بعد البَعثِ .

التفسيرُ :

تحدثَتِ الآياتُ السابقةُ عَنْ دعوةِ الناسِ إلى التَوْبَةِ ، وتهديدِ الكُفَّارِ بالعِقابِ ، وتَتَحَدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ مَحَبَّةِ حَمَلَةِ العَرْشِ لِلمُؤمنينَ ، والدُّعاءِ لهُمْ أنْ يحفظَهُمُ اللهُ مِنَ السيئاتِ ، ويُدخِلَهُمُ الجَنَّاتِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ .

يُخْبِرُنا اللهُ عَنِ الملائكةِ الَّذينَ يحمِلُون عرشَهُ سُبحانَهُ ، والَّذينَ مِنْ حولِهِم .

وعرشُ اللهِ كبيرٌ عظيمٌ مجيدٌ ، لا يَعْلَمُ حَجْمَهُ ولا سَعَتَهُ ولا تفاصِيلَهُ إلا الَّذي خلقَهُ سُبحانَهُ ، وَقَدِ استوى اللهُ عليهِ اسْتِواءً يليقُ بعظمتِهِ سُبحانَهُ ، فكما أنَّنا لا نخوضُ في تفاصيلِ العَرْشِ ، لا نخوضُ كذلك في كيفيَّةِ استواءِ اللهِ سُبْحَانَهُ عليهِ .

والملائكةُ الَّذين يَحْمِلُون عَرْشَ الرَّحْمَنِ ثمانيةٌ ، لِقولِهِ تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٧] .

وَحَوْلَ الملائكةِ حَمَلَةِ العَرْشِ ملائكةٌ آخرونَ ، وكلُّهُمْ مُؤْمِنُونَ باللهِ ، عابدُونَ لَهُ ، يُسَبِّحونَهُ ويُقدِّسُونَهُ ، ويُنزِّهُونَهُ عَنْ كلِّ نقصٍ نَسَبَهُ المُشْرِكُونَ لَهُ ، ويَحْمَدُونَهُ على ما أَنْعَمَ بِهِ على عبادِهِ .

وَمِنْ أعمالِ هؤلاءِ المَلائكةِ أنَّهُمْ يَستغفِرُونَ لِلمُؤْمنينَ مِنَ البَشَرِ ، وهذا مِنْ مَحبَّتِهِمْ لَهُمْ ، ويقولُونَ في دُعائِهِمْ واستغفارِهِمْ : يا ربَّنا لقد وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ كلَّ شيءٍ ، كما وَسِعَ عِلْمُك كلَّ شيءٍ ، فرحمتُكَ تتّسعُ لِذنوبِ عِبادِكَ المُؤْمنينَ ، وعِلْمُكَ مُحيطٌ بجميعِ أعمالِهِمْ ، فاصفَحْ عَنِ المُسيئينَ مِنْهُمْ ، إذا تابُوا إليك ، وأَقلَعُوا عَنْ مَعاصيهم ، واتَّبعُوا ما أَمرْتَهُمْ بِهِ ، وسارُوا في سبيلِكَ المُستقيمِ ، واحفَظْهُمْ مِنْ عَذابِ النارِ ، وجنِّبْهُمُ الذُّنوبَ والمَعاصِي .

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

يُتابعُ المَلائِكةُ شَفاعَتَهُمْ لِلمُؤمنينَ مِنْ خِلالِ دُعائِهِمْ لَهُمْ ، فَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ أَنْ يَرْحَمَ المُؤمنينَ بإدخالِهِمْ جَنّاتِ عَدْنٍ ، التي يَنعَمُونَ فيها بالإقامةِ الدائمةِ السَّعيدةِ ، وأَنْ يُدْخِلَ مَعَهُمْ مَنْ صَلَحَ واستقامَ مِنْ آبائِهِم وأزواجِهِمْ وأبنائِهِمْ وذرِّياتِهِمْ ، لِتَقَرَّ بهم أَعْيُنُهُمْ ، وإِنْ كانوا أدنى مِنْهُمْ في

المنزلةِ ، ويُثنونَ على اللهِ بوَصْفِه بالعِزَّةِ التي لا تُغْلَبُ ، والحِكْمَةِ التي لا تُخْطِىء .

وَيَطْلُبُ المَلائِكةُ مِنَ اللهِ أنْ يَقِيَ المؤمنينَ السيئاتِ ، بأَنْ يَحفظَهُمْ منها ، ويُوَفِّقَهُمْ للابتعادِ عنها ، ويُقرِّرُونَ حقيقةَ أنّ مَنْ حَفِظَهُ اللهُ مِنَ السيئاتِ وَالذنوبِ ، فقد رَحِمَهُ ، بأنْ أنجاهُ مِنَ النارِ ، وأَدخلَهُ الجَنَّةَ ، وهذا هُوَ الفوزُ الكبيرُ العظيمُ ، حيثُ يُحقِّقُ المؤمنُ هدفَهُ بِنَيْلِ رِضوانِ اللهِ ، عَنْ طريقِ نجاتِهِ مِنَ النارِ وإدخالِهِ الجَنّةَ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ .

بَعْدَ بيانِ نَعيمِ المُؤمِنينَ في الجَنَّةِ يأْتِي بيانُ عذابِ الكُفَّارِ ، واعترافِهِمْ بجَرائِمِهِمْ ، فعندما يُدْخِلُ اللهُ الكُفَّارَ النارَ ، وينالُونَ مِنْ عذابِها ما ينالُونَ ، يَمقُتُونَ أنفُسَهُمْ ويَكْرَهُونَها ويُبغِضُونها ، لأنَّها هِيَ التي أَوصَلَتْهُمْ إلى النارِ .

فيُنادُونَ نداءَ مبالغَةٍ في خِزْيِهِمْ وذُلِّهِمْ ونَدَمِهِمْ ، ويقالُ لَهُمْ : أَنْتُمُ الآنَ تَمقتُونَ وتُبغِضُون أنفُسَكُمْ ، لكنَّ مَقْتَ اللهِ لكُمْ وبُغْضَهُ أكبرُ وأعظمُ مِنْ بُغضِكُمْ لأنفُسِكُمْ ، فَلَقدْ دَعاكُمْ أنبياؤهُ إلى الإيمانِ بِهِ وطاعتِهِ ، ولكنّكُمْ رَفضْتُمْ دَعْوَتَهُمْ ، وأَصَررْتُمْ على الكُفْرِ ، ومِنْ بُغضِ اللهِ لكُمْ أنّهُ عاقبَكُمْ في الدُّنيا ، وهَا هُو يُعذِّبُكُمُ الآنَ في النارِ .

عِنْدَ ذلكَ يعترفُ الكُفَّارُ بذنوبِهِمْ ، ويَطْلبُونَ العَوْدةَ إلى الدُّنيا للاستقامةِ ، ولكنَّهُمْ قَدَّموا بينَ كلامِهِمْ بمُقَدِّمَةٍ ، قالُوا فيها : يا ربّنا لقد أَمَتَّنا مَرّتَينِ وأَحيَيْتَنا مرّتَيْنِ .

والموتةُ الأُولى عِنْدَما كانُوا نُطَفاً في أَصْلابِ آبائِهِمْ . والموتةُ الثانيةُ : عندما انتهَتْ أعمارُهُمْ في الدُّنيا ، حيثُ يقبِضُ اللهُ أرواحَهُمْ ويَتوفّاهُمْ . والحياةُ الأولى : هِيَ حَيَاتُهُمْ في الدُّنيا لِحِينِ انتهاءِ أعمارِهِمْ . والحياةُ الثانيةُ : هي بَعْثُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ يومَ القِيَامةِ .

ثُمَّ يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ إخْراجَهُمْ بِناءً على إيمانِهِمْ باللهِ في ذلكَ الوَقْتِ ، وإيمانِهِمْ بالحَيَاةِ بعدَ الموتِ ، ولكنَّ الإيمانَ في ذلكَ اليومِ لا ينفعُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ إثباتُ العَرْشِ للهِ ، وَهُوَ أعظمُ مِنَ السَّمواتِ وَالأرضِ .

٢ـ الملائكةُ يكرهُونَ الكُفّار ويمقتُونهُمْ ، ويُحبّون المُؤمنينَ ويدعُونَ لهُمْ .

٣ـ يُكرِمُ اللهُ المُؤمِنين فيُدخلُ معهُم من صَلحَ مِنْ آبائِهِمْ وأزواجِهِمْ وذرياتِهِمْ ، وإنْ لم يَبْلُغوا درَجتَهُمْ .

٤ـ مَنْ يُرد اللهُ به خَيراً يحفَظْهُ مِنَ السيئات ، ويُوفقْهُ لِفعْلِ الطّاعات .

٥ـ الكفارُ في جهنّم يُبغِضُونَ أنفُسَهُمْ ؛ لأنّها أدخلَتْهُمْ عذاب النارِ بكُفرِها وتَكْذيبِها .

٦ـ الذِّلّةُ والحسْرةُ والندامةُ تَحِلُّ بالكُفّار في الآخرة بسبَبِ الكُفرِ والتكذيبِ .

٧ـ اللهُ يَبْغُضُ الكُفّارَ ويَمْقُتُهُمْ ، ولِذلك لا يَجُوزُ للمُؤمِنِ مَحبّتُهُمْ ، فيُحِبُّ ما أبْغَضَ اللهُ .

التَّقْوِيمُ :

أجب عن الأسئلة الآتية :

١ـ كمْ عددُ الملائكةِ الّذين يحمِلُونَ عَرشَ الرّحمـٰنِ ؟ وما دليلُكَ على ذلكَ ؟

٢ـ على ماذا يدلُّ دعاءُ الملائكة واستِغفارُهم للمُؤمنينَ ؟

٣ـ ما معنى قولِهِمْ : ﴿ربّنا وَسِعْتَ كلّ شيءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ .

٤ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ ثلاثةَ أشياءَ طَلبها الملائكةُ للمؤمنينَ .

٥ـ كيف يُحقِّقُ المُؤمنُ الفوزَ العظِيمَ ؟ ومتى يكونُ ذلك ؟

٦ـ ما معنى قولِهِ تعالى : ﴿لَمَقْتُ اللهِ أكبرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أنْفُسَكُمْ﴾ ؟

٧ـ حدِّدِ الموْتَتَيْنِ والحَياتَيْنِ اللّتَينِ يمرُّ بهما كلُّ إنسانٍ ، واستشهدْ على ذلكَ بالدّليلِ .

٨ـ ما الّذي يتمنّاهُ الكُفّارُ ويَطْلُبونَهُ وَهُمْ في النّارِ ؟ وهل يُحقَّقُ لَهُمْ ؟ وَلِماذا ؟

نشاط :

١ـ سجّلْ آيةً مِنْ سُورَةِ الطُّور تُبشِّرُ المُؤْمِنينَ بإلْحاقِ ذُرِّيّةِ المُؤْمِنينَ بآبائِهِمْ . واذكُرْ وجهَ الشَّبَهِ بَيْنها وبَيْنَ الآية (٨) .

٢ـ سجّلِ الآيةَ (٢٨) مِنْ سُورةِ البقرة ، واستخرجْ مِنْها الموتَتَيْنِ والحَياتَيْنِ ، واذكُرِ الشَّبهَ بينهَا وبينَ الآيةِ (١١) .

٣ـ سجّلْ آيةً مِنْ سُورة السّجدةِ تُخْبِرُ عَنْ طَلَبِ الكُفّارِ العَوْدَةَ إلى الدُّنيا لِيَعْمَلُوا صَالِحاً .

* * *

الدَّرسُ الثَّالثُ والثَّلاثونَ

سورةُ غافرٍ - القِسْمُ الثَّالِثُ

ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

يُنزِّلُ لكمُ مِنَ السّماءِ رِزْقاً : يُنزِّلُ لَكُم مِنَ السّماءِ الماءَ ، والمطرَ الذي هُوَ سببُ الرِّزقِ .

يُنيبُ : يَرجعُ عَنِ الشِّركِ .

رَفيعُ الدَّرَجاتِ : اللهُ عليٌّ عظيمُ الصِّفاتِ ، مُنزَّهٌ عَنْ مُشابَهَةِ المَخْلوقاتِ .

ذو العرشِ : خَالِقُ العَرشِ العَظيمِ ومَالِكُهُ .

يُلْقي الرُّوحَ : يُنْزِلُ الوَحْيَ .

يومَ التلاقِ : يومَ القيامةِ ، حيثُ يتلاقى فيهِ المَخْلوقونَ جَميعاً .

هم بارزونَ : ظاهِرُونَ لا يَسْتُرُهُمْ شيءٌ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ توبيخِ الكُفَّارِ في جهَنَّمَ ، لتتحدَّثَ عَمّا كانَ عليهِ الكفارُ في الدُّنيا ، وتُقدِّمُ لنا بَعْضَ مَظَاهِرِ قُدرةِ اللهِ وعَظَمتِهِ ، وتتحدَّثُ عَنْ بعضِ أحْداثِ يومِ القيامةِ وأهوالِهِ .

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

تخبرُ الآيةُ عَنْ سببِ رفْضِ طلبِ الكفّارِ العوْدةَ إلى الدّنيا ليؤمنوا ، وهو ما كانوا عليه في الدّنيا مِنْ كُفْرٍ وتكْذيبٍ ، ويقولُ اللهُ لَهُمْ : عذابُكُمْ في النارِ وعَدَمُ الاستجابةِ لطلبِكُمْ في العوْدةِ إلى الدنيا ، بسبَبِ أنّكُمْ عِنْدَما كنتُم تسْمَعُونَ الدّعوةَ إلى الإيمانِ باللهِ وحْدَهُ ، كنتُم تعرِضُون وتكْفُرُون ، وعندما كان يُشْرَكُ بهِ مِنَ الأَصْنامِ والأوثانِ كُنتُمْ تؤمنونَ وتَفرحُونَ .

ولذلكَ عاقبكُمُ اللهُ ، وحكَم عليكُمْ بالعذابِ في النارِ ، وهُوَ عادلٌ في حُكمهِ ، والحُكْمُ لهُ لا يُشارِكُهُ فيهِ أحدٌ ، وهُو العَلِيُّ عَنْ خَلْقِه ، المُتعالِي عَنِ المُماثلةِ في ذاتِهِ وصفاتِه ، وهُو العظيمُ الكبيرُ ، صاحبُ الكبرياءِ والعظمة .

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

اللهُ سُبْحانَهُ الذي يُريكُمْ آياتِهِ الدّالّةَ على قُدْرتِهِ وعظمتِه وكبريائِه ووحدانيّتِهِ في السّماءِ والأرضِ ، وفي الأنفُسِ والآفاقِ .

فمِنْ ذلك أنّه يُنزِلُ الماءَ مِنَ السّماءِ ليُغيثَ بهِ عِبادَهُ ، ويكونُ سببا لإخراجِ أرزاقِهم مِنَ الأرضِ ، مِنْ مُختَلفِ أنواعِ الزّروعِ والثّمارِ .

ولكنْ لا يتعظُ ويعتبرُ ، ويلتفتُ لِتلْكَ الآياتِ والمظاهرِ والدّلائلِ إلاّ العبدُ المؤمنُ ، المُنيبُ إلى ربّهِ ، المُذْعِنُ لهُ ، المُطيعُ لهُ .

وأَمرَ اللهُ الناسَ جميعا بدعائهِ وحْدَهُ ، مُخْلِصِين دينَهُمْ لَهُ ، وَهذا يَقْضي اجتنابَ ما يُعبدُ ويُدْعَى مِنْ دُونِهِ . ولو كَرِهَ الكفارُ عبادتَكُمْ للهِ وحْدَهُ ، فلا تلْتفتُوا إليهِمْ .

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

تُتابعُ الآياتُ حديثَ اللهِ عنْ نفسه ، فهُو سُبحانَهُ رفيعُ الدّرجاتِ ، كاملُ الصّفاتِ ، مُتفرّدٌ في ذاتِهِ وصفاتِهِ وأسْمائِهِ وأفْعالِه ، وهُو صاحبُ العَرْشِ العظيمِ ومالكُهُ ، وهُو مُستوٍ عليه بما يليقُ بعظمتِهِ ، وهُو وحْدهُ الإلهُ المعْبُودُ بحقٍّ ، وهو ربُّ العالمين .

وهُوَ الّذي يصْطفي منْ يشاءُ منْ عباده ، فيجعلُهُ نبيًا رسُولا ، ويُنزّلُ الوحْيَ عليه ، ويجْعَلُ هذا الوحْيَ رُوحاً ، لأنّه يُحيي به قلوبَ الناس ، عندما يلتزمُونَ بهِ ، ويُنفّذُون أحكامَهُ .

والرسولُ الذي يُلقي اللهُ عليه الرّوحَ يدعو الناسَ إلى الإيمانِ باللهِ ، ويُنذرُهم يومَ القيامة ويُخوّفُهم عذابَهُ . ويومُ القيامةِ هو يومُ التلاقي ، لأنّهُ يلتقي فيه الناسُ جميعاً مِنْ آدمَ عليهِ السلامُ حتى قيامِ الساعة ، كما يلتقي فيه الإنسُ والجنُّ والملائكةُ وغيرُهم مِنَ المخلوقينَ .

والمخلوقون جميعا في يوم التلاقي يكونون ظاهرين مكشوفين ، لأنّهم يُوقفُونَ على أرضِ الموقفِ ، وهي مكشوفةٌ مستويةٌ ، ليس فيها جبلٌ أو وادٍ أو بناءٌ ، ولا يخفى على اللهِ شيءٌ منهُم ، ولا مِنْ أعمالِهم . كما قال تعالى : ﴿يومئذٍ تُعرَضُونَ لا تخفى منكُم خافيةٌ﴾ [الحاقة : ١٨] .

والمُلْكُ يوم القيامة لله وحده ، لا يُنازِعُهُ فيه أحدٌ ، ولذلك يُوجّهُ سؤالاً لأهلِ المَحْشَرِ مِنَ الخلائق جميعا : لِمَنِ المُلْكُ اليومَ ؟

فيجيبون جميعا مؤمنُهم وكافرُهم : المُلْكُ اليوم لله الواحد القهّار الذي قَهَرَ كلَّ عبادِهِ ؛ قهرَهُم بجريان قدره فيهم ، كما قهرَهم بالموت والبعثِ والنُّشور ، وأخضعَهُم لأمرِهِ ، وها هم واقفونَ الآنَ للحساب .

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾

بعد تلاقي المخلوقين ووقوفهم في أرضِ المحشرِ يكونُ الحسابُ مِنَ اللهِ العادلِ ، فلا يُنقِصُ مُحسنا شيئا مِنْ حسناته ، ولا يزيدُ على مُسيءٍ شيئا من سيئاته ، ويُجازي كلَّ نفْسٍ بما كسبَتْ ، ويحاسبُهم على ما فعلتْ ، مِنْ خيرٍ أو شرٍّ . ولا يظلِمُ اللهُ أحدا ، وهو يحاسبُ المُكلَّفينَ جميعاً حسابا سريعاً ، كما يُحاسبُ نفْسا واحدة ، كما قال تعالى : ﴿ما خلْقُكُم ولا بعْثُكُم إلا كنفْسٍ واحدة﴾ [لقمان : ٢٨] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكفّارُ جنوا على أنفسهم بكفرهم ، فقد كانوا يكْرهون سماعَ اسم الله ، ويفرَحُونَ عِنْدَ الشِّرْكِ به . وبذلك استحقوا عذاب النار .

٢ـ اللهُ يرحمُ عبادهُ عندما يُريهمُ الآياتِ والدلائلَ الدالّةَ على عَظَمتهِ ووحْدانيّتِهِ ، لكنْ لا يَلتفِتُ لها إلّا العبادُ المُنيبون .

٣ـ اللهُ رفيعُ الدرجات عالي الصّفات عظيمُ الأسماء ، يَجبُ أنْ يوصَفَ بكلِّ جلالٍ وجَمالٍ وعظمة .

٤ ـ ساحةُ العَرْضِ مكشوفةٌ مُسْتَوِيَةٌ ، والخلائِقُ جميعاً ظَاهِرُونَ لا يَستُرُهُمْ شيءٌ .

٥ ـ يُقِرُّ الخلائقُ جَميعاً يَوْمَ القيامةِ بأنّ المُلْكَ للهِ الوَاحِدِ القهّارِ . وهذا الإقرارُ لا يَنْفَعُ الكُفَّارَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأُولى جريمةَ الكُفَّارِ الَّتي استحقُّوا بها العذابَ .

٢ـ لماذا سُمِّيَ المَطَرُ في آياتِ الدرسِ رِزْقاً ؟

٣ـ ماذا تفعلُ إذا كَرِهَ الكُفَّارُ عِبادَتَكَ للهِ ودُعاءَكَ لَهُ ، وَطَلَبُوا مِنْكَ التوقُّفَ عَنْ ذلِكَ ؟

٤ـ ما معنى قولِهِ تعالى : ﴿رفيعُ الدرجاتِ ذو العَرْشِ﴾ .

٥ـ لماذا سُمِّيَ يومُ القيامةِ بيوم التلاقي ؟ وكَيْفَ يكونُ وَضْعُ الناسِ على أَرضِ المَحْشَرِ ؟

٦ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ السؤالَ المُوَجَّهَ لأَهْلِ المَوقفِ وجوابَهُمْ عَنْهُ .

نشاط :

١ـ اذكُرْ دُعاءً مأثوراً كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يدعُو بِهِ بعدَ الصَّلَواتِ ، واكتُبْهُ في دفترِكَ .

٢ـ تُطْلَقُ الرُوحُ على جبريلَ عليهِ السَّلامُ ، استخرجْ آياتٍ من آخرِ سُورة الشعراءِ تُصرِّحُ بذلكَ .

كما تُطْلَقُ الرُّوحُ على القرآنِ الكريمِ ، استخرجْ آيَةً من آخرِ سُورةِ الشورى تُصَرِّحُ بذلك ، و اكتُبْها في دفترِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُونَ

سُورَةُ غَافِرٍ - القِسْمُ الرَّابِعُ

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

يومَ الآزفةِ	: يومَ القيامةِ ، سُمِّيَ بذلك لقُرْبِ وقوعِه .
القلوبُ لدى الحَناجِرِ	: ترتفعُ القلوبُ إلى الحُلُوقِ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ .
كاظِمينَ	: مُمْتَلِئينَ غمّاً وهمّاً مَعَ كَتْمِهِم لَهُ .
حَميم	: قَريبٍ يَهْتَمُّ بِهِمْ .
خائنةَ الأَعْيُنِ	: نظرةَ العَينِ الخَفِيَّةِ إلى الحَرامِ .
يَقضي بالحقِّ	: يَحكمُ بالعَدْلِ .
عَاقبةُ	: نِهايَةُ وَخاتِمَةُ .
مِنْ واقٍ	: مِنْ حافظٍ يَقيهِمُ العذابَ ، ويدفعُ عنهمُ السُّوءَ .
بالبيّناتِ	: بالمُعْجِزاتِ الواضِحاتِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ يومِ التلاقي إلى ذِكرِ بعْضِ أهوالِ يوم القيامة ، وأحوالِ الظَّالمين فيه .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

يومُ الآزفة هُوَ يومُ القيامةِ ، وسُمّي بذلك لِقُرْبِ وُقوعه ، والأزْفُ هو الاقترابُ ، ولأنّه سيأتي لا مَحالةَ فهو قريبٌ ، لأنَّ كلَّ آتٍ قريبٌ .

في هذهِ الآياتِ يأمُرُ اللهُ رسُولَهُ ﷺ أنْ يُنذرَ الناس ويُخوّفَهُم يوم القيامة ، وما فيه مِنْ أهْوالٍ ، وذَلِكَ كي يحَذَرُوا عَذَابَهُ بالتخلّي عَنِ الكُفْرِ والعِصْيانِ والتحلّي بالطّاعة والإيمانِ .

وأهوالُ يوم الآزفةِ مُرْعِبَةٌ مُخيفَةٌ ، فمنْ شدّةِ الخوْفِ تصلُ قُلوبُ الكُفّارِ إلى حُلوقِهِمْ وحَناجرِهِمْ ، ممّا يُشاهِدُونَ مِنْ ألوانِ العذاب ، التي تنتظرُهُمْ ، ويكونُ الكفارُ كاتِمين لغمّهِمْ وكَرْبِهِمْ ، مِمّا يزيدُهُمْ ألماً وهَمّاً ، لأنهم لا يتكلّمُون إلاّ بإذْنِ اللهِ .

ولا يَجدُ الكافرون الظّالمونَ قريباً ينفعُهُمْ ، أو يُدافعُ عنْهُم ، ولا شفيعاً مُطاعاً ، يُسْمعُ كلامُهُ ، وتُقْبَلُ شَفاعَتُهُ كي يَشْفَعَ إلاَّ بإذنِ الله .

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾

اللهُ عالِمٌ بكلِّ شَيْءٍ ، وقد أعلم اللهُ الناس بذلك ، فذكرَ لهُمْ أنّهُ يعلمُ النظرة الخائنة الخفيّةَ التي تنظرُها عيونُهُمْ إلى المُحرّماتِ ، ولا يُحبّون أنْ يراهُمْ أحدٌ في أثناءِ نظرِهِمْ ، كما أنّهُ يعلمُ ما تُخفيه صدورُهُمْ عَنِ الآخَرينَ مِنْ أسرارٍ وخواطِر ، فعِلْمُ اللهِ تامٌّ ، شامِلٌ لجميع الأشياء ، صَغيرِها وكَبيرِهَا ، دقيقِها ولطيفِها . . فعليْهِمْ أنْ يستحْيُوا مِنَ اللهِ حقّ الحياء .

قالَ ابنُ عباس رَضيَ اللهُ عَنْهُما : « يعلمُ خائنةَ الأعْيُن » وهيَ أنّ الرّجُلَ ينْظُرُ إلى المرْأةِ ، فإذا نظرَ إليه أصحابُه غَضَّ بَصَرَهُ ، فإذا رأى منْهُمْ غفْلَة نظر إليها ، فإذا نظر إليه أصحابُهُ غضَّ بصرَهُ ، وهكذا .

﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

لمّا كانَ اللهُ قَدْ أحاط بكلِّ شيءٍ علماً ، فهو إذنَ حاكمٌ يحْكُمُ بالحقّ ، ويقضي بالعدلِ ،

ويُجازي كلّ أحد بما عمِل مِنْ خيرٍ أو شرّ ، فيُضاعفُ الثوابَ على الحسناتِ ، ويجزي السيئةَ بمِثْلِها .

والّذين يعبدُهُمُ المشركون مِن دونِ اللهِ لا يحكُمون بشيْءٍ ، ولا يتمكّنُون مِنَ القضاءِ أو الضّرّ أو النّفع ، لأنّهمْ لا يملِكُون شيئا ، ولا يقدِرُون على شيءٍ ، فكلُّ الأشياءِ يملكُها اللهُ وحْدَهُ ، وهو السّميعُ لأقوالِ خلْقهِ ، البصيرُ بأفعالهِمْ .

وهذا تهكّمٌ بالمُشْركين ، وتهْديدٌ لهُمْ ، فكيف يترُكُون عبادةَ اللهِ المالكِ القادرِ القاضي ، ويعْبدون غيرهُ ممّا لا جدوى فيهم ، ولا مُلْكَ لهُمْ .

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

بعْدَ تخويفِ الكُفّارِ مِنْ عذابِ الآخرةِ خوّفهم اللهُ مِنْ عذابِ الدُّنيا ، بأنْ لفَتَ نظرَهُمْ إلى مصارعِ الكُفّارِ الّذين كانوا قبْلهُمْ ، ودعاهُمْ إلى مُلاحظةِ آثارِهِمْ والاعتبارِ ممّا جرى لهم ، وقال : ألَمْ يرَ هؤلاءِ الكُفّارُ المُكذّبون لرسولِ اللهِ ﷺ في الأرضِ مِنْ حولِهِمْ ، كيف كان مصيرُ الكفارِ الذين مِنْ قبلِهِمْ ، كقومِ عادٍ وثمودَ ومدْينَ وغيرِهِمْ ، وماذا فعلَ اللهُ بهمْ بعدما كذّبوا رُسُلَهُمْ ، معَ أنّهمْ كانوا أشدّ قوةً مِنْ كفارِ قريشٍ ، وأكثر تمكُّنًا وسُلطانًا في الأرضِ ، وتركُوا آثارًا باقيةً مِنْ بعْدِهِمْ ، بالرّغْمِ مِنْ مرورِ القرونِ على هلاكِهِم .

ولَم تنْفعهُمْ قوّتُهُمْ عندما أتاهُمْ عذابُ اللهِ ، حيثُ أهلكَهُمْ اللهُ ودمّرَهُمْ بسببِ ذنوبِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، ولَمْ يجدُوا منْ يدفعُ عنْهُمُ العذابَ ويحْميهِمْ مِنَ الدّمارِ .

واللهُ عدلٌ في تدميرِ الكُفّارِ السّابقين ، فَقَدْ فعلَ ذلك بسببِ كُفْرِهِمْ وتكْذيبِهِمْ ، بَعْدَ أنْ بعثَ لَهُمْ رُسُلًا وأراهُمُ الآياتِ البيّناتِ ، والدلائلَ الواضحاتِ ، ولكنّهم كفرُوا بهِمْ وكذّبُوهُم ، فاستحقّوا بذلك عذابَ اللهِ ، واللهُ قويٌّ مُنتقِمٌ جبّارٌ ، يُعاقِبُ الكُفّارَ عقابًا شديدًا .

فعلَى الكُفّارِ أنْ يعتبِرُوا ويتّعِظُوا بما جرى لِمنْ قبْلهُمْ ، والسّعيدُ منْ وُعِظَ بغيرِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يومُ القيامةِ قريبٌ ولا يعلمُ أحدٌ متى يأتي ، فعلْمُهُ خاصٌّ باللهِ ، لذلك سُمّي يومَ الآزِفَةِ .

٢ـ لا يجدُ الظالمونَ ناصِراً ، ولا شَفيعاً ، ولا حَميماً يومَ القيامةِ ، لأنَّهُ لا يَشْفَعُ أحدٌ إلا بإذنِ اللهِ .

٣ـ أحاطَ اللهُ بكلِّ شيءٍ عِلْماً ، ولا تَخْفَىٰ عليهِ خافِيةٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ ، يَعلَمُ كُلَّ ما عندَ عبادِه .

٤ـ الحُكْمُ والقضاءُ والأمرُ كلُّه للهِ وَحْدهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، وَغَيْرُهُ لا يَمْلِكُ مِنْ ذلك شيئاً .

٥ـ يجبُ السَّيْرُ في الأرضِ ومُلاحظةُ آثارِ السابقينَ الهالِكينَ ، والاعتبارُ ممّا جَرى لهم .

٦ـ سَعَةُ عِلْمِ الله . فهوَ يَعْلَمُ خائنَةَ الأعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ .

٧ـ على المُسْلِمينَ أنْ يتفكَّروا في آثارِ الغَابِرِينَ ، حتىٰ لا يَفْعَلُوا فِعْلَهُمْ فَيُعَذَّبوا كما عُذِّبُوا .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنى « يوم الآزِفةِ » ؟ ولماذا سُمِّيَ يومُ القيامةِ بذلكَ ؟

٢ـ لماذا تكونُ القلوبُ لدى الحناجرِ يَوْمَ القيامةِ ؟ ولماذا يكونونَ كاظِمينَ ؟

٣ـ ما المرادُ بخائنةِ الأَعْيُنِ ؟ وما آثارُ عِلْمِكَ بأَنَّ اللهَ يَعْلَمُ خائنةَ الأَعْيُنِ ؟

٤ـ لماذا لا يَقْضِي المَعْبودُونَ مِنْ دونِ اللهِ بشيءٍ ؟ وعلى ماذا يدلُّ ذلكَ ؟

٥ـ اذكر ثلاثَ نتائجَ إيجابيَّةٍ تَخرُجُ بها عِنْدَما تنظرُ في آثارِ الكفارِ السابقينَ .

٦ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ مَظْهَرَيْنِ مِنْ مَظاهِرِ قُوّةِ الكُفَّارِ السَّابقينَ كانوا أَقْوَى بِها مِنْ قُريشٍ .

٧ـ لماذا عَاقَبَ اللهُ الكُفَّارَ السَّابقينَ ؟ استخرجْ ذلكَ مِنَ الآيةِ الأخِيرَةِ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ سِتَّةَ أسماءٍ ليومِ القيامةِ وَرَدَتْ في القُرْآنِ ، وما مَعْنى كلِّ اسْمٍ مِنْها ؟

٢ـ اذكُرْ ثلاثةَ آثارٍ باقيةٍ حتَّى الآنَ في بلادِ الشَّامِ والجزيرةِ العربيةِ ، للكُفَّارِ السَّابقينَ المَذْكُورينَ في القُرآنِ ، وكَيْفَ كانَ دمارُ أصْحابِ تِلْكَ الآثارِ كما ذكَرَ القرآنُ ، واكتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

* * *

الدَّرسُ الخامسُ والثَّلاثونَ

سُورةُ غافرٍ ـ القِسْمُ الخامسُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

سُلْطانٍ مبينٍ	بُرْهانٍ واضِحٍ .
هامانَ	وزير فرعونَ الأَوَّلِ ، والمُنفِّذ لأمْرِهِ .
قارون	رجلٌ من قومِ موسىٰ ، ولكنْ أطغاهُ مالُهُ فانضَمَّ إلى فِرْعَونَ .
استَحْيُوا نساءَهُمْ	أبقُوْا نساءَ بني إسرائيلَ أحياءَ لإذلالِهِنَّ واسْتِخْدامِهِنَّ .
كَيْدُ الكافِرينَ	مَكْرُهُمْ وتآمُرُهُمْ على الحَقِّ .
عُذْتُ بربّي وربّكُمْ	لَجأْتُ ، واسْتَعَنْتُ ، واحْتَمَيْتُ باللهِ ربّي وربِّكُمْ .

التفسيرُ :

دعَتِ الآياتُ السَّابِقةُ إلى السَّيْرِ في الأرضِ ، والاتِّعاظِ بآثارِ الكُفَّارِ السَّابقينَ المُعَذَّبين . وتتحدَّثُ هذهِ الآياتُ وَمَا بعدَها عَنْ قِصّةِ فِرْعونَ مَعَ موسى عليه السلامُ ، ودَوْرِ الرَّجلِ المُؤْمنِ في هذه القصَّةِ .

هذا المُؤْمِنُ الذي يُدافِعُ عَنْ موسى عَلَيْهِ السلامُ ، وَيَدْعُو إلى الإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ ، والتخلِّي عَنْ فِرْعَوْنَ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

كان فِرْعونُ وجنودُه يَضْطهِدُونَ بني إسرائيلَ ، ويَقتلُونَ أبناءَهُمْ ، ويَسْتَحيُونَ نِساءَهُمْ ، وأنقذَ اللهُ مُوسى عليهِ السلامُ مِنْ خَطَرِ فِرْعَونَ ، فلمّا بلغَ أشُدَّهُ أرسَلَهُ اللهُ إلى فِرْعونَ ، واختارَ مَعَهُ أخاهُ هارونَ نبيّاً ، وأمَرَهُما بالذَّهابِ إلى فِرْعَوْنَ ، ودَعْوَتِهِ إلى الإيمانِ باللهِ ، وَرَفْعِ الظُّلمِ عَنْ بَني إسْرائيلَ .

وأخْبَرَ اللهُ في هذه الآياتِ أنّه أرْسَلَ موسى عليهِ السلامُ رَسُولاً إلى فِرعونَ مَلِكِ مِصْرَ ، الذي كان يَدَّعي الأُلوهِيّةَ والرُّبوبيّةَ ، وإلى هامانَ وزيرِهِ الأوّلِ والمُنفِّذِ لأَوامرِهِ ، وإلى قارونَ الذي كان مِنْ بني إسرائيلَ ، وكانَ مِنْ أغنى أهلِ الأرْضِ ، ولكنْ أطغاهُ مَالُهُ ، فانْضَمَّ إلى فِرْعونَ .

وآتى اللهُ موسى عليه السلامُ آياتٍ بيّناتٍ ومُعْجزاتٍ واضِحاتٍ تُثْبِتُ أنّه رسولٌ مِنْ عندِ اللهِ ، مِنْ أَهمِّها وأَشْهَرِها العَصَا واليدُ ، ولكنّ الطُّغاةَ الثلاثةَ وجنودَهُمْ كذّبوا موسى عليه السلامُ ، واتّهمُوهُ بأنّهُ ساحرٌ كذّابٌ ، وليس رَسولاً نبيّاً .

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

لم يَهتمَّ موسى عليه السلامُ بتكذيبِهم لَهُ ، ولم يَمْنَعْهُ اتّهامُهُمْ لَهُ بأنّهُ ساحرٌ كذّابٌ مِنْ تبليغِهِم وإقامةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، فلمّا جاءَهم بالحَقِّ مِنْ عندِ اللهِ ، وأراهُمُ البُرْهَانَ القاطِعَ الدالَّ على أنّ اللهَ أرسلَهُ إليهِمْ ، أصدرَ الطُّغاةُ الثلاثةُ ـ فِرْعونُ وهامانُ وقارونُ ـ أوامِرَهُمْ إلى جُنودِهِمْ بالعودةِ إلى قَتْلِ أبناءِ بني إسرائيلَ الذين آمنُوا بموسى عَلَيْهِ السلامُ ، وتَرْكِ نِسائِهِمْ وبناتِهِمْ أحياءً لإذلالِهِنَّ .

وقَد سَبَقَ أنْ أمرَ فِرْعونُ جُنودَهُ بقَتْلِ أبناءِ بني إسْرائيلَ واسْتِحْياءِ نِسَائِهِمْ في الوَقْتِ الَّذي وُلِدَ فيه موسى عليه السلامُ ، ويَبْدُو أنَّ فِرْعونَ أوْقَفَ ذلِكَ فيما بعدُ . وبعدَ ما جاءَهُمْ موسى عليه السلامُ رَسولاً عادُوا لِلأَمْرِ السَّابِقِ ، وأقبَلُوا على قَتْلِ الأبناءِ واسْتِحياءِ النِّساءِ .

وهدَفُ الطُّغاةِ مِنْ ذلكِ إذلالُ المُؤمِنينَ ، والقَضاءُ على دَعْوَةِ موسى عليهِ السلامُ ، ولكنّهُمْ هُمُ الخاسِرونَ في النهايةِ ، فكيْدُهُمْ وتآمُرُهُمْ ضِدَّ موسى عليهِ السلامُ وأتباعِهِ المُؤمنينَ ، لن يُحقِّقَ لهم أهدافَهُمْ ، وسَيكونُ في ضَياعٍ وفَشَلٍ وخُسرانٍ وهَلاكٍ .

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ .

بعدما أمر فرعونُ وأعوانُهُ بقتل بني اسرائيل واستحياء نسائهمْ أراد قتل موسى عليه السلام ، لأنَّه ظنَّ أنَّه بقتله يقضي على دينه ويقتلُ دعوتهُ .

وقال فرعونُ للملأ منْ حولِهِ وللآخرين : دعُوني أقتلْ موسى ، لأُخلصكمْ منهُ ومنْ دعوتهِ .

ثم تكلَّم ساخرا بوقاحة وسفاهة : ليدعُ ربَّه وليطلبْ منهُ أنْ يحميهُ منّي ، فأنا لا أُبالي به ، وإنَّه لن يحميهُ منّي !

وذكرَ سبب عزمِهِ على قتلِهِ أنَّهُ يخافُ أنْ يُغيّرَ الدّينَ الّذي عليه القومُ ، فقدْ كان فرعونُ مدّعيا الأُلوهيّةَ والرُّبوبيّة ، وقدْ دعا قومهُ إلى عبادته ، فجاء موسى عليه السلامُ يدعُو إلى عبادة الله وحدَهُ ، لأنّه لا إله إلا هُوَ . فإذا تبعهُ القومُ يكونون قد تخلّوا عنْ عبادة فرعونَ وتأليهه .

وعدَّ فرعونُ هذا إفسادا في الأرضِ ، وعدَّ موسى ، عليه السلامُ ، مُفسداً ينْشُرُ الفساد في الأرضِ ، مع أنّه مُصْلحٌ ينشُرُ في الأرضِ الإصلاح ! وهذا هو منطقُ الطُّغاةِ دائِما .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

قابل موسى عليه السلامُ تهديد فرعونَ لهُ بالقتلِ بالاعتصام بالله واللُّجوء إليه ، ولم يُخفْهُ ذلك التهديدُ ، ولم يُوقفْهُ عنْ دعوتهِ ، وخاطبَ الملأ من قوم فرعونَ بقولِهِ : لقدْ عُذْتُ واستجرْتُ واعتصمْتُ بالله ربّي وربّكُمْ ، ودعوتُهُ وطلبْتُ منهُ أنْ يحفظني ويحميني منْ شرّ وكيْد وأذى كلِّ إنسانٍ مُتكبّرٍ ، كافرٍ بالله ، مُنْكرٍ للبعثِ والحساب والجزاء .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرة منها :

١- يُؤتي اللهُ رُسُلهُ دلائل ، وآيات ، ومُعْجزات ، تدلُّ على أنّهُ أرسلهُمْ .

٢- الطغاةُ مُجرمُونَ سفّاكُونَ للدِّماءِ ، كما فعلَ فرعونُ بالذين اتّبعُوا موسى عليه السلامُ .

٣- الطغاةُ يظهرُون بمظهر المُصلحينَ الحريصين على الناسِ ، ويتّهمُون الدُّعاة بالإفساد والتّخريب

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلةِ الآتية :

١ـ اذكُرْ أهمَّ مُعجِزَتَيْنِ آتاهُما الله لمُوسى عليهِ السلامُ .

٢ـ عرِّفْ بكلٍّ مِنْ : فِرعونَ وهامانَ وقارونَ ، وبَيِّنِ الصِّلةَ بينَهُمْ .

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ أربعةَ اتّهاماتٍ وَجَّهَها فِرعونُ وآلُهُ لموسى عليهِ السلامُ .

٤ـ كم مرَّةً قتلَ فرعونُ وآلُهُ أبناءَ بني إسرائيلَ واسْتَحْيَوْا نساءَهُمْ ؟ وما هدَفُهُمْ مِنْ ذلك في كلِّ مرَّةٍ ؟

٥ـ لماذا طلبَ فرعونُ مِنْ مَلَئِهِ قَتْلَ موسى ؟ وما هدفُهُ مِنْ قولِهِ : « وَلْيَدْعُ ربَّهُ » ؟

٦ـ ماذا كان ردُّ موسى عليهِ السلامُ على تهديدِ فِرعونَ لَهُ بالقَتْلِ ؟ وماذا تأخذُ دَلالةً مِنْ ذلك ؟

٧ـ استخرجْ مِنَ الآيةِ الأخيرَةِ الوَصْفَيْنِ اللّذينِ وصفَ موسى عليهِ السلامُ فِرْعونَ بهما .

نشاط :

١ـ اذكُرْ أربعةَ نماذجَ لطغاةٍ حاربُوا رسولَ اللهِ ﷺ في مَكّةَ أو المَدِينةِ ، لكنّهُمْ خَسِرُوا وصارَ كَيْدُهُمْ في ضَلالٍ ، واكتُبِ الإجابةَ في دفترِكَ .

٢ـ سجِّلِ الآياتِ الأخيرةَ مِنْ سُورةِ « المُطَفِّفينَ » التي يتَّهِمُ فيها المُجرِمونَ المُؤْمنينَ بأنّهم ضالُّونَ . واستخرِجْ منها جُملةَ اتّهاماتِهِمْ للمُؤْمنينَ .

٣ـ اقرأْ قصَّةَ موسى في سُورَتَيْ طه والقَصَصِ ، ولَخِّصْ مِنَ السّورَتَيْنِ بِدايةَ أَمْرِ موسى مِنْ ميلادِهِ إلى تحدّي فِرْعونَ وإيمانِ السَّحَرةِ ، بما لا يزيدُ على صَفْحَةٍ واحِدَةٍ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ

سُورَةُ غَافِرٍ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

من آلِ فِرْعَوْنَ	: مِنْ أَهْلِهِ .
يَكْتُمُ إيمانَه	: يَسْتُرُهُ ويُخْفِيهِ عَنْ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ .
يُصِبْكُم بعضُ الذي يَعِدُكُمْ	: ينالكُمُ العذابُ الذي يُهدّدُكُمْ بِهِ .
مُسْرِفٌ	: مُتجاوزٌ الحدَّ .
ظَاهِرِينَ	: غالِبينَ .
بأسِ اللهِ	: عَذابِ اللهِ .

مثلَ دأبِ قومِ نوحٍ	مثل جزاء ما اعتاد عليه قومُ نوحٍ منْ تكذيبِ الرُّسلِ .
يومَ التنادِ	يومُ القيامةِ ، سُمّيَ بذلك ، لأنّه يُنادي فيهِ بعضُهم بعضا .
هَلَكَ	مات .
مُرتابٌ	شاكٌ .
بغيرِ سُلْطَانٍ	بغيرِ حُجّةٍ وبُرهانٍ .
كَبُرَ مَقْتاً عندَ اللهِ	عَظُمَ جُرْما وبُغْضا عند الله .

التفسيرُ :

تحدثت الآياتُ السابقةُ عنْ تكذيبِ فرعونَ وأعوانه لموسى عليه السلامُ ، وتتحدّثُ هذه الآياتُ عنْ ظُهورِ رَجُلٍ مُؤمنٍ منْ آلِ فرعون ، ودفاعه عنْ موسى عليه السلامُ ، ودعوته قومَهُ إلى الله .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

كان هذا الرجلُ منْ آلِ فرعونَ ، مُقرّبا عندَهُ ، وقد آمنَ بموسى عليهِ السلامُ ودخلَ في دينه ، وكان يُخفي إيمانَهُ عنْ فرعونَ وآله ، فكانُوا يعُدّونهُ منْهُمْ ، ولما سمع فرعونَ يُهدّدُ بقتْلِ موسى عليهِ السلامُ رأى أنّهُ آنَ الأوانُ ليُظهر إيمانهُ واتّباعَهُ لمُوسى عليه السلامُ ، وليُدافعَ عنهُ وينتصرَ لهُ ، ولذلك وقفَ أمامَ فرعونَ وآله ، وتكلّم بقوة وثبات ، وأنكرَ عليهم ما هُمْ مُقدمُون عليه ، وقال لهُمْ : كيفَ تقتلُون موسى ؟ وهو رجلٌ لا ذنب لهُ إلا أنّهُ يقولُ : ربّي هُوَ الله ربُّ العالَمين . وقد قدّم لكُمُ المُعجزاتِ الواضحاتِ الدالّةَ على أنّ الله أرسلهُ ؟

وتلطّفَ الرّجُلُ المُؤمنُ في دعوةِ قومه ، فقال لهُمْ : إنْ كان موسى كاذبا في دعواه ، عاد إثمُ كذبه عليه واللهُ يجازيه ، ولكن إنْ كان صادقا وكانَ نبيًا حقا فإنّ ما يعدُكُمْ به من العذاب في الدُّنيا والآخرةِ سوف يُصيبُكُمْ ويقعُ بكُمْ . وإنّ الله لا يهدي ولا يُوفّقُ كلّ إنسان مُسْرف تجاوز حدّ الاعتدال ، كذّابٍ في دعواه وكلامه ، ولو كان موسى كذلك لما هَداهُ اللهُ وأيّدهُ بالمُعجزات .

﴿ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

استخدم الرّجلُ المُؤمنُ مع قومه أسلوبَ التهديدِ بزوال النّعم عنْهمْ إنْ قتلُوا موسى عليه السلامُ ،

فقالَ لَهُمْ : ها أنتم تَرَوْنَ المُلْكَ لكُمْ ، وقد أنعمَ اللهُ عليكُمْ بالتَّمْكينِ في الأرضِ ، وأَنتمُ الظاهِرونَ الغالِبُونَ ، وعليكُمْ أنْ تشكُروا اللهَ على نِعَمِهِ ، وأنْ تَحْذَروا عذابَهُ وانتقامَهُ ، فإن كذّبتُم رسولَهُ أَوْقَعَ بكُمْ بأسَهُ وعذابَهُ ، ولا أَحَدَ ينصرُكُمْ مِنْ بأسِ اللهِ إنْ أوقعَهُ بكُمْ .

عِنْدَ ذَلِكَ تدخَّلَ فِرْعَونُ ، لأنّهُ خَشِيَ أنْ يتَّبِعَ قومُهُ الرَّجُلَ المُؤْمِنَ لقوَّةِ مَنْطِقِهِ ، فخاطَبَهُمْ بتكبُّرٍ واستعلاءٍ قائلاً : الرأيُ رَأْيِي ، والصَّوابُ عندِي ، وعليكُمْ أنْ تأخُذُوا بِهِ ، فأنا ما أُرِيكُمْ إلا الرأيَ الصَّائِبَ ، والهِدَايةُ عندِي ، فأنا لا أَدُلُّكُمْ إلا على طريقِ الخَيْرِ والصَّوابِ والرُّشْدِ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ .

استمرَّ الرَّجُلُ المُؤْمِنُ في دَعْوَةِ قومِهِ ، وردَّ على اسْتِعْلاءِ فِرْعونَ وادِّعائِهِ أنّهُ لا يُريهِمْ إلا الصَّوابَ ، وما يَهدِيهِمْ إلا للرَّشادِ ، فذكَرَ لهُمُ الرَّجُلُ المُؤْمِنُ مَصارِعَ الكافِرِينَ ومُنْقَلَبَهُمْ ، أولئكَ الَّذين اتَّبَعوا قادَتَهُمْ في الكُفْرِ ، وكذَّبَوا الحَقَّ ، وتحزَّبُوا ضدّ الرّسلِ ، وحاربُوهُمْ ، فانتقمَ اللهُ منهُمْ ودمَّرَهُمْ ، ومنهم قومُ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ، والكَافِرُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، دمّرَهُمُ اللهُ بِظُلْمِهِمْ بعدما أقامَ الحُجّةَ عليهِمْ ، وهو لم يَظْلِمْهُمْ لأنّهُ لا يَظْلِمُ أَحداً مِنْ عِبادِهِ .

﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

بعدَما خوَّفَهم العذابَ الدُّنيَويَّ مثلَ دمارِ السَّابِقينَ ، خَوَّفَهُمُ العَذَابَ الأُخْرَوِيَّ يومَ القيامةِ ، فقالَ لَهُم : إنّي أَخافُ عَلَيْكُمُ العذابَ يومَ القيامةِ ، الذي هو يومُ التنادِي ، حينَ يُنادي بعضُكُمْ بَعْضاً مُسْتَغِيثاً بِهِ مِنْ أهوالِ جَهَنَّمَ وعَذَابِها . ويُنادي أهلُ النارِ أهلَ الجَنّةِ مُستغيثينَ بِهِمْ ، ولكنْ لا أحدَ يُغيثُ أحداً . وأَنْتُمْ في ذَلِكَ اليومِ سَوْفَ تفِرُّونَ هاربينَ ، وتُحاوِلُونَ الخُروجَ مِنَ النارِ ، ولكَنْ لا سبيلَ لكُمْ إلى ذلكَ .

وإيّاكُمْ أنْ تختارُوا الضَّلالَ على الهُدى ، فإنْ فَعَلْتُمْ ذلك أَضَلَّكُمُ اللهُ ، وعندَ ذلك لَنْ تَهْتَدُوا ولَنْ تَرْشُدُوا أبداً ، لأنَّ مَنْ أَضَلّهُ اللهُ فلا هادِيَ لَهُ .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

ومِنْ أجْلِ تأثيرِ الرَّجُلِ المُؤمِنِ في قَومِهِ ذكّرَهُمْ بنبوّةِ يُوسُفَ عليهِ السلامُ ، ومَوْقِفِهِمْ مِنْهُ ، وكأَنَّهُ

يدعوهُمْ إلى ألّا يَشُكّوا في دَعْوَةِ موسى ، لأنّهُ رَسولٌ مِثْلُ يُوسُفَ عليهِمَا السلامُ ، قالَ لَهُمْ : لقد جاءَكُم يوسُفُ عليه السلامُ بالآياتِ الواضحَاتِ وبَقيتُمْ على شَكٍّ وارتيابٍ ممّا جاءَكُمْ بِهِ مِنَ الحَقِّ ، ولَمّا جاءَ أَجَلُهُ وماتَ فَرِحْتُمْ بموتِهِ ، وقلتُمْ : استَرَحْنا مِنْهُ ، ولَن يَبْعثَ اللهُ نبيّاً مِنْ بَعْدِهِ ، وكُنْتُمْ بذلكَ مُسْرِفينَ مُرْتابينَ ولذلكَ ضَلَلْتُمْ ، لأنَّ اللهَ يُضِلُّ كلَّ مَنِ اختارَ الضّلالَ مِنَ المُسْرِفينَ في المعاصي ، المُرتابينَ في الحَقائِقِ .

والمُسْرِفُونَ المُرْتَابُونَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ وَبَراهِينِهِ لِيُبْطِلُوها ويَقْضُوا عليها . وجدالُهُمْ هُوَ بالباطِلِ ، فلا يَعتمِدُونَ على بُرْهَانٍ وَدليلٍ منَ اللهِ ، وبذلك نالُوا غَضَبَ اللهِ وَعِقَابَهُ وانتقامَهُ ، وغضبَ المُؤمنينَ المُتّبعينَ للحَقِّ ، وبذلك طَبَعَ اللهُ على قُلوبِهِمْ .

وكما طَبَعَ اللهُ على قُلوبِ المُسرِفينَ المُرْتابين كذلكَ طَبَعَ على كلِّ قَلْبِ مُتكبّرٍ يَرْفُضُ اتّبَاعَ الحقِّ ، جبّارٍ على الضُعفاءِ بإذلالِهِمْ واسْتعْبادِهِمْ .

فلا نكونوا مِثْلَ أُولئكَ المُسْرِفينَ المُرْتَابينَ المُحارِبينَ لِلحَقِّ ، المُتكبّرِينَ الجبّارِين ، ولا تُكَذِّبُوا موسى عليه السّلامُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ قد يَكتُمُ المُؤمِنُ إيمانَهُ ويُخْفيهِ في بعْضِ الأحيانِ ، لكنّهُ يُظْهِرُهُ عندما تدعُو الحاجَةُ إلى ذلك .

٢ـ على الدّاعيةِ أنْ يَستَخْدِمَ أحْسَنَ الأساليبِ المؤثّرةِ في الدعوةِ وألْطَفَها ، كما فَعَلَ الرجلُ المُؤمنُ .

٣ـ الطاغيةُ الجبّارُ يَتعامَلُ مَعَ قومِهِ باسْتِعْلاءٍ وتَكبّرٍ ، كما فَعَلَ فِرْعونُ مَعَ قومِهِ .

٤ـ تَلتقي أَحْزابُ الكُفرِ على حَرْبِ الحَقِّ على اختلافِ الزّمانِ والمَكانِ ، ولكنّهُمْ خاسِرونَ هالِكُون .

التَّقويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا كانَ الرَّجُلُ المُؤمنُ يكتُمُ إيمانَهُ ؟ ومتى أظهرَه ؟ ولِماذا ؟

٢ـ اذكُرْ أربعةَ مُؤثِّراتٍ ذكرَها الرجلُ المُؤمنُ ليؤثِّرَ في قومِهِ .

٣ـ بماذا ردّ فِرْعَونُ على الرَّجُلِ المُؤمنِ مُخاطباً قومَهُ ؟ وماذا تأخذُ مِنْ ذلك الردِّ ؟

٤ـ اذكُرْ أسماءَ ثلاثةِ أقوامٍ مِنَ السّابقينَ ذكرَهُمْ الرجلُ مُحذِراً قومَهُ مِنْ مِثْلِ مَصيرِهِم .

٥ـ لماذا سُمِّيَ يومُ القيامةِ يومَ التنادِ ؟ اذكُرْ ثلاثةَ أمثلةٍ على ذَلِكَ .

٦ـ ماذا كان مَوْقِفُ الأقباطِ مِنْ يُوسُفَ عليه السلامُ ؟ ولماذا ذكَرَهُ الرجلُ المُؤْمِنُ ؟

٧ـ مَنِ المُسْرِفُ المُرْتَابُ المَذْكُورُ في الآياتِ ؟ وما عِقَابُهُ عندَ اللهِ ؟

٨ـ مَنِ المُتَكَبِّرُ الجبّارُ ؟ وما عِقَابُهُ عندَ اللهِ ؟

نشاط :

١ـ اذكُرْ حادثةً مِنَ السِّيرَةِ النبويّةِ في العَهدِ المَكيِّ ، وقفَ فيها أبو بكرٍ الصدّيقُ رَضِيَ اللهُ عنه يُدافِعُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ لمّا آذَتْهُ قريشٌ ، واكتُبْها في دَفْتَرِك .

٢ـ ذكَرَ القرآنُ في سُورة هودٍ أنَّ أمْرَ فِرْعونَ ليس برَشِيدٍ ، سجِّلِ الآيَةَ التي ذكَرَتْ ذلك . وذَكَرَ في سُورةِ طه أنّه أضَلَّ قَوْمَهُ وما هَداهُم . سَجِّلِ الآيَةَ التي ذكَرَتْ ذلك .

٣ـ ممّا يَدُلُّ على أنَّ يومَ القيامةِ هُوَ يومُ التنادي ، نداءُ أَصْحَابِ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النارِ ، ونداءُ أَصْحَابِ النّارِ أَصْحَابَ الجَنّةِ ، ونداءُ أَصْحَابِ الأعرافِ . سجِّلِ الآياتِ التي ذكَرَتْ ذلك النداءَ في سُورةِ الأعرافِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السَّابِعُ والثَّلاثون

سُورةُ غَافِرٍ - القِسْمُ السَّابِعُ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **صَرْحاً** : بناءً عالياً كالأبراجِ .
- **أبلُغُ** : أَصِلُ .
- **الأسبابَ** : الطُّرقَ المُوصِلَةَ إلى المَطْلُوبِ .
- **أطَّلعَ إلى إلهِ موسى** : أنظرَ إلى إلهِهِ الذي في السَّماءِ .
- **كَيْدُ فِرعونَ** : تآمُرُهُ واحتيالُهُ لحَرْبِ موسى ودَعْوَتِهِ .
- **في تَبابٍ** : في خسارةٍ وهلاكٍ .
- **أهدِكُم سبيلَ الرشادِ** : أدلكُمْ على طريقِ الخَيرِ وهي الجَنَّةُ .
- **متاعٌ** : يتمتَّعُ الإنسانُ بها قليلاً ، ثم سُرعانَ ما تزولُ .
- **دارُ القرارِ** : دارُ الاستقرارِ وَالخُلودِ .
- **بغيرِ حِسابٍ** : بلا تَقْنِينٍ ولا تَقتيرٍ .

التفسير :

تحدثت الآيات السابقة عن دفاع الرجل المؤمن عن موسى عليه السلام ، وتتحدث هذه الآيات عن دعوة الرجل المؤمن قومه بصراحة إلى اتباعه والدخول في دينه ، وذلك ردّا على استعلاء فرعون .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

سمع فرعون منطق الرجل المؤمن القويّ المؤثّر في دعوة قومه إلى الإيمان ، ولعلّه خشي أن تقنعهم ، فأراد أن يكسبهم إلى جانبه ، وادّعى الموضوعية والبحث عن الحقّ . ولذلك طلب من وزيره الأوّل هامان أنْ يبني له برْجا عليًا ليبحث عنْ إلهِ موسى عليهِ السّلامُ الذي في السّماءِ .

قال لهامان : ابْن لي قصْرا عاليا ، وبناء مرْتفعا ، لأصْعدَ عليهِ ، وأتوصّلَ به إلى الأسباب ، الطرق التي أصلُ بها إلى أبواب السماءِ ، لأبْحثَ هناك عن إلهِ موسى ، الذي يزعُمُ أنّه في السماء ، فإذا رأيْتُهُ هناك ونظرْتُ إليهِ آمنْتُ بهِ ، وإنْ لم أجدْهُ عرفْتُ أنّ موسى كاذبٌ ، معَ أنّي الآنَ أعتقدُ أنّ موسى كاذبٌ ، وأنّه ليْس هُناك إلهٌ أرسلَهُ ، لأنّه لا يُوجدُ إلهٌ غيْري !

وهذا الطلبُ والكلامُ استهزاءٌ من فرْعون بموسى ، وتكذيبٌ لهُ وإنكارٌ لدعوتهِ ، ولكنّه قصَدَ بهِ التّمويه والتلبيس على قومه ، ليضْمنَ بقاءهُمْ معهُ .

ومثْلَ ذلك التّزيين العجيب الّذي دفع فرْعون إلى أنْ يطْلب من هامان هذا الطلبَ السّخيفَ ، زيّنَ لفرعون عمله السّيّء من الكفر بالله ومحاربة موسى عليه السلامُ ، وبذلك صدّ عنْ طريقِ الهُدى وسبيل الرّشاد .

ولكنّهُ فاشلٌ في حرْب موسى عليه السلامُ ، وتآمره على الحقّ ، ونتيْجةُ ذلكَ هيَ خسارتُهُ وضياعُ كلّ جُهوده ، مثلُهُ في ذلك مَثلُ الطُغاة الذين سبقوه ، الذين خابُوا وخسرُوا وأهْلكَهُمُ اللهُ ، ونصرَ اللهُ الحقّ وأهلَهُ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾

علم الرجلُ المؤمنُ هدف فرعونَ منْ بناء الصرْح ، وأراد أنْ يُفوّت عليه فرْصتَهُ ، فدعا القومَ دعْوةً صريحةً إلى اتّباعه ، متحدّيًا بذلك فرعونَ ودعوتَهُ الاستعلائيةَ وكفرَهُ وظُلمَهُ وطُغيانَهُ .

فقد سَبَقَ أنْ قالَ فِرْعونُ لقومِهِ : ﴿ما أُريكُم إلاَّ ما أرَى وما أَهْدِيكُمْ إلاَّ سبيلَ الرَّشادِ﴾ وها هُوَ هذا الرَّجُلُ المُؤْمِنُ يُخالِفُ فرعونَ ويتحدَّاهُ صَراحةً ، ويقولُ لَهُمْ : يا قومِ اتبِعُوني أنا ، وادخلُوا في ديني الحَقِّ ، فإني أَهديكُمْ إلى طريقِ الهُدىٰ وسَبيلِ الفلاحِ .

وكأنَّه يقولُ لَهُمْ : لا تُصدِّقُوا فرعون ، ولا تأخُذُوا برأيه ، وهُوَ لن يقودكُمْ إلاَّ إلى الضَّلالِ والخَسارةِ! وهذا مَوْقِفٌ عظيمٌ للرَّجُلِ المُؤمنِ ، وقوفُهُ أمامَ أعتى ظالِمٍ وأكبَرِ طاغيةٍ ، ولا يفعلُ ذلكَ إلاَّ عُظَماءُ الرِّجالِ المُؤْمنينَ .

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ .

استمرَّ الرَّجُلُ في تعريفِ قومِه بدعوتِهِ لِيَتَّبِعُوهَا ، فَذَكَرَ لَهُمْ قيمةَ الدُّنْيا بالنِّسبةِ للآخِرَةِ ، لئلا يَغْتَرُّوا بِهَا ، وقالَ : هذه الحياةُ الدُّنْيا قصيرَةٌ فانيةٌ ، وهي إلى زَوالٍ وانتهاءٍ ، وأنتمْ تَستَمْتِعُونَ فيها مَتاعاً قَليلاً ، ثم تَموتُونَ وتُفارِقُونَهُ ، وتنتهي الدُّنيا كلُّها بقيامِ السَّاعةِ ، ويَبْعَثُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ ، ويُحاسِبُهُمْ على أعمالِهِمْ ، وَهُو عادِلٌ في حِسابِهِ وجَزائِهِ ، فَمَنْ عَمِلَ معصيةً وسَيِّئَةً فلا يُجْزَى إلاَّ مثلَها ، ولا يُعاقَبُ إلاَّ عَلَيْها .

ومَنْ عَمِلَ الأعمالَ الصالحةَ في الدُّنْيا ، سواءٌ أكان ذَكَراً أَمْ أُنْثىٰ ، فإنَّ اللهَ يتقبَّلُ مِنْهُ أعمالَهُ ، بشَرطِ أَنْ يكونَ مؤمناً ، وَسَوْفَ يُضاعِفُ لهُ الأَجْرَ والثَّوابَ ، ويَجْزيهِ عَلَيْها حُسْنَ الجزاءِ في الآخِرَةِ . . ويُدْخِلُ المُؤمنينَ الجَنَّةَ بِرَحْمتِهِ ، يتمتَّعُونَ بنعيمِهَا ، ويَتَلَذَّذُونَ بِخَيْراتِها وأرزاقِها ، بغَيرِ تَقْديرٍ ولا تَقْتيرٍ ولا نفادٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الطُّغاةُ يريدُونَ إشغالَ الأتباعِ وإلهاءَهُمْ لِيَنْصَرِفُوا عَنِ الدُّعاةِ ، كما فَعَلَ فِرْعونُ عندما طلب مِنْ هامانَ بناءَ الصَّرْحِ .

٢ـ مصيرُ كلِّ مَنْ حارَبَ الحقَّ هو الخسارةُ ، وكَيْدُهُ في ضَياعٍ .

٣ـ على الداعيةِ ألاَّ يَرْهَبَ الطُّغاةَ ، وأَنْ يَجْهَرَ بالحَقِّ ، حتى لو أدّى إلى إيذائِهِ .

٤ـ الدّنيا مَتاعٌ قليلٌ زائلٌ قياساً بالآخِرَةِ الباقيةِ .

٥ـ يَتَساوَىٰ الرجالُ والنِّساءُ في قَبولِ الأعمالِ الصَّالحةِ ، بِشَرْطِ تَحقُّقِ الإيمانِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتية :

١ـ مَنْ هامانْ ؟ وماذا طَلَبَ فِرْعونْ منهْ ؟ وما الدافعْ لهْ إلى ذلك الطَّلَبِ ؟

٢ـ ما معنى قولِه ﴿وما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ في تَبَابٍ﴾ ؟ وما الدَّلالةُ التي تخرُجُ بها مِنْ ذلك ؟

٣ـ ما الَّذي دعا الرجلُ المُؤْمِنُ قَوْمَهُ إليهِ بصَراحةٍ ؟ وما تعليقُكَ على ذَلِكَ ؟

٤ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ قيمةَ الدنيا بالنِّسْبَةِ للآخِرَةِ .

٥ـ اذكُرْ أَساسَ الحسابِ على الحَسَناتِ والسَّيئاتِ يوْمَ القيامةِ ، وما الشَّرْطُ في قَبولِ العَمَلِ الصَّالحِ ؟

٦ـ كيف يُرْزَقُ المُؤمنونَ في الجَنّةِ بغَيرِ حِسابٍ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ آيةَ مِنْ سُورةِ القَصَصِ ذكرَتْ دَعوى فِرْعونَ الأُلوهيّةَ وَطَلَبَهُ مِنْ هامانَ بناءَ الصَّرْحِ لِيبحثَ عَنْ إلهِ موسى في السّماءِ .

٣ـ سجِّلِ الآياتِ (١٨ـ٢١) من سُورةِ الإسراءِ في التَّفريقِ بينَ طالبِ الدُّنيا وطالبِ الآخِرَةِ ، واستخرجْ منها الفرقَ بينَهُما ، واذكرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآياتِ (٣٦ـ ٤٠) .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والثَّلاثُونَ

سُورةُ غَافِرٍ - القِسْمُ الثَّامِنُ

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾

معاني المُفْرداتِ :

- أَدْعُوكُمْ إلى النَّجاةِ : أدعوكُمْ إلى الإيمانِ الذي يُؤدّي إلى النَّجاةِ .
- تدعُونَنِي إلى النّارِ : تَدعُونَنِي إلى الكُفْرِ الذي يُوصِلُ إلى النّارِ .
- لا جَرَمَ : حقاً وصدقاً لا شكَّ فيهِ .
- مَرَدَّنا إلى اللهِ : مرْجِعَنا إلى اللهِ يومَ القيامةِ .
- فستَذكُرونَ ما أقولُ لكُمْ : سوفَ تتذكَّرُونَ صِحَّةَ قَوْلي في المُسْتَقْبَلِ .
- أفوّضُ أمري إلى اللهِ : أتوكّلُ على اللهِ وأُسَلِّمُ أموري إليهِ .
- وقاهُ اللهُ : حماهُ اللهُ وحَفِظَهُ .
- غُدُوًّا وعَشِيّاً : صَباحاً ومَساءً .

التفسيرُ :

تحدثَتِ الآياتُ السّابقةُ عَنْ دعوةِ الرجلِ المُؤْمِنِ قَوْمَهُ إلى اتِّباعِهِ ، وتَحَدّيهِ لفرعونَ صَراحةً ،

وتتحدثُ هذه الآياتُ عن نهاية قصّةِ ذلك الرجُلِ المُؤمنِ ، حيثُ أجْرى لقومِهِ مُقارنَة سريعةً بين دعوتِهِ لهُمْ إلى الجنَّةِ ، ودَعْوة فِرعون لهُمْ إلى النّار .

﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

دعا الرَّجُلُ المُؤمنُ قومهُ إلى مُقارنة سريعة بيْن نتائج مايدْعُوهُمْ إليهِ ، ونتائج دَعوة فِرْعَونَ وملئِهِ ، وبدأ تلْك المقارنَةَ باسْتفْهام إنكاريّ وجّههُ لقومِهِ ، فقالَ لَهُمْ : مالكُمْ يا قومُ ؟ أنا أَدْعُوكُمْ إلى الإيمانِ والنَّجاةِ مِنَ النار ودخولِ الجنَّة ، وتُقابِلُونَ ذلك الخَيْرَ بالسُّوءِ فتَدْعونَني إلى الكُفْرِ ، الذي يُوصِلُ إلى نارِ جهَنَّمَ! فما بالُكُمْ وماذا جَرى لكُمْ ؟

ثم ذكَر لهم خُلاصةَ دعْوتِهم لَهُ ، فهِي دعْوَةٌ لكي يَكْفُر باللهِ ، ويُشرِكَ بِهِ غيرَهُ مِن الآلِهَةِ الباطِلَةِ ، ويَعْبُدَ غيرَ اللهِ كفِرْعَوْن ، وهي دَعْوةٌ باطلَةٌ ليْس علَيْها دليلٌ .

أمّا خُلاصةُ دعوتِهِ لهم فَهي دعوةٌ إلى الإيمان باللهِ وحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ، وعبادَتِهِ وحْدَهُ ، فهُو اللهُ لا شريكَ له ، مُتصِفٌ بصفاتِ الجَلال والعظَمة ، عزيزٌ قويّ غالبٌ لا يُعْجِزُهُ شيءٌ ، غفّارٌ لذنُوبِ مَنْ آمنُوا بهِ ـ وعبدُوهُ ، وأخْلصُوا لَهُ

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

بعْدما ذكر نتائج الدّعْوتيْن أكّد فساد الدّعْوة الباطلة . فقالَ لَهُمْ : لقد ثَبَتَ وصَحَّ ، عَقْلاً وواقعاً ، أنّ الأصنام والأوثان والآلهة الباطِلة التي تدعُوني إلى عبادتِها عاجزةٌ ، لا تقدِرُ على دفْع ضرّ ولا جلْب نفْع ، ولا تستجيبُ للّذين يدعُونها ويعبدُونها ، فليس لها دعوةٌ مُستجابَةٌ في الدنيا والآخرة ، فكيفَ تُريدُون مني دعْوتها وعبادتها وهي بهذا العجز ؟

وذكَّر الرجلُ المؤمنُ قومهُ أنّ مرْجعهمْ جميعاً يوم القيامة إلى اللهِ ، حيثُ يبعثُهُمْ بعدَ المَوْتِ ، ثم يُحاسبُ كلَّ إنسان على عمله . وأخبرهُمْ أنّ نهاية المسرفين في المعاصِي ، المُصرِّين على الكُفرِ ، هي الخُلودُ في نارِ جهنّم .

وبذلك أتمّ الرّجُلُ المؤمنُ دعوتَه لقومه ، وبالغَ في نصحه ، ولم يبْق ما يقولُهُ لَهُمْ ، فَعليْهِ أنْ يُغادرهُمْ ، ويتركهُمْ يُفكّرُون في كلامه .

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾

هذه خَاتمَةُ بيان الدّعوة التي قدّمها لقومه ، وهي خاتمةٌ لطيفةٌ مُؤثِّرَةٌ ، قالَ لَهُمْ فيها : إنْ لم تصدّقوني الآن ، فسوْف تعْلمُون صِدْقي في المستقبل ، عندما تشاهدُونَ هزيمةَ الباطلِ وأهلِه

وانتصارَ الحقِّ وجنودِهِ ، عِنْدَ ذلكَ تتذكَّرُونَ هذا الكلامَ الذي قُلْتُهُ لكُمْ ، وعندما تُشاهِدُونَ العذابَ يومَ القيامةِ سَوْفَ تتذكَّرُونَ كلامي أيضاً ، وتَعْلَمُونَ صِدْقِي فيهِ .

والآنَ سأغادِرُكُمْ مُفَوِّضًا أمري إلى اللهِ ، مُتوكِّلاً عليهِ ، مُعْتَمِداً عَلَيْهِ في الحِفْظِ والعنايةِ ، وأنا أُوقِنُ أنَّهُ بصيرٌ بعبادِهِ ، مُطَّلِعٌ عليهِمْ ، عالِمٌ بأحوالِهِمْ .

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أخبرَ اللهُ أنّه حفِظَ الرجُلَ المُؤمنَ المُتوكِّلَ عليهِ ، الذي فوَّضَ أمرَه إليهِ ، وحَماهُ مِنْ سُوءِ مَكْرِ فِرعونَ وجُنُودِهِ وَكَيْدِهِمْ ، ولم يتمكَّنُوا مِنْ إيذائِهِ أو قَتْلِهِ . وهذا معناهُ أنَّهُ نجَّاهُ وحَفِظَهُ ، ولم يُخْبِرْنا كيفَ تمَّ ذلك .

وانتهَتْ قصةُ ذلكَ الرَّجُلِ المُؤْمِنِ الدَّاعيةِ بسَلامَتِهِ ونَجاتِهِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، كما انتهَتْ قصةُ فِرعونَ وجنودِهِ بالهلاكِ ، فَقَدْ أغرقَهُمُ اللهُ في البَحْرِ ، وبذلك حلَّ بِهِمُ العذابُ الشَّديدُ الأليمُ ، جزاءَ بَغْيِهِمْ وحَرْبِهِمْ للحقِّ . وسوفَ يُعَذَّبُونَ في قبورِهِمْ ، ويكونُ العذابُ الأكبرُ لهُمْ في نارِ جَهَنَّمَ .

وبعدما ماتَ فِرْعَونُ وجُنودُهُ وانتقلُوا إلى « عالمِ البَرْزَخِ » أمرَ اللهُ بتعذيبِهِمْ في قبورِهِمْ ، حيثُ تَعرِضُهُمُ الزَّبانيةُ على النارِ مرَّتَيْنِ كلَّ يوم : مرَّةً في الصَّباحِ ، ومرَّةً في المساءِ ، ويستمرُّونَ على هذا التعذيبِ اليوميِّ حتى يومِ القيامةِ .

ويومَ القيامةِ يَبعثُهُمُ اللهُ أحياءً ، ويُحاسِبُهُمْ على طُغْيانِهِمْ وجَرائِمِهِمْ ، ويحكُمُ عَلَيْهِم بالخُلودِ في النارِ ، ويقولُ للملائكةِ ، أدْخِلُوا آلَ فرعونَ نارَ جَهنَّمَ ، ليُعَذَّبُوا فيها أشدَّ العذابِ .

وهكذا كانت نهايةُ فرعونَ وجُنُودِهِ إلى الخُسرانِ والعَذابِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعبرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ المُؤْمِنُ الصَّادِقُ مُخْلِصٌ لقومِهِ ، فهو يُريدُ نجاتَهُمْ وَهُمْ يُريدُونَ إهلاكَهُ في المَعاصِي .

٢ـ على الدَّاعيةِ أَنْ يُبَلِّغَ دعوتَهُ ويَحْرِصَ على نُصْحِ قومِهِ ، وبذلِكَ تنتهي مَهَمَّتُهُ .

٣ـ الداعيةُ يُفَوِّضُ أمرَهُ إلى اللهِ ، ويتوكَّلُ عليهِ ، فَهُوَ الذي يَحْفَظُهُ ويحميهِ مِنْ أذى الطُّغاةِ .

٤ـ نهايةُ الطُّغاةِ والطُّغيانِ الخسارةُ ، كما حَصَلَ مَعَ فِرعونَ وجنودِهِ الذين انْتَهَوْا غَرْقَى في البَحْرِ .

٥ـ إثْباتَ عَذابِ القَبْرِ ، فَفِرْعَوْنُ والكَفَرَةُ مِنْ قَوْمِه يُعرَضُون علىٰ النّارِ صباحاً ومساءً قبلَ دُخولِهِمُ النارَ يومَ القيامةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكُرِ السؤالَ التعجبيَّ الذي وجَّهَهُ الرَّجُلُ المُؤمنُ لقومِهِ .

٢ـ ما الدليلُ مِنْ آياتِ الدَّرسِ على أنّ المَعْبودينَ مِنْ غيرِ اللهِ لا يَضُرُّونَ ولا يَنْفَعُونَ ؟

٣ـ ما الدَّلالةُ التي تخرجُ بها مِنْ قَوْلِ الرَّجلِ المؤمنِ ﴿فستذكُرُونَ ما أقولُ لَكُمْ﴾ ؟

٤ـ ما مَعْنى تفويضُ الأمرِ إلى اللهِ ؟ وما أثرُ ذلكَ على منْ يقومُ بِهِ وهُوَ يواجِهُ الطُّغاةَ ؟

٥ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ نهايةَ الرجلِ المُؤمنِ الدّاعيةِ . وما الدَّلالةُ التي تخرُجُ بها مِنْ ذلك ؟

٦ـ كيف تستدلُّ بالآيةِ الأخيرةِ مِنَ الدَّرسِ على عَذابِ القبْرِ ؟

٧ـ استخرجْ مِنْ قِصَّةِ الرجلِ المُؤْمِنِ الداعيةِ خَمْسَ دلالاتِ دَعَوِيَّةٍ مُؤثِّرَةٍ .

نشاط :

١ـ سجِّلِ الآيةَ (١٤) من سُورةِ فاطر التي تُبيِّنُ أنَّ المَدعُوِّينَ لا يَسْمَعُونَ دُعاءَ عابدِيهِمْ ولو سمِعُوا لم يَستجيبُوا لَهُمْ . واذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآيةِ (٤١) .

٢ـ عَدَّ العُلَماءُ الآيةَ (٤٦) نصّاً في إثباتِ عذابِ القَبْرِ . استخرِجْ منها دَلالةً عليهِ ، ثم اذكُرْ حَديثاً عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ في أنَّ عذابَ القبرِ حقٌّ ، واكتُبْ ذلكَ في دفترِكَ .

٣ـ لخِّصْ قَصَّةَ مُؤمنِ آلِ فرعونَ ، وَضَعِ الملخَّصَ في مَجلَّةِ المدرسةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثُونَ

سُورةُ غَافِرٍ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

يَتَحاجّونَ في النّارِ : يتجادَلُونَ في النار .

كُنّا لَكُمْ تَبعاً : كُنّا أتباعاً خَدَماً لَكُمْ .

مُغْنُونَ عنّا : دافِعُونَ عنّا أو مُتَحَمِّلُونَ عنّا .

خَزَنَةُ جهَنَّمَ : المَلائِكَةُ المُوَكَّلونَ بتعذيبِ الكُفّارِ في النّارِ .

ضَلالٍ : خَسارَةٍ وضَياعٍ .

يومَ يقومُ الأشهادُ : يومَ القيامةِ حيثُ يَقِفُ الشُّهودُ ليُؤدُّوا شَهاداتِهِمْ .

مَعْذِرَتُهُم : اعتذارُهُمْ .

سُوءُ الدارِ : شِدَّةُ عذابِ النّارِ السَّيِّءِ .

التفسيرُ :

كانَ الحَديثُ في الآياتِ السَّابقةِ عَنْ نهايةِ قِصَّةِ مُؤمنِ آلِ فِرعَوْنَ ، حيثُ نجّاهُ اللهُ ، وأَهْلَكَ فِرعَونَ ، وتَتَحدَّثُ هذه الآياتُ عَنْ عذابِ الكُفَّارِ في النَّارِ ، وما سَيَدوْرُ بَيْنَ المُسْتَضْعَفِينَ الأَتْباعِ وَالمُسْتَكْبِرينَ القَادةِ مِنْ جِدَالٍ وتَخاصُمٍ .

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

يخبرُنا اللهُ عَنْ بعضِ ما سيكونُ بينَ الأتباعِ الضُّعفاءِ والقادةِ المُستكْبِرينَ مِنْ جِدالٍ وخِصامٍ وَهُمْ في النارِ ، ومِنْهُمْ فرعونُ وجُنُودُهُ والَّذينَ اتَّبعُوهُ .

يقولُ الأتباعُ الضُّعفاءُ لسادَتِهِمُ المُسْتكْبرينَ : لقد كُنَّا في الدُّنيا تَبَعاً وخَدَماً لكُمْ ، ننفِّذُ أوامِرَكُمْ في حَرْبِ الحقِّ وأهلِهِ ، ونُطِيعُكم فيما تَدْعُونَنا إليهِ مِنَ الكفرِ باللهِ وتكذيبِ الرُّسُلِ ، وقد أوْصَلَنا ذلكَ إلى النّارِ ، فهل يُمكنُ أنْ تَنْفَعُونا الآنَ ، أو تَدْفَعُوا عنَّا شيئاً مِنَ العذابِ ، أو تتحمَّلُوا عَنَّا جُزءاً مِنَ العذابِ مُقابِلَ خِدْمَتِنا لَكُمْ ؟

فيُجيبُهُمُ القادةُ المُستكبرونَ قائلينَ : نحنُ وإيَّاكُم جميعاً في جَهَنَّمَ ، مُشْتَرِكُونَ في العذابِ ، فكيفَ نَدْفَعُ عنكُم ، لوِ استَطَعْنَا ذلكَ لَدفَعْنَاهُ عَنْ أنْفُسِنا . وَقَدْ حَكَمَ اللهُ بينَ عبادِهِ حُكْمَهُ العادلَ ، فأَدْخَلَ المُؤْمنينَ الجنَّةَ بِرَحْمَتِهِ ، وعَذَّبَنا نحنُ وإيَّاكُمْ في جَهَنَّمَ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

بعد استقرارِ الضُّعفاءِ والمُستكبرينَ في النارِ ، والعذابُ مُحيطٌ بِهِمْ ، يَعْلَمونَ أنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ في ذلكَ العذابِ ، فيتوجَّهُونَ إلى خَزَنَةِ جهنَّمَ مِنَ المَلائكةِ ، المُشْرِفينَ على تعذيبِهِمْ بِطَلَبٍ عَجيبٍ ، حيثُ يقولونَ لَهُمْ : لو دَعَوْنا نحنُ اللهَ فلنْ يَسْتَجيبَ لنا ، فادْعُوا أنتُمُ اللهَ مِنْ أجْلِنا ، واطلبُوا منهُ أَنْ يُخَفِّفَ عنَّا يوماً واحداً مِنَ العذابِ!

فتردُّ عليهِمُ الخَزَنةُ مُوبِّخِينَ ، وتسأَلُهُمْ بهدفِ إقامةِ الحُجَّةِ عليهِمْ : ألم تكُنْ تأتيكُمْ رُسُلُكم في الدُّنْيا بالدَّلائلِ والبراهينِ الدالَّةِ على الحقِّ ؟

فيُجيبونَ بذُلّ وانكسار ونَدَم : بلى لقد أتوْنا بالبيِّنَاتِ ولكنَّنا كفرْنا بِهِمْ وكَذَّبْنَاهُمْ!

فتقولُ لهُمْ الخزنةُ ساخِرينَ مُتهكّمِينَ : ادعُوا أنْتم لأنْفسِكُمْ ، فنحنُ لا نَدْعُو لِمَنْ كفَر باللهِ وكَذَّبَ رُسُلَه! حتّى لو دَعَوْتُمْ فإنّ دُعاءَكُمْ لن يُستجابَ لهُ ، وهو إلى ضلال وضَيَاع .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

إذا كانَ الكُفّارُ مُعذّبينَ في النارِ فلأنّهم مهزومونَ مَغْلوبُونَ خاسِرُونَ ، أما الرُّسُلُ وأتْباعُهُم فإنَّهُم مَنصورونَ غالبونَ .

وقرَّرَ اللهُ حقيقةَ قاطعة لا تَتَخلَّفُ ، فقالَ : إننا لَنَنْصُرُ ونُؤيّدُ رُسُلَنا وأَتْباعَهُمْ المُؤمنينَ ، ونَجْعَلُهُمْ هُمُ الغالبينَ لأعدائِهِمُ الكافِرين ، ونُمَكّنُ لَهُمْ ، ونجعلُ دينَهُمْ مُنتشراً ظاهراً في الدُّنيا ، وننْصُرُهُمْ في الآخِرَةِ ، حينَ يقومُ الأشْهادُ مِنَ المَلائِكَةِ والأنْبياءِ والمُؤمنينَ ، فيَشهَدُونَ للرُّسُلِ بالتّبليغ ، ويَشهدُونَ لِلمُؤمنينَ بالإيمانِ ، ويَشْهدُونَ على الكافرينَ بالكُفْرِ والتكذيبِ ، ويكونُ النَّصْرُ الكَبيرُ للمُؤمنينَ عندما نُدْخِلُهُمْ الجنة برحْمتِنا مُنعَّمِينَ فيها .

ونَصْرُ الأنبياءِ والمُؤْمنينَ في الدُّنيا يكونُ مادّياً وحِسّيًا ، بالغَلَبَةِ والتَّمْكينِ في الأرْضِ ، ونجاةِ الأنبياءِ وأتباعِهِمْ ، وإهْلاكِ أعْدائِهِمُ المُكذِّبين ، وقد يكُونُ مَعْنوياً كإظْهارِ الدّينِ بالحُجَّةِ والبُرْهَانِ ، ولو قَتَلَ الكفارُ النبيَّ أوِ المُؤْمنينَ .

ومِنَ انتصارِ الرُّسُلِ والمُؤْمنينَ يومَ القيامةَ أنَّ اللهَ يَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدائِهِمُ الظّالِمينَ الكافرينَ ، ويُعذّبُهُمْ في النارِ ، وإذا حاولُوا الاعتذارَ عَنْ جرائمِهِمْ في الدُّنيا فإنَّ مَعْذِرتَهُمْ لن تنفَعَهُمْ ولن تُقْبَلَ منهُمْ ، ولَنْ تدفعَ عنهُمُ العذابَ ، لأنَّ اللهَ أوقعَ بِهِمْ لعْنَتَهُ ، وطرَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وجَعَلَ لَهُمْ سُوءَ الدارِ ، وهو الخُلُودُ في النّارِ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

بِمُناسَبَةِ الحديثِ عَنْ نَصرِ الرُّسُلِ وأتباعِهِمْ تذكرُ الآياتُ نَمُوذَجاً لِذلكَ ، وهُوَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ ، فقد بَعَثَهُ اللهُ رسولاً ، وأَنْزَلَ عَلَيْهِ التوراةَ ، وجَعَلَهَا هُدىً لقومِهِ ، ولمّا كذَّبَهُ فِرْعَونُ وجُنودُهُ أغْرَقَهُمُ اللهُ في البَحْرِ ، ونَصَرَ موسى عليهِ السّلامُ وأتباعَهُ مِنْ بني إسرائيلَ .

وبعدَ وفاةِ موسى عَليْهِ السلامُ أبْقى التَّوْراةَ في بَني إسرائيلَ مِنْ بَعْدِهِ ، يَتوارَثُونَها ويَهْتَدُونَ بها ، مَعَ أنَّه لا يَهتدي بها إلا أُولُو الألبَابِ وأصْحابُ العُقْولِ الواعِيَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَرِيمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تخاصُمُ أهلِ النَّارِ في النَّارِ حَقٌّ وصِدْقٌ .

٢ـ لا يُغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً يومَ القيامةِ ، مِمَّا يزيدُ مِنْ مُصيبةِ الكُفَّارِ .

٣ـ يعترفُ الكُفَّارُ في النار بجرائمِهِمْ في الدُّنيا ، ولكنْ لا يَنفَعُهُمْ ذلكَ الاعترافُ .

٤ـ نَصْرُ الرُّسُلِ وأتباعِهِمْ وهزيمةُ أعدائِهِمْ سُنَّةٌ ربانيَّةٌ لا تتخلَّفُ على مَدارِ التاريخِ .

٥ـ قد يكونُ النَّصْرُ ماديّاً بالتَّمكِينِ في الأَرْضِ ، وقد يكونُ مَعْنَوِيّاً في الثَّباتِ على الحَقِّ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ماذا يَطْلُبُ الأتباعُ مِنْ قادتِهِمْ في جَهَنَّمَ ؟

٢ـ ماذا يُجيبُ القادةُ أتباعَهُمْ على طَلبِهِمْ ؟ وعلى ماذا يدلُّ ذلكَ ؟

٣ـ مَنْ خَزَنَةُ جَهنَّمَ ؟ ولماذا سُمُّوا بذلكَ ؟

٤ـ اذكُرِ الحِوارَ الذي يَجْري بينَ الخزَنَةِ والكُفَّارِ ، وإلى ماذا يَنتهي ؟

٥ـ نصرُ اللهِ للرسلِ وأتباعِهِمْ لَهُ صُورتانِ ، اذكُرْهُمَا ، ومَثِّلْ لكلِّ صورةٍ بمثالَيْنِ .

٦ـ مَنِ الأَشْهادُ الَّذينَ يَقُومُونَ يومَ القيامةِ ؟ وعلى ماذا يَشْهَدُونَ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ آياتٍ مِنْ سُورةِ إبراهيمَ تذكُرُ نَوْعاً مِنَ الخِصَامِ والجِدَالِ بين الأتباعِ والرؤساءِ في النارِ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآياتِ (٤٧ ، ٤٨) .

٢ـ اذكُرْ خَمْسَةَ أمثلةٍ لأنبياءَ ورُسُلٍ انتصرُوا ماديّاً على أعدائِهِمْ ، ومِثالَيْنِ لِمُؤمنينَ مِنْ أتباعِ الأنبياءِ انتصرَتْ دعوتُهم بعدَ قَتْلِهِمْ واسْتِشْهادِهِمْ .

* * *

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سُورَةُ غَافِرٍ - القِسْمُ العاشِرُ

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾

معاني المُفْرداتِ :

بالعَشِيّ والإبكارِ	: في المَساءِ والصّباحِ .
كِبْرٌ	: تكبُّرٌ عنِ اتِّباعِ الحَقِّ .
مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ	: لن يُحَقِّقُوا أهدافَهُمْ .
ما يستوي الأَعْمَىٰ والبَصِيرُ	: لا يتساوَى المُؤمنُ والكافرُ .
لا رَيْبَ فيها	: لا شكَّ في مَجيءِ السَّاعةِ .
دَاخِرِينَ	: أذلاَّءَ مُهانينَ .
لِتَسْكُنُوا فيهِ	: لِتَسْتَريحُوا فيهِ .

النَّهارَ مُبْصِراً : تُبْصِرُونَ في النَّهارِ لِما فيهِ مِنَ الضِّياءِ .
أَنَّى تُؤفكون : كيفَ تُصْرَفُونَ عَنْ عبادةِ اللهِ وَحْدَهُ لتَعبدُوا غَيْرَهُ .
يَجْحَدون : يُنْكِرونَ .

التفسيرُ :

تَنْتَقِلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَمّا سيكونُ بينَ الأتباعِ والقادةِ مِنْ جِدالٍ وخِصامٍ يومَ القيامةِ ، لتتحدَّثَ عَنْ صَبْرِ الصّابرينَ على الحَقِّ ، وعَدَمِ تَساوي المُؤمِنِ والكافِرِ ، وتُقَدِّمُ بعضَ الأدلَّةِ على وَحْدَانِيَّةِ اللهِ .

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

بعد تقريرِ حقيقةِ نَصْرِ اللهِ لِرُسُلِهِ في الدّنيا والآخِرَةِ ، يَدْعُو اللهُ رسولَهُ مُحَمَّداً ﷺ ، إلى الصَّبرِ على ما يَجِدُهُ مِنْ أذى المُشْرِكينَ ، يقولُ لَهُ : اصبرْ على كُفْرِهِم وأذاهُمْ ، كما صَبَرَ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِكَ ، ولقدْ وَعَدَكَ اللهُ بالنَّصْرِ عَلَيْهِمْ ، وسيُحَقِّقُ اللهُ لكَ ما وَعَدَ ، وسَيَنْصُرُكَ عليهِمْ . ووَعْدُهُ حَقٌّ لأنَّهُ لا يُخْلِفُ المِيْعَادَ .

وعليكَ أنْ تُكْثِرَ مِنَ الاستغفارِ لِذَنْبِكَ . وذَنْبُ الرسولِ ﷺ من بابِ تَرْكِهِ ما هُو أَوْلَى ، واستغفارُهُ مِنْ صُوَرِ ذِكْرِهِ للهِ ، وكانَ يُداوِمُ على تسبيحِ اللهِ وحَمْدِهِ في أوائلِ النهارِ وَقْتَ الإبكارِ ، وفي أواخرِ النهارِ وَقْتَ العَشِيِّ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

بعد تَوْجيهِ الرسولِ ﷺ إلى الصَّبْرِ والذِّكْرِ والاسْتغفارِ ، والخُضُوعِ للهِ ليكونَ قُدوةً لأُمَّتِهِ ، يَأْتِي الحَديثُ عَنْ سببِ عدمِ خُضُوعِ الكُفّارِ للهِ ، وهو الكِبْرُ الذي يملأُ صُدُورَهُمْ . فهؤلاءِ الكُفّارُ يُجادِلُونَ في آياتِ القرآنِ ، ويَحْرِصُونَ على إبطالِها وإلغائِها ، لأنَّ التكبُّرَ سَيْطَرَ عَلَيْهِمْ ، ومَنَعَهُمْ مِنَ الخُضُوعِ لِلحقِّ ، واتِّباعِ رسولِ اللهِ ﷺ .

وجعلُوا مِن أهدافِهِمْ غَلَبَةَ رسولِ اللهِ ﷺ وهَزيمَتَهُ ، والقضاءَ على دينهِ ، وهم لَنْ يُحَقِّقُوا ذلكَ الهدفَ ، ولن يَبْلُغوا مُرادَهُمْ ، لأنَّ اللهَ ناصِرُ رسولَهُ ﷺ . وقد وَجَّهَ اللهُ رسولَهُ ﷺ إلى الاسْتِعاذَةِ بهِ واللُّجوءِ إليهِ ، ليَحْمِيَهُ مِنْ أذى المُشْرِكينَ المُتكبِّرينَ ، ويَنْصُرَهُ عَلَيْهِمْ . واللهُ سميعٌ لكلِّ شيءٍ ، وبصيرٌ بكلِّ شيءٍ ، وهوَ قويٌّ غالبٌ ، والكُفّارُ مَهْزُومونَ في حَرْبِهِم لِلحقِّ .

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ .

لماذا يتكبّرُ الكفارُ ويرفُضون الخُضوعَ للحقّ ؟ أيُّهما أكْبَرُ وأَعْظَمُ : خَلْقُهم أمْ خَلْقُ السماواتِ والأرضِ ؟ تُقررُ الآيةُ أنّ خَلْقَ السّماواتِ والأرضِ وما فيهِما أكْبَرُ وأَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ الناسِ أوّلَ مرةٍ ، ومِنْ بَعْثِهِمْ يومَ القيامةِ .

واللهُ الّذي خلَقَ السّمواتِ والأرضَ قادرٌ على بَعْثِ الناسِ ، كما في قولِهِ تعالىٰ : ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ بِقادرٍ علىٰ أنْ يخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى . . .﴾ [يس : ٨١] .

ومع وُضوحِ هذا الدّليلِ على عظَمَةِ اللهِ وقُدرتِهِ ، إلا أنَّ أكثرَ الناسِ لا يَتدبَّرُونَهُ ولا يَعْلَمُونَهُ ، ولذلكَ أشركُوا باللهِ .

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ .

المُؤمنونَ يعْلَمُونَ الحَقَّ ويتّبِعُونَهُ ، والكفارُ لا يَعْلَمُونَهُ فيُنْكِرُونَهُ ، ولا يستوي الفريقانِ . إنَّ المُؤمِنَ بصيرُ العَيْنِ والقلْبِ ، يَعي ويتدبَّرُ ويتفَهَّمُ ، والكافرُ أعْمى القلْبِ ، غافِلٌ عنِ الآياتِ والحُجَجِ ، ولذلكَ يُنكِرُ الحقَّ ويُحارِبُهُ . وهما لا يَتَساوَيانِ . فمنَ المَعْلُومِ بداهةً أنَّهُ لا يستوي الأعْمى والبصيرُ في الحياةِ ، وكذلكَ لا يسْتوي المُؤمنونَ العامِلُونَ للصّالحاتِ والكافِرُونَ المُسيئونَ المُحارِبُونَ للحقِّ .

ولا يُدرِكُ الفرقَ بينَ الفريقيْنِ ، إلاّ المُؤمنُ الواعي البصيرُ . أمّا الكفارُ فإنَّهم لا يتذكّرُونَ الآياتِ والحقائقَ ، ولذلكَ لا يُفرِّقُونَ بينَ الأعمى والبصيرِ .

وإنَّ يومَ القيامةِ آتٍ لا مَحالةَ ، والساعةُ قادمةٌ لا شَكَّ في قُدومِها ، والمُؤمنُ البصيرُ الواعي يجزِمُ بيومِ القيامةِ ، لأنَّ اللهَ أخبرَ عنهُ ، أما الكافرُ الأعمى الغافلُ فإنَّهُ يُنكِرُهُ ويَكْفُرُ بهِ . . ، وأكثرُ الناسِ كُفّارٌ جاهلونَ ، لا يُؤمنونَ بيومِ القيامةِ لقُصُورِ أفهامِهِمْ .

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ .

يومُ القيامةِ قادمٌ مِنْ دُونِ شَكٍّ ، وطريقُ النّجاةِ من أَهْوالِهِ وعذابِهِ هُو عبادةُ اللهِ ، ولِذَلكَ طلَبَ اللهُ من عبادِهِ دُعاءَهُ ، وقال لهم : ادْعُوني ، واطلُبوا منّي كَشْفَ الضُّرِّ وجَلْبَ النَّفْعِ ، ولا تطلُبوا هذا مِنْ غيري ، لأنّني وَحْدي القادرُ على الاستجابةِ لَكُم . أمّا الكافِرُونَ فإنّهم يَسْتَكْبِرونَ عن عبادَتي ودُعائي والخُضوعِ لي ، وسأُعذِّبُهُمْ يومَ القيامةِ وأُدْخِلُهُمْ نارَ جَهَنَّمَ ، أذِلّاءَ صاغرينَ مُهانينَ ، جزاءَ استكبارِهم وكُفْرِهِمْ .

لقد أمرَ اللهُ بالدّعاءِ ، وتكفّلَ بالإجابةِ كرماً وفضْلاً منهْ ، وتوعّدَ المتكبّرينَ بالعذابِ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

يجبُ على الناسِ جميعاً أنْ يدعُو اللهَ وَحْدَهُ ، وأنْ يعْبدوهُ وحْدَهُ ، لأنّه القادرُ على كلِّ شيءٍ ، المنْعمُ على عبادهِ بكلِّ شيءٍ . ومِنَ الأدلّةِ على ذلك أنّهُ خلقَ الليلَ والنهارَ ، وسخّرهُما للناسِ ، وجعلَهُما مُتعاقبَيْنِ ، لِتَسيرَ حياةُ الناسِ . ومِنْ فَضْلِهِ على الناسِ أنّه جعلَ الليلَ مُظلماً ، لِيَسْكُنَ الناسُ فيهِ ، ويتوقّفُوا عَنِ الحَرَكةِ ، ويستريحُوا ويناموا ، وجعلَ النهارَ مُشْرِقاً تظهرُ فيه الشّمْسُ ، ويعُمُّ فيهِ الضياءُ ، لِيُبصرَ فيهِ الناسُ ويتحرّكُوا ويعْمَلُوا وينْشطُوا .

واللهُ هو المنْعمُ المُتفضّلُ ، ذو فَضْلٍ على الناسِ ، وكُلُّ النِّعَمِ التي عِنْدَهُم مِنَ اللهِ ، وإنْ عَدُّوا نِعَمَ اللهِ عليهِمْ عَجَزُوا عَنْ إحصائِها ، والواجبُ عَلَيْهِمْ أنْ يعترفُوا للهِ بالفَضْلِ والإنعامِ ، وأنْ يُوقنُوا أنّها منْهُ ، وأنْ يشْكُروهُ عليها ، وَمِنْ شُكْرِهِ استخدامُها في طاعتِهِ . ولكنَّ أكثرَ الناسِ كُفّارٌ لا يشْكُرونَ اللهَ على ما أنْعَمَ بهِ عليهِم ، وإنّما يكفُرُونَ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٤] .

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

اللهُ القادرُ على كلِّ شيءٍ ، المُنْعِمُ بكلِّ شيءٍ هو الخالقُ لكُلِّ شيءٍ ، ولم يُشارِكْهُ أَحَدٌ في خَلْقِ شيءٍ ، لمّا كانَ وَحْدَهُ هوَ الخالقُ ، فهو الربُّ المُنْعِمُ المُربّي ، لا ربَّ سواهُ ، وهوَ الإلهُ الواحدُ ، لا إلهَ إلا هوَ ، ولا معبودَ بحقٍّ سواه .

وَمَعَ هذهِ الحَقائقِ القاطعةِ فإنَّ المُشركينَ عَبَدُوا مَعَهُ غيرَهُ ، وجَعَلُوا لهُ شريكاً ، وقدْ أنكرَ اللهُ ذلكَ عَلَيْهِم بقولِهِ : اللهُ وحْدَهُ ربُّكُمْ ، لا إلهَ إلا هُوَ ، فكيفَ تنْصرِفُونَ عَنْ توحيدِهِ ، وعبادَتِهِ ؟ وتعبدُونَ غيرَهُ مِنَ الأصنامِ ؟ إنّهُ لا يَنْصرِفُ عَنْ عبادَتِهِ إلاّ الكافِرُونَ ، الجاحِدُونَ بآياتِهِ ، المُنْكِرونَ لِفضْلِهِ ، المُتّبِعُونَ للهَوى والباطلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ على المُؤْمِنِ الصَّبْرُ على ما يُواجِهُهُ مِنْ أذى الأعداءِ ، وأَنْ يُوقِنَ بالفَرَجِ مِنَ اللهِ .

٢ـ الإكثارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وتسْبيحِهِ وحمْدِهِ واسْتغْفارِه ، يُقرِّبُ المُؤمنَ مِنَ اللهِ ، كما فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ .

٣ـ لا يرفُضُ الخُضوعَ للهِ وعبادَتَهُ إلاَّ مُتكبِّرٌ ، وسيُذِلُّهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَة .

٤ـ اللهُ هوَ المُنْعِمُ المُتفضِّلُ على عبادِهِ ، وعليهِمْ أنْ يشكُروهُ على نِعَمِهِ وألاّ يَجْحَدُوها .

٥ـ الدُّعاءُ مِنَ العبادَةِ ، والعِبادَةُ لا تجوزُ إلا للهِ ، فلا يجوزُ أن يُعْبَدَ غيرُهُ .

٦ـ اللهُ هو ربُّ كلِّ شيءٍ وخالِقُهُ ، وغيرُهُ من الأربابِ باطِلَةٌ مخْلوقَةٌ مرْبُوبَةٌ (أي لَها ربٌّ وليست هي آلهةً) .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلة الآتية :

١ـ استخرجْ منَ الآيةِ الأولى ثلاثة أوامر أمر اللهُ بها رسولَهُ ﷺ ، وبيِّنْ معناها .

٢ـ ما السَّببُ الذي منعَ الكفار مِنَ الخضوعِ للحقِّ ، وجعلَهُمْ يُجادِلُون في آياتِ الله ؟

٣ـ أيُّهُما أكبرُ : خلْقُ السماواتِ والأرض أم خلْقُ الناس ؟ وعلى ماذا يدلُّ هذا ؟

٤ـ ما المرادُ بالأعْمى والبصير في آياتِ الدَّرس ؟ ولماذا ذُكِرا فيها ؟

٥ـ استخرجْ منْ آياتِ الدَّرْس طلبا طلَبَهُ اللهُ منْ عبادِه ، وجزمَ لَهُمْ بنتيجتِهِ .

٦ـ ما مَصيرُ المُتكبِّرين عنْ عبادة الله ودُعائه في الآخرة ؟

٧ـ استخرجْ منْ آياتِ الدَّرْسِ فائدة يستفيدُها الناسُ منَ اللَّيلِ والنَّهارِ .

٨ـ ما معنى قولهِ ﴿فأنَّى تُؤفكُونَ﴾ ؟ ولماذا يُؤفكُ الكافرون ؟

نشاط :

١ـ سَجِّلِ الآيةَ الأخيرةِ مِنْ سورةِ الأحقاف ، واذكُرِ الشَّبه بينها وبين الآيةِ (٥٥) .

٢ـ كم مرَّةً كان يَسْتغْفِرُ رسولُ اللهِ ﷺ في اليومِ واللَّيْلة ؟ وما التَّسْبيحاتُ المَأثورةُ بعدَ الصَّلواتِ المفْروضَةِ ؟ اكتُبْها في دفترك ، وداوِمْ عليها .

٣ـ اكتُبْ في دفترِكَ الآيةَ الدالَّةَ على هذا المعنى في سُورةِ النَّازعات .

٤ـ سجِّلْ آيةً من سُورةِ البقرةِ ، وسطَ آياتِ الصِّيام تكفَّلَ اللهُ فيها بإجابةِ الدُّعاء ، واستخرِجْ منها شَرْطَ الاستجابة .

الدَّرسُ الحادي والأربعونَ

سُورةُ غافرٍ ـ القِسْمُ الحادي عشَرَ

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

الأرضَ قراراً	: الأرضَ مُستقرّاً ، يستقرُّ عليها أَهْلُها .
والسَّماءَ بناءً	: السَّماءَ سَقْفاً قائِماً ثابتاً .
صوَّرَكُم فأحسنَ صُوَرَكُمْ	: خَلَقَكُمْ على الصُّورةِ البَشَريَّةِ الحَسَنةِ .
تَبارَكَ اللهُ	: تقدَّسَ وتنزَّهَ وكَثُرَ خَيْرُهُ .
ادعُوهُ	: اعبدُوهُ وأخلِصُوا لَهُ الدُّعاءَ .
البَيِّنَاتُ	: الأدلَّةُ والحُجَجُ على الحَقِّ .
أُسْلِمَ لِرَبِّ العالمينَ	: أستسلِمَ وأنقادَ للهِ وحدَهُ .
مِنْ نُطفةٍ	: من قَطْرةٍ مِنَ المَنِيِّ .
عَلَقَةٍ	: قِطْعَةٍ من دمٍ غليظٍ تتعلَّقُ بجدارِ الرَّحِمِ .
لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ	: لتصِلُوا إلى تكامُلِ قوَّتِكُمْ ، وهُوَ سِنُّ الأربعينَ .

لِتكُونوا شُيُوخاً	لتصلُوا إلى مرحلةِ الشّيخوخَةِ وأرذلِ العُمُرِ .
لِتبْلُغُوا أجلاً مُسمًّى	لتصلُوا وقتاً مُحَدَّداً ، هُوَ انتهاءُ الأجَلِ .
قضىٰ أمراً	أرادَ إيجادَ شيءٍ .

التفسيرُ :

تحدّثتِ الآياتُ السّابقةُ عَنْ بعضِ الأدلّةِ على وَحْدَانيّةِ اللهِ وقُدرتِهِ . وتَتَحدّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ تيسيرِ اللهِ لحَياةِ النّاسِ وَرِزْقِهِمْ والإنعامِ عليهِمْ ، وتأمُرُهُمْ بعبادتِهِ وَحْدَهُ ، وتنهىٰ عن عِبادةِ غيرِهِ ودُعائِهِ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

مِنَ الأدلّةِ على وَحْدَانيّةِ اللهِ وقُدْرتِهِ خَلْقُهُ للسّمواتِ والأرضِ ، وتَسْخيرُها للإنسانِ . ولذلكَ ذكّرَ اللهُ النّاسَ بهذهِ الحقيقةِ ، وقالَ لَهُمْ : أنعمَ اللهُ عليكُمْ ، بأنْ خَلَقَ الأرضَ ، وجَعَلَهَا مَوْضِعَ استقرارٍ لكُمْ ، تُقيمونَ وتستقرّونَ عَلَيْها ، وتَسْكُنونَ فيها ، وخَلَقَ السّماءَ فَوْقَها ، وجَعَلَها بناءً مُحْكَماً ، وسَقْفاً مَحْفُوظاً ، وزيّنَها بالكَواكِبِ .

ومِنْ إنعامِ اللهِ عليكُمْ أنّهُ خلقَكُمْ ، وصوّرَكُمْ في أحْسَنِ صُورةٍ ، وأجْمَلِ شَكْلٍ ، وجعَلَكُمْ على الصُّورةِ البشريّةِ المُستقيمةِ المُتناسبَةِ .

واللهُ هُوَ الرّازِقُ ، رَزَقَكُمْ مِنَ الطّيّباتِ واللّذائذِ ، مِنَ الطّعامِ والشّرابِ ، وجعلَكُمْ تَسْتَمْتِعُونَ بها .

والّذي فَعَلَ هذا كُلَّهُ هُوَ اللهُ وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، وهوَ وَحْدَهُ ربُّكُمْ وربُّ العالَمينَ ، لا رَبَّ سِواهُ ، فتبارَكَ وتقدَّسَ ، وكَثُرَ خَيْرُهُ وتضاعفَتْ عَطاياهُ .

﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

الربُّ الخالِقُ المُدبِّرُ المُتصرِّفُ المُنْعِمُ هُوَ اللهُ الحيُّ الباقي الذي لا يَفْنَى ، الأوّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطِنُ .

وعلى العبادِ أنْ يُؤمِنُوا أنّهُ لا إلهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحمْدُ ، وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وهُوَ ـ سُبحانَهُ وتعالىٰ ـ ربُّ العالَمين .

﴿ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

بعدَ تقريرِ توحيدِ الألوهيّةِ والربوبيّةِ ، ووُجوبِ عبادةِ اللهِ وَحْدَهُ ، جاءَ النّهيُ صَريحاً عَنْ عبادةِ

غيرِ اللهِ ، وأمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يُبلّغ ذلكَ للنّاسِ قائلاً : أيُّها الناسُ ، لقد نَهانِي اللهُ عَنْ عِبادةِ غيرِه ، أوْ دَعْوتِهِمْ كما يفعلُ الْمُشْرِكون مَعَ الأصنام والأوثانِ . وقد أنزلَ اللهُ عليَّ آياتِ القرآنِ ، التي تتضمّنُ ذلكَ النّهْيَ الصّريحَ ، والتي تقيمُ الأدلّةَ القاطعة على ذلكَ .

وأمرني اللهُ أنْ أُسلِمَ وَجْهِي لَهُ وَحْدَهُ ، وأنْ أستَسْلِمَ وأنقادَ لهُ ، لأنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ ربُّ العَالَمِينَ .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

كما يدلُّ خَلْقُ السّماواتِ والأرضِ على وحْدانيّةِ الله وقُدْرتِه ، كذلكَ المراحلُ التي يمرُّ بها الإنسانُ تدلُّ عى وحْدانيّةِ الله وقُدرتهِ . وقد ذكّرَ اللهُ الناسَ بذلك في قولِه : اللهُ هوَ الخالقُ وَحْدَهُ ؛ خَلقَ أباكُمْ آدمَ مِنْ ترابٍ ، وخلقَ كُلَّ واحدٍ منكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيّ ، وبعدَ الإخصابِ في رحمِ المرأةِ صَيّرَ الواحدَ مِنْكُمْ عَلَقةً مِنْ دَمٍ مُتجمِّد ، مُتعَلِّقَةً ومغْرُوْزَةً في جدارِ الرّحم ، وبعدَ انتهاءِ حَمْلِهِ في بَطْنِ أُمِّهِ ، يُخرِجُهُ اللهُ حَيّاً ليكون طِفْلاً . ثم تتحوّلُون لِتصلُوا إلى العُمْرِ الأشدِّ واكْتِمالِ القُوّةِ والعَقْلِ ، وهْوَ عُمْرُ الأربعينَ ، ثم تَصِيرُون شُيوخاً طاعِنِينَ في السِّنّ . وأنتُمْ في هذهِ المراحلِ في حفْظِ الله ورِعَايتِهِ .

وَمَنْ كتَبَ اللهُ عليهِ المَوْتَ ، فإنَّهُ سوْف يُتوفّى في الوقتِ الذي حدّدَهُ اللهُ لهُ ، سواءٌ أكانَ قبلَ الولادةِ أم في حالِ الطُفولَةِ أم الشّبابِ أم الشّيخُوخةِ ، ومن كَتبَ اللهُ لهُ طولَ العُمْرِ ، فإنَّهُ يَطولُ عُمْرُهُ لِيَبْلُغَ الوَقْتَ المُحدَّدَ الذي حَدّدَهُ اللهُ لهُ ، وعندَ ذلكَ يموتُ .

وعليكم أنْ تُفكّرُوا في ذلك وتَعْقِلوا ، وَتَسْتَدِلّوا بهذا التغييرِ والانتقالِ على وَحْدانِيّةِ اللهِ ، وعلى حاجَتِكُم إليهِ سُبحانَهُ .

واللهُ وَحْدَهُ هُوَ الذي يُحيي الأحياءَ ، وَهْوَ الذي يُميتُهُمْ عندما تَحينُ آجالُهُمْ ، ولا يَقْدِرُ على ذلكَ أحدٌ غيرُهُ . وهْوَ القادرُ على كلِّ شيءٍ ، ولا يُعْجِزُهُ أيُّ شيءٍ ، فإذا أرادَ أمْراً ، وقدّرَ إيجادَ شيءٍ فإنَّهُ يقولُ لَهُ « كُنْ » فتتوجّهُ إرادتُهُ إلى إيجادِهِ ، فيُوجدُ ويتحقّقُ كما أرادَ اللهُ فوْرَ تَعلُّقِ الإرادةِ بهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ سخّرَ اللهُ كلَّ شيءٍ للإنسانِ تفضّلاً مِنْهُ ، ومِنْ ذلكَ جَعْلُ الأرضِ مُستقرّاً لهُ ، والسّماءِ بناءً فوقَهُ .

٢ـ يجبُ أنْ نؤمنَ أنَّ اللهَ وَحْدَهُ هوَ المَعْبُودُ بحَقّ ، وأنَّهُ ربُّ العَالَمِينَ ، وأنْ نُثْبِتَ توحيدَ الألوهيّةِ والرُّبوبيّةِ لَهُ .

٣ـ على المُؤمنِ أنْ يعْبُدَ اللهَ ويدْعُوهُ وَحْدهُ ، ويُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهِ ، جامعا بين تسبيحِهِ وحَمْدِهِ ، ولا يجوزُ دُعاءُ غيرِه .

٤ـ قُدْرَةُ اللهِ مُطلَقةٌ ، وإيجادُهُ الشَّيْءَ لا يُعجزُهُ ، ففَوْرَ أنْ يقولَ للشَّيْءِ : كُنْ ، يكونُ ويوجَدُ فِعْلا .

٥ـ مِنْ أسماءِ اللهِ الحُسْنَى : المُصَوِّرُ ، وَالحَيُّ ، وَالخالِقُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلة الآتية :

١ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ ثلاثةَ أدلّةَ على وَحْدانيّةِ اللهِ .

٢ـ اذكُرِ المراحلَ التي يمرُّ بها الإنسانُ في حياتهِ ، كما ذَكَرَتْها آياتُ الدّرسِ .

٣ـ ما معنى قولِه : ﴿فإذا قضى أمرًا فإنّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فيَكُونُ﴾ ؟

٤ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ الجَمْعَ بينَ توحيدِ الرُّبوبيّةِ وتوحيدِ الأُلوهيّةِ .

٥ـ أيُّ المخلوقاتِ على وَجْهِ الأرضِ يُعدُّ الأحْسَنَ صُورةً ؟ ولماذا ؟

٦ـ بماذا تُسمِّي الذين يَعبدُونَ غيرَ اللهِ ؟ ولماذا لا تَجُوزُ عبادةُ غيرِهِ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ آيةً من سُورةِ الانفطارِ تُقَرِّرُ أنّ اللهَ خَلَقَ الإنسانَ ، فسوّاهُ ، فعدَلهُ ، فركّبَهُ في أحْسنِ صُورةٍ . واستخرِجْ منها ثلاث دلالاتٍ .

٢ـ استخرِجْ آياتٍ مِنْ سُورةِ الزُّمَرِ يأمرُ اللهُ فيها رَسُولَهُ أنْ يَعْبُدَهُ وَحْدَهُ ، وأنْ يُخْلِصَ لَهُ الدِّين ، ويَنهاهُ عَنْ عبادةِ غيرِه ؛ من باب التَّفْسيرِ للآيةِ (٦٦) .

٣ـ سجِّلْ آيةً مِنْ مَطْلَعِ سُورةِ الحَجِّ ، تتحدَّثُ عَنْ مراحلِ خَلْقِ الإنسانِ ، وتَجْعَلُها دليلا على البَعْثِ ، واذكُرِ الشَّبَهَ بينَها وبينَ الآيةِ (٦٧) .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني وَالأَرْبَعونَ

سُورةُ غَافِرٍ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَنَّى يُصرَفُونَ	: كيفَ يَبْتعِدُونَ عَنْ تَوْحِيدِ اللهِ .
كذَّبُوا بالكتابِ	: كذَّبوا بالقرآنِ .
الأغلالُ في أعناقِهم	: القيودُ توضَعُ في رِقابِهِمْ .
السَّلاسِلُ	: الحِبالُ تُوضَعُ في أيديهِمْ وتتَّصِلُ بالأغلالِ .
يُسْحَبُونَ	: يُجَرُّونَ بعنفٍ بالسَّلاسِلِ .
الحَمِيم	: الماءِ الحارِّ الذي بلغَ النهايةَ في الحَرَارةِ .
يُسْجَرُونَ	: يُوقَدُونَ في النارِ كالحَطَبِ الذي تُوقَدُ بهِ النارُ .
ضلُّوا عنَّا	: غابُوا عَنْ عيوننا .
تفرَحُونَ في الأرضِ	: تتكبَّرونَ بَطَراً واسْتِعْلاءً .
تَمْرَحُونَ	: تختالُونَ على الآخَرِينَ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ عَرْضِ بَعْضِ الأدلَّةِ على وَحْدَانيَّةِ اللهِ وقُدرَتهِ ، المَوْجُودةِ في الكَوْنِ وحياةِ الإنسانِ ، لتتحدَّثَ عنِ الكُفارِ المُصرّينَ على الكُفْرِ ، الذينَ لا يلتفتُونَ لتلكَ الأدلَّةِ ، ويَعبُدونَ غيرَ اللهِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

تدعو الآيةُ إلى التعجُّبِ مِنْ مَوْقفِ المُشركينَ ، الذينَ يُصِرُّونَ على الشِّرْكِ باللهِ معَ وُضوحِ الأدلَّةِ على وحدانيَّتِه .

ويقولُ اللهُ لرسولهِ ﷺ : ألاَ تَعْجَبُ يا مُحَمَّدُ مِنْ هؤلاءِ المُشركينَ ، الَّذينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ بالباطِلِ ، ويَحْرِصُونَ على إبطالِها ، كيفَ تُصْرَفُ عقولُهُمْ عنِ التوحيدِ إلى الشركِ باللهِ ، معَ وضوحِ الأدلَّةِ على أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ اللهُ ؟

ولقد كذَّبَ هؤلاءِ المُشركونَ بآياتِ القُرآنِ ، كما كذَّبُوا بالكُتُبِ السّابقَةِ التي أنزلَها اللهُ على رُسُلِهِ السّابقينَ عليهمُ الصّلاةُ والسّلامُ ، ولم يُؤمِنُوا بالرُّسُلِ ولا بالكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عليهم ، وسوفَ يَرَوْنَ عاقبةَ كُفْرِهِمْ وشِرْكِهِمْ وتكذيبِهِمْ . وعند ذلكَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ الحقَّ ، لكنْ بعدَ فَواتِ الأوانِ ، عِنْدَما لا يَنفعُهُم ذلكَ العِلْمُ .

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

بعدَ تهديدِ المُشركينَ المُكَذِّبينَ بالعذابِ ذَكَرَتِ الآياتُ بعضَ ألوانِ العذابِ الذي يَنتظِرُهُمْ في النَّارِ ، فزَبَانِيَةُ جهنَّمَ يَضَعُونَ القُيودَ في أعناقِهِمْ ، ويُقَيِّدُونَ أيديَهُم بالسَّلاسِلِ والحِبالِ ، وتُجْمَعُ أيديهم إلى أعناقِهِمْ ، ويُسْحَبُونَ على هذهِ الصُّورةِ الذَّليلَةِ ، لِيَدْخُلُوا في الحَميمِ المُتَناهي الحَرارَةِ ، فتنقَطِعُ أَمْعاؤُهُمْ ، وتَذُوبُ لُحُومُهُمْ ، وبعدَ ذلكَ يَخْرُجُونَ إلى النارِ فيُوضَعُون فيها ، لِيَكُونُوا وَقُودا لَها معَ الحِجارَةِ .

﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

وعندما يكونُ المُشركونَ مُعَذَّبينَ في جَهنَّمَ بينَ الحميمِ والنَّارِ ، تسأَلُهُمْ زبانِيَةُ جهنَّمَ عنْ أَصنامِهِم بهدَفِ توبيخِهِمْ وإدخالِ الحُزْنِ عليهِمْ ، وتقولُ لهُمْ : أينَ الَّذينَ كُنتُمْ تجعلُونَهُمْ آلهةً في الدُّنيا ، وتَعبُدونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ لماذا لا يَنْفَعُونَكُمْ اليومَ ، ولا يُنْقِذُونَكُمْ ممَّا أنْتُمْ فِيهِ مِنَ العَذَابِ ؟

يُجيبُ المُشركُون بذُلٍّ وندامَة : غابُوا عنّا فلم ينفعُونا وقتَ حاجتنا إليهم ، وبذلك تبيّنَ أنّنا كُنّا في الدُّنيا مُخطئين ، عندما جعلْناهُم آلهةً وعبدْناهُمْ منْ دُون الله ، وفي الحقيقة لم نكُنْ في الدُّنيا نعْبُدْ وندعُو شيئاً ينْفعُ ، فكأنّنا ما عبدْنا ولا دعوْنا شيئاً .

وقد أضلَّ اللهُ الكافرينَ لأنّهم اختارُوا الضّلالَ ، وهكذا تبيّنَ لهُمْ بُطلانُ جميع أعمالِهِمْ ، وخسارتُهُمْ في دُنياهُمْ . وهذهِ هيَ النتيجةُ التي يخرُجُ بها جميعُ الكافرين يومَ القيامةِ ، فيزدادُون حسْرةً وندامة .

﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

وبعدما تبيّنَ للكُفّار مقدارُ خسارتِهمْ بعبادةِ غيرِ الله ، تقولُ لهُمْ زبانيةُ جهنّمَ مُبيّنةً سبباً آخر لتعذيبهِمْ إضافةً إلى شرْكِهم بالله وعبادتِهم غيرَهُ ؛ فتقولُ : ومنْ أسباب تعذيبكُمْ في النّار أنّكُمْ كنتُمْ في الدُّنيا تفْرحُون فرحاً كبيراً بارتكابكُمُ المعاصيَ ، وتفْخرُون بذلك ، وكنتُم تمْرحُون وتختالُونَ ، وتتباهَوْن بالشّرْك والمعاصي .

وليسَ كُلُّ فرحٍ مُحرّماً ، فالفرحُ بمعنى السُّرور والسّعادةِ ، والرّضى بالخيْر وشُكْرِ اللهِ على النّعَم ، مُباحٌ بل مطلُوبٌ ، ولكنَّ الفرحَ الذي يقْترنُ بالتكبُّر والاستعْلاءِ ، والمُباهاةِ بالمعاصِي هُوَ المُحرّمُ الذي يقودُ إلى غضب اللهِ وعذابِهِ ، وهُوَ فرحُ الكُفّار .

وتستمرُّ زبانيةُ جهنّمَ في توبيخِهِمْ ، فتقولُ لهُمْ : ادخلُوا أبوابَ جهنّمَ السّبْعةَ ، واستقرّوا في عذابِ جهنّمَ ، خالدينَ مُخلّدينَ ، وبئسَ هذا المأوى والمسْكنُ في جهنّمَ منْزلاً تُقيمُونَ فيه مُعذّبينَ ، جزاءَ تكبُّرِكُمْ وضلالِكُمْ .

﴿ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

بعدَ تهديدِ المُكذّبينَ بالعذابِ يأتي الأمْرُ للرسولِ ﷺ بالصّبْرِ على ما يجدُهُ منْهُمْ ، ويقولُ اللهُ لهُ : اصبرْ أيُّها الرسولُ على تكذيب قومكَ لكَ وإيذائِهم ، حتى يأتيَ الفرجُ منْ عندِ اللهِ ، وقد وعدَكَ اللهُ بالنّصرِ عليهِمْ والانتقامِ منْهُمْ ، ووعْدُ اللهِ حقٌّ وواقعٌ لا ريْبَ فيهِ ، وهُوَ لا يُخْلِفُ الميعادَ .

وقد يُحقّقُ اللهُ ذلكَ الوعْدَ في حياتِكَ ، فترى النّصرَ لكَ ولدينِكَ وترى الانتقامَ منْ أعدائِكَ . وقد يتوفّاكَ اللهُ قبلَ تحقيقِ ذلكَ ، وسوف يتحقّقُ ما وعدكَ اللهُ به . وسوف يرْجعُونَ إلى اللهِ يومَ القيامةِ ، فيُعذّبُونَ العذابَ الشديدَ في جهنّمَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ الكُفَّارُ يُكَذِّبُونَ بكُلِّ كُتُبِ اللهِ ، ويكفُرونَ بكُلِّ رُسُلِه ، وبذلكَ يَستحِقُّونَ عذابَ اللهِ .

٢ـ تسألُ زبانيةُ جهنَّمَ الكُفَّارَ أسئلةً لتوبيخِهم وزيادةِ حَسْرتِهم ، فيُجيبُونَ عنها بانكسارٍ وهوانٍ .

٣ـ يتبيَّنُ للكفارِ يومَ القيامةِ مِقْدارُ ضَلالِهم وخطَئِهم في الدُّنيا في عبادتِهِمْ لغيرِ اللهِ .

٤ـ الفَرحُ المقْرونُ بالتكبُّرِ والاستعلاءِ والتفاخُرِ بالمعاصي يقودُ صاحِبَهُ إلى نارِ جَهَنَّمَ .

٥ـ على المؤمنِ الصَّبرُ على ما يُواجِهُهُ من الأذَى مَعَ اليقينِ بتَحقُّقِ وعْدِ اللهِ بنَصْرِ الحَقِّ وهَزيمةِ الباطِلِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ اذكرِ الحالةَ الذَّليلةَ التي يَدْخُلُ عليها الكُفَّارُ في النَّارِ .

٢ـ يتنقَّلُ الكُفَّارُ بين نَوعَيْنِ من العذابِ في جهنَّم . استخرِجْهُما من آياتِ الدَّرسِ .

٣ـ ما السُّؤالُ المُوجَّهُ للكُفَّارِ في النَّارِ ؟ وما جوابُهم عنهُ ؟

٤ـ استخرِجْ من آياتِ الدَّرسِ سببَيْنِ لتعذيبِ الكُفَّارِ في النَّارِ .

٥ـ متى تحقَّقَ وعْدُ اللهِ لرسولِه بالنَّصرِ ؟ اذكُرْ نماذجَ من سيرتِهِ ﷺ على ذلكَ .

نشاط :

١ـ استخرِجْ منْ سورةِ الرَّحمنِ آيتينِ تُقرِّرانِ تنقُّلَ المُجرمينَ بينَ جَهَنَّمَ والحميمِ الحارِّ ، واذكُرِ الشَّبهَ بينهُ وبينَ الآيةِ (٧٢) .

٢ـ اكتبْ في دفترِكَ عددَ أبوابِ كُلٍّ من الجنَّةِ والنَّارِ ، ودليلَ ذلك مِنَ القُرآنِ .

٣ـ تحقَّقَ وعْدُ اللهِ في حياةِ الرَّسولِ ﷺ . اذكُرْ خمسَ غزواتٍ في حياةِ الرَّسولِ ﷺ تحقَّقَ فيها هذا الوعدُ عمليًا ، واكتُبْها في دفترِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ وَالأَرْبَعُونَ

سُورةُ غَافِرٍ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

معاني المُفْرداتِ :

المُبْطِلُونَ : الكافرونَ المُتَّبِعُونَ للباطِلِ .

الأنعام : الإبلَ ، والبقَرَ ، والغنَمَ .

لِتبْلُغوا عليها حاجةً في صُدوركُمْ : لِتَصِلُوا عَلَيْها إِلىٰ ما تُريدُونَ الوُصُولَ إِليهِ وَتَحْقِيقَهُ .

الفُلْكِ : السُّفُنِ .

يُريكُم آياتِه : يُقَدِّمُ لَكُمُ الدّلائلَ على وَحْدَانِيَّتِهِ .

ما أَغْنى عَنْهُمْ : ما دفعَ عَنْهُمُ العذابَ .

حاقَ بهم : نزلَ بِهِمْ ووقعَ .

رأَوا بأسَنا : وقعَ بِهِمُ العذابُ فَرَأَوْهُ بأَعْيُنِهِمْ .

خلَتْ في عبادِه : مَضَتْ واستقرَّتْ في حَياةِ الناسِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنْ تهديدِ الكُفّارِ المُكذّبينَ للرُّسُلِ ، وعَرْضِ صُوَرِ لِعذابِهِمْ وذُلِّهِمْ يومَ القيامةِ ، لتَتَحَدَّثَ عَنْ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ التي لا تَتَخَلَّفُ ، ولفْتِ الأنظارِ لمُلاحَظةِ انطباقِها على الكُفّارِ .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

يقولُ اللهُ لرسولهِ ﷺ : لقد أَرْسَلْنا رُسُلاً وأنبياء كثيرين مِنْ قَبْلِكَ ، وجَعَلْناكَ خاتَمَهُمْ ، وقد أخبرناكَ عَنْ قَصَصِ بعضِهِمْ مَعَ أقوامِهِمْ في آياتِ القُرآنِ ، وكثيرٌ مِنْهُمْ لم نُخْبِرْكَ عنهُم ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿ورُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَليكَ مِنْ قَبْلُ ورُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَليكَ﴾ [النساء : ١٦٤] .

والرسولُ لا يُقَدِّمُ المُعْجزَةَ الدَّالَّةَ على صِدْقِهِ مِنْ عِنْدِهِ ، ولا يأتي باختيارِهِ ، فاللهُ الذي أَرْسَلَهُ هُوَ الذي يختارُ لهُ المُعْجزَةَ بحِكْمَتِهِ ، ويُظْهِرُها بمَشيئتِهِ وقُدْرَتِهِ .

ومِنْ رحمةِ اللهِ أَنَّهُ كانَ يُمْهِلُ الكُفّارَ المُكذّبينَ للرُّسُلِ إلى حينٍ ، وعندما كانُوا يُصِرُّونَ على كُفْرِهِم يُوقِعُ بِهِمُ العقابَ ، وعندما يَحينُ الوَقْتُ المُعَيَّنُ لعذابِهِمْ يقضي اللهُ بالعَدْلِ والحقِّ بينَهم ، فيُنَجِّي الرُّسُلَ وأتباعَهُمْ ، ويُهلِكُ الكافرينَ المُكذّبينَ ، وبذلكَ تظهرُ خَسارةُ أصحابِ الباطِلِ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

يرحَمُ اللهُ عبادَهُ بإرسالِ الرُّسُلِ إليهِمْ ، ويرحَمُهُمْ بالنِّعَمِ الكثيرةِ عليهِمْ ، لتيسيرِ حياتِهِمْ ، ويُذَكِّرُ عِبادَهُ بنَعْمَائِهِ عليهِمْ ، حيثُ خَلَقَ لَهُمُ الأنعامَ ، وَهِيَ الإبِلُ والبقرُ والغنمُ ، فيقولُ لهم : اللهُ هُوَ الذي ذلَّلَ لكُمُ الأنعامَ ، وجعلَكُمْ تستفيدُونَ مِنْ كُلِّ شيءٍ فيها ، فأنتُم تركبُونَ عَلَيْها ، وتَأْكُلونَ من لَحْمِها ، وتنتفعُونَ بمَنافِعِها العَديدةِ من الألبانِ والأشعارِ والأوبارِ ، وتُسافِرونَ عَلَيْها ، لِتُحقِّقُوا المَنافعَ الماليّةَ والتجاريّةَ ، ولولاها لَمَا قطَعْتُمُ المَسافاتِ البَعيدةَ ، فأنتُم تُحْمَلُونَ عليها في البَرِّ كما تُحْمَلُونَ على السُّفُنِ في البَحْرِ .

واللهُ الذي يُذَكِّرُكُمْ بإنعامِهِ عليكُمْ يُريكُمْ آياتِهِ الكثيرةَ في الأَنْفُسِ والآفاقِ ، وَهِيَ آياتٌ واضحَةٌ بيِّنَةٌ ، وكُلُّها دلائلُ وبراهينُ دالَّةٌ على وَحْدانيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، ولا يُنْكِرُها إلا مُعانِدٌ ، فما الذي تُنكِرُونَهُ

منها أيُّها الكافرونَ ؟ فليس فيها ما يُنكِرُهُ العاقلُ ذو البصيرة .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

أنكر اللهُ على المُعانِدِينَ الذين أنكرُوا آياتِ اللهِ الواضحةَ ، كما أنكرَ على الغافلينَ الَّذينَ لَمْ يَلْتفِتُوا لمَصارعِ السّابقين ، فهُمْ لَمْ يسيرُوا في الأَرْضِ ، ولَمْ يَتنَقَّلُوا في البُلدانِ ، لِيرَوْا آثارَ الكُفَّارِ السَّابقينَ ، ويَعْرِفُوا كيفَ كانَ عقابُ اللهِ لهم لمَّا كذَّبُوا رُسُلَهُ وكَفَرُوا بهِم ، كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ والَّذينَ مِنْ بعدهِم .

وقد كانَ الكُفَّارُ السّابقونَ أكثرَ عددا مِنْ كُفَّارِ قريش ، وأقْوى أجساداً منهُم ، وأكثرَ أموالاً منهم ، وأظْهَرَ آثاراً في الأرضِ ، فكانَ لهم القُصُورُ والحُصُونُ وغيرُ ذلكَ ، ولَمْ يَنفعْهُم كلُّ ذلكَ ، ولم يَدْفَعْ عنهُم عذابَ اللهِ ، وعلى كُفّارِ قريشٍ أنْ يعتبرُوا بذلك .

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

هذا تفصيلٌ لِمَا كانَ عليه الكُفَّارُ السَّابقونَ ، ولعدمِ نجاتِهم مِنْ عذابِ اللهِ عندَ حلولِه : فاللهُ بعثَ لهُمْ الرُسلَ ، وأيّدَهُمْ بالمُعجزاتِ الواضحاتِ الدالَّة على صِدْقِهِمْ ، لكنَّ الأقوامَ كذَّبُوهُمْ ، واستَغْنَوْا عنهُمْ بما عِنْدَهُمْ منَ العِلْمِ ، الذي اعتبرُوهُ أفضلَ منَ الوَحْيِ ، مَعَ أنَّهُ ليس شيئاً ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظاهِراً منَ الحَياةِ الدُّنيا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم : ٦-٧] .

وقد أنزلَ اللهُ بِهمُ العِقابَ الذي كانُوا يُنكِرُونَهُ ويَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَهُ ، ولم يَدْفَعْ عنهُمْ عِلْمُهُم ذلكَ العذابَ .

فماذا فعلُوا عندما رأَوْا بأسَ اللهِ وعَذابَهُ ؟

لقد أعلَنُوا إيمانَهُمْ باللهِ ، بعدَ أنْ أصرُّوا على الكُفْرِ والشِّرْكِ بهِ طَوالَ حياتِهِمْ ، والآنَ يقولونَ : آمنَّا باللهِ وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، وكَفَرْنا بما كُنَّا نُشْرِكُ بهِ مِنَ الآلِهَةِ والأَصْنام!

وفَعَلُوا ذلكَ في مُحَاولَةٍ منهُم للخِداعِ ، والنَّجاةِ مِنَ العذابِ ، ولكنَّ اللهَ لا يُخْدَعُ ، لأنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفى ، ولذلك لم يَقْبَلْ إيمانَهُمُ المُتأخِّرَ ، فلم يَنْفعهُمْ ذلكَ الإيمانُ ، ولم يُوقِفِ البأسَ والعَذَابَ عَنْهُم ، لأنَّ إيمانَهُمْ لم يأْتِ عَنِ اقتناعٍ تامّ ، ولم يَكُنْ في وقتِ الاختيارِ .

وسُنَّةُ اللهِ أنَّ الإيمانَ المَقْبُولَ عندَ اللهِ هُوَ الإيمانُ الاختياريُّ ، الصادرُ عن اقتناعٍ ، وفي وقْتِ

الاختيار ، أمَّا الإيمانُ الاضطراريُّ المُتأخِّرُ ، الذي يُعلِنُهُ صاحِبُهُ عندَ مُشاهدةِ العذابِ أوِ الموتِ فإنَّهُ غيرُ مقبولٍ مِنْ صَاحِبِهِ .

وهذا ما تحقَّقَ في الكُفَّارِ السَّابقينَ ، الَّذينَ لم يُقْبَلْ إيمانُهُمُ المتأخِّرُ عندَ وقوعِ العذابِ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿قالُوا يا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِيْنَ . فَمَا زالتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حتّى جعَلْنَاهُمْ حَصِيْداً خَامِدِيْنَ﴾ [الأنبياء : ١٤ـ١٥] .

ولمَّا كانَ إيمانُ الكُفَّارِ المُتَأخِّرُ لمْ ينفَعْهُمْ ، فإنَّ بأسَ اللهِ وعذابَهُ قد وَقَعَ بِهِمْ ، وَقَضى عَلَيْهِمْ ، وبذلكَ خَسِرُوا كُلَّ شيءٍ ، في دُنياهُمْ وآخِرَتِهِمْ ، بسببِ كُفْرِهِمْ وتكذيبِهِم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ عَرَّفَنَا اللهُ بأسماءِ بَعْضِ رُسُلِهِ وأَنْبيائِهِ في القُرآنِ ، ولَمْ يُعَرِّفْنا بالكَثيرِ مِنْهُم .

٢ـ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْنا بِنِعْمَةِ الأنعامِ ، لِنَسْتَفيدَ منها مَنَافِعَ مُتَعَدِّدَةً ، في الأَكْلِ والرُّكُوبِ والدِّفءِ وغيرِ ذلكَ .

٣ـ آياتُ اللهِ وأدلَّتُهُ الدالَّةُ على وحَدْانِيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ كثيرةٌ ، لا يَغْفُلُ عَنْها إلا المَطْمُوسُ على عَيْنَيهِ .

٤ـ يجبُ السَّيْرُ في الأَرْضِ والوُقُوفُ على آثارِ الكُفَّارِ السّابقينَ للاعتبارِ .

٥ـ يَسْتَغْني الكُفَّارُ بعِلْمِهِمْ ومواهبِهِمْ ، ويرفُضُونَ اتِّباعَ الحقِّ ، ويكُونونَ بذلكَ مِنَ الخَاسرينَ .

٦ـ سُنَّةُ اللهِ الثابتةُ أَنَّهُ يَقبَلُ الإيمانَ الاخْتِيَارِيَّ ، وينفعُ صاحِبَهُ ، ولا يَقبَلُ الإيمانَ الاضطراريَّ ، ولا يَنْفَعُ ذلكَ الإيمانُ صاحِبَهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأَسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ كَمْ عددُ الأنبياءِ الَّذين ذُكِروا في القُرآنِ ؟ ومَنِ الَّذين أنزلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الكُتُبَ الأربعةَ المَذْكُورةَ في القُرآنِ ؟

٢ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ أربعَ منافعَ نَأْخُذُها مِنَ الأنعامِ .

٣ـ اذكُرْ ثلاثَ آياتٍ مِمّا حَوْلَكَ تدلُّ على وَحْدَانيَّةِ اللهِ وقُدرَتِهِ .

٤ـ استخرِجْ مِنَ الدَّرسِ ثلاثَ صِفَاتٍ للكُفَّارِ السَّابِقينَ غيرَ موجودَةٍ عندَ كفّارِ قُرَيشٍ .

٥ـ ماذا يفعلُ الكُفَّارُ عند حُلول بأسِ الله بهم ؟ ولماذا لا ينفعُهُمْ ذلك الفعل ؟

٦ـ استخرِجْ منْ آياتِ الدّرسِ سُنَّة ربّانيّةً مُطّردة لا تتخلَّفُ .

نشاط :

١ـ اكتُبْ في دفترِكَ عشرة من أسماء الأنبياء والمُرسلين المذْكورين في القُرآن الكريم .

٢ـ سجِّلْ ثلاث آيات مِنْ بدايةِ سورة النّحْلِ ذكَرتِ المنافع والفوائد التي تُحقّقها من الأنعام ، واستخرِجْ تلكَ المنافع منها ، وقارِنْها بالمنافعِ المذكورة في الآية (٧٩) .

٣ـ أبرزْ ما تنطبقُ عليه هذه السُّنَّةُ فِرْعونُ ، الذي لم يقبل اللهُ إيمانه المُتأخِّر . سجِّل الآيتين من سورةِ يُونُسَ ، المُصرِّحَتَيْنِ بعدمِ قَبول إيمانهِ ، وماذا قال ؟ وماذا قيل لهُ ؟

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالأَرْبَعونَ

سُورَةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورةُ فُصِّلتْ سُورةٌ مكيّةٌ . سُمِّيتْ بذلكَ لِوُرُودِ كَلِمةِ ﴿فُصِّلَتْ﴾ فيها ، الَّتي تُخْبِرُ أَنَّ آياتِ القرآنِ قد فُصِّلَتْ ، وبُيِّنَتْ ، وُوضِّحَتْ .

وتُسمَّى أيضاً سورة حم السَّجْدَة ، لأنَّ فيها آيةَ سَجْدَة ، وافتُتِحَتْ بـ ﴿حم﴾ .

ومَوْضوعُ السُّورةِ إثباتُ أُصولِ العقيدةِ ، كباقي السُّوَرِ المَكيَّةِ ، فهي تُقرِّرُ حقيقةَ الوَحْيِ والرسالةِ ، والبعثِ والآخِرةِ ، والحِسابِ والجزاءِ ، وتُقدِّمُ الأدلَّةَ على الوَحْدانيَّةِ ، وبُطلانِ الشِّرْكِ ، وتتوعَّدُ المُشْركينَ بالعذابِ ، وتُبشِّرُ المُتَّقينَ بالنَّعيمِ .

ولمَّا بعثَتْ قريشٌ الوليدَ بنَ المغيرةِ ليُفاوِضَ رسولَ الله ﷺ كي يتوقَّفَ عن دَعْوتهِ كانَ ردُّ الرَّسولِ ﷺ أنْ تلا عليهِ صَدْرَ سُورةِ فُصِّلَتْ ، فتأثَّرَ الوليدُ بها .

معاني المُفْرداتِ :

فُصِّلَتْ آياتُهُ	بُيِّنَتْ آياتُهُ ووُضِّحَتْ .
بشيراً ونذيراً	القُرآنُ يُبَشِّرُ المُتَّقِينَ بالجنَّةِ ، ويُنذِرُ الكُفَّارَ العذابَ .
أعْرَضَ	أَدْبَرَ .
أَكِنَّةٍ	أَغْطِيَةٍ .
وَقْرٌ	صَمَمٌ وثِقَلٌ يَمْنَعُ مِنَ السَّمْعِ .
حِجابٌ	ساتِرٌ .
استَقِيمُوا لَهُ	تَوَجَّهُوا إليهِ بالإيمانِ والطَّاعةِ .
ويلٌ لِلمُشْرِكِينَ	العذابُ لِلمُشركينَ .
غيرُ مَمْنونٍ	غيرُ مقطوعٍ .

التفسيرُ :

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ .

حم : حرفان مُقطَّعانِ مِنْ حُروفِ الهجاءِ افتُتِحَتْ بهما هَذهِ السُّورةُ ، وهي السُّورةُ الثانيةُ من الحواميمِ ، وافتتاحُ بعضِ السُّوَرِ بهذهِ الأَحْرفِ لِتحدِّي المُشركينَ وإثباتِ عَجْزِهِم وتقريرِ أَنَّ القُرآنَ كلامُ اللهِ .

ولذلكَ أخبرَ اللهُ أَنَّ هذا القُرآنَ كلامُهُ ، نزَّلَهُ على رسولهِ ﷺ ، واللهُ رحمنٌ رحيمٌ ، رَحِمَ عبادَهُ ببعثةِ رسولهِ ﷺ ، لقولهِ تعالىٰ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ورَحِمَهُمْ بإنزالِ هذا القُرآنِ إليهم ليكونَ هُدىً ، ورحمةً ، ونوراً ، وضياءً لَهُم .

وقد فُصِّلَتْ آياتُ القُرآنِ ووُضِّحَتْ ، ودلَّتْ على مَعانِيها وموضوعاتِها ، وسُهِّلَتْ مَعْرِفةُ أحكامِها وحقائِقِها .

وجَعَلَ اللهُ القُرآنَ عربيّاً ، فَأَنزلَهُ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ، ولغةٍ عربيَّةٍ عاليةٍ ؛ لأَنَّ اللغةَ العربيَّةَ هي أفضلُ اللُّغاتِ وأَوْضَحُها ، فجاء القرآنُ واضِحاً مَفْهوماً مُيَسَّراً للذِّكْرِ . ويعرفُ هذه الحقيقةَ عن

القرآنِ الذينَ يعْلَمُونَ ويَعْقِلونَ ، ويتدبَّرونَ القرآنَ ، ويَفْهَمونَ معانِيَهُ .

وهذا القرآنُ ، بشيرٌ يُبَشِّرُ المُتَّقينَ بالجنَّةِ ، ونذيرٌ يُنذِرُ الكُفَّارَ النارَ ، ويُخوِّفُهُمُ العذابَ ، ويدعُوهُم للتَّخلِّي عَنِ الكُفرِ والتَّكْذيبِ .

والأَصْلُ أنْ يتَّبعَهُ الناسُ ويُؤمِنُوا بهِ ، ويَقْبَلُوا بشارَتَهُ ، ويَسْتَفيدُوا مِنْ إنذارِهِ ، لكنَّ الكُفَّارَ لَمْ يفعلُوا ذلكَ ، وإنَّما كذَّبُوا بهِ ، وأعْرَضُوا عنهُ ، وكَأَنَّهُم لم يَسْمَعُوا ما فيهِ مِنْ بُشرى وإنذارٍ ، لأنَّهُم لا يُريدونَ أنْ يتدبَّرُوا آياتِهِ .

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

لمَّا أعرضَ الكفارُ عَنِ القرآنِ أرادُوا أن يَيْأَسَ الرَّسولُ ﷺ مِنْهُمْ ، وأنْ يتوقَّفَ عنْ دعوَتِهِمْ ، لأنَّهُمْ لَنْ يستجيبُوا لَهُ . لذلكَ قالُوا لَهُ : على قُلوبِنا أغطيةٌ ، فهي لا تَفْقَهُ ما تدعُونا إليهِ ، وفي آذانِنا صَمَمٌ وثِقَلٌ يَمْنَعُها مِنْ سَماعِ كلامِكَ ، ومِنْ بينِنا وبينِكَ حِجابٌ ساترٌ ، يَمْنَعُنا من إجابَتِكَ .

وعَلَيْكَ أنْ تتوقَّفَ عَنْ دَعْوَتِنا ، واعمَلْ على طريقَتِكَ ، إننا عاملُونَ على طَريقَتِنَا ، وابذُلْ جُهْدَكَ في إهلاكِنا والقضاءِ علينا ، إنَّنا نبذلُ جُهْدَنَا في إهلاكِكَ والقَضَاءِ عَلَيْكَ .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

بعدما صَرَّحَ الكفارُ بموقِفِهِمُ النهائيِّ مِنْ رفضِ الدَّعوةِ والإصْرارِ على الكُفْرِ ، أمرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ أنْ يستمرَّ في دَعْوَتِهِمْ وترغيبِهِمْ وترهيبِهِمْ ، فقالَ لهُ : قُلْ لِقَوْمِكَ : أنا بشرٌ مِثْلُكُم ، وأنا واحدٌ منكُم ، تعرِفُونني حقَّ المَعْرِفَةِ ، ولقد اختارَني اللهُ رسولاً ، وبعَثَني إليكُمْ ، ولم يَجْعَلِ الرسولَ مَلَكاً مِنَ الملائكةِ كما تظنُّونَ ، وأنزلَ اللهُ عليَّ القرآنَ ، وقرَّرَ في آياتِهِ أَنَّما إلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ ، لا شَريكَ لهُ ، وأَمَرَكُم أنْ تُوَحِّدُوهُ ، ولا تُشْرِكُوا بهِ شَيْئاً ، وأنْ تَستقيمُوا على طاعَتِهِ ، وتُخْلِصُوا في عبادَتِهِ ، وتَسْتَغْفِروهُ وتتوبُوا إليهِ ، فإنْ فَعَلْتُمْ ذلكَ كُنْتُم منَ المُفْلِحينَ .

ويُتابِعُ الرَّسُولُ ﷺ كلامَهُ مَعَ قومِهِ ، فيُهَدِّدُ المُشركينَ المُصرِّينَ على الكُفْرِ بالعذابِ ، ويقولُ لهم : الوَيْلُ والهلاكُ والخسارةُ والدَّمارُ والعَذابُ للمُشْرِكينَ ، الذينَ أشرَكُوا مَعَ اللهِ آلهةً أُخرىٰ .

وقدْ أضافُوا إلى جريمةِ الشِّرْكِ جريمَتَيْنِ قبيحتَيْنِ : فهم لا يُؤْتُونَ الزكاةَ التي أَوْجَبَهَا اللهُ في أموالِهِم للفُقَراءِ والمَساكِينِ ، وَهُمْ كافرونَ بالآخِرَةِ ، مُنْكِرُونَ للبَعْثِ والحِسابِ والجَزاءِ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

بعدَ وعيدِ الكفارِ وتَهْديدِهم وَعَدَ المُؤْمنينَ بالثَّوابِ ، مِنْ بابِ قَرْنِ الترغيبِ بالترهيبِ ، فالذينَ

كانُوا في الدنيا مُؤمنين مُطيعين ، مُستقيمين على شرعِ الله ، يُكثِرُون مِن الأعمالِ الصَّالحةِ يُفلِحُون ويفوزون يوم القيامة ، سوف يُدخِلُهمُ اللهُ الجنّة ، ويُعطيهمْ فيها أجرَهُمْ وثوابَهُمُ الدائمَ المُستَمِرَّ الذي لا ينقطِعُ ولا ينفدُ ولا ينتهي ولا يزولُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروس وَعِبَرٍ كثيرة منها :

١ـ مَصْدرُ القُرآن هُو اللهُ الرَّحمنُ الرَّحيمُ ، وليس كما يَقُولُ الكُفَّار أنَّهُ مكذوبٌ مُفْتَرىً .

٢ـ رحمنا اللهُ بالقرآنِ ، وجَعلهُ كتابَ هداية ورحْمة .

٣ـ آياتُ القرآنِ مُفصّلةٌ مبيّنةٌ واضحةٌ الدّلالةِ على الأحكامِ والموْضوعاتِ والمَعاني .

٤ـ القرآنُ يقرنُ بين التّبشير للمُؤمنين والإنذارِ للكافرين ، ويجْمعُ بين التَّرغيبِ والتّرهيبِ .

٥ـ الرّسولُ ﷺ بشرٌ ، ميّزهُ اللهُ على غيرِه بالنُّبُوّة .

٦ـ كلمةُ « لا إله إلا اللهُ » كلمةٌ جامعةٌ للدِّين كُلِّه .

٧ـ الكفارُ مُعْرِضُون عن القُرآن عنادًا واستكبارًا

٨ـ أجرُ المُؤمنين وثوابُهُمْ في الجنّة مُستمرٌّ ، ونعيمُهُم فيها دائمٌ لا ينفدُ ولا يتوقَّفُ .

التَّقويمُ :

أجب عن الأسئلة الآتية :

١ـ لماذا وصفَ اللهُ نفسهُ بالرّحْمة في أثناء حديثه عن إنزالِ القرآنِ ؟ .

٢ـ استخرجْ منْ آياتِ الدّرْس خمْسَ صفات وصفَ اللهُ بهما القرآنَ .

٣ـ ما الحُجُبُ الثلاثةُ التي صرّح بها الكفارُ بأنّها تحجُبُهم عن القرآنِ ؟

٤ـ ما الصّفتان اللّتان وصف الرّسولُ ﷺ نفْسهُ بهما ؟

٥ـ اذكرْ خُلاصة دعْوة الرسول ﷺ ، التي أوْصى اللهُ بها إليه .

٦ـ طلب الرّسُولُ ﷺ من الكفّار طلبين ، استخْلصْهُما من الآيةِ السّادسَةِ .

٧ـ ما معنى أنّ أجرَ المُومنين غيرُ ممْنون ؟

نشاط :

١ـ سجِّلِ الآيةَ الأُولى مِنْ سُورةِ هودٍ . وبيِّنْ مَعْناهَا . واذكُرِ الشَّبَهَ بينَهَا وبينَ الآيةِ (٣) .

٢ـ سجِّلِ الآيةَ الأَخِيرةَ مِنْ سُورةِ الكَهْفِ ، واذكُرْ وجهَ الشَّبهِ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٦) . واستخرِجْ منها شَرْطَينِ لِقَبولِ العَمَلِ عندَ اللهِ .

٣ـ تتبَّعْ آياتِ القرآن في « المُعْجَمِ المُفَهْرِسِ لألفاظِ القُرآنِ الكَرِيْمِ » واستخرِجْ منهُ الآياتِ التي وَرَدَتْ فيها عبارَةُ ﴿أَجْر غَيْر مَمْنون﴾ واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامِسُ والأربعونَ

سُورةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ الثَّاني

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

أنداداً : شُركاءَ .

رواسيَ : جبالاً ثوَابتَ .

باركَ فيها : كثَّرَ خَيْراتِها .

قدَّرَ فيها أقواتَها : قسَّمَ أقواتَ المَخْلُوقينَ .

سواءً : أربعةَ أيامٍ مُستويَةً كاملةً لا تنقصُ ولا تزيدُ .

استوى إلى السَّماء : قَصَدَ وعَمَدَ إلى السَّماءِ .

ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً : اخضَعا لي طائعتَيْنِ أو مُكْرَهتَيْنِ .

قضاهُنَّ : صَيَّرَهُنَّ وأكملَهُنَّ وفرغَ مِنْهُنَّ .

أوحىٰ في كلِّ سماءٍ أمرَها : رتَّبَ في كُلِّ سماءٍ ما تَحْتاجُ إليهِ .

زَيَّنَّا : جَمَّلْنا .

مصابيحَ : نُجُوماً .

حِفْظاً : حَفِظْنا السَّماءَ من استراقِ الشياطينِ للسَّمْعِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنِ الوَحْدانيّةِ ، وتهْديدِ المُشْرِكينَ بالعَذابِ ، إلى الحديثِ عن خلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ ، وفي ذلك دَلالَةٌ على كَمالِ قُدرةِ اللهِ وحِكْمتِه ، وأنَّهُ لا إلهَ إلا هُوَ .

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾

يَأْمُرُ اللهُ رسُولَهُ ﷺ أن يُنْكِر على قومهِ كُفْرَهُمْ باللهِ ، مع قيام الأدلَّةِ على وَحْدانيّتِهِ ، ويقولُ لَهُمْ : كيفَ تَكْفُرُونَ باللهِ ، وتجْعَلُونَ لهُ أندادا وشُركاءَ ، مع أنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الخالقُ ، وكلُّ ما سِواهُ مخلوقٌ لا يَصْلُحُ أنْ يكونَ إلهاً ؟

اللهُ الخالِقُ خَلَقَ الأرْضَ في يوْمَيْنِ ، ولم يُشارِكْهُ أحدٌ في خَلْقِها ، فهو الإلهُ وحْدَهُ ، وهوَ ربُّ العالمينَ وحْدَهُ ، فكيف تكْفُرون به وتجعلُون لهُ شركاء ؟

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

خلَقَ اللهُ الأرضَ في يوْمينِ لأنّها هي الاساسُ ، ثم دحا اللهُ هذه الأرض ومدّها وبَسَطَها ، وجعلَ فيها خَيْراتِها وأقواتها ليسْكُنَ الناسُ عليها ، كما قال تعالىٰ : ﴿والأرض بعدَ ذلكَ دحَاها، أخْرجَ منها ماءَها ومَرْعاها، والجِبالَ أرْساها﴾ [النازعات : ٣٠-٣٢] .

وبعْدَما دَحا اللهُ الأرضَ جعلَ فيها الجبالَ لتُثبّتَها وتحْفَظَ توازُنَها ، فهي رواسي لها لئلاّ تميدَ وتضطرِبَ بأهلِها ، وهي أوتادٌ تُثبّتُها كما تُثبتُ الأوتادُ الخَيْمةَ .

وباركَ اللهُ في الأرضِ ، وجعلَها مُباركةً كثيرةَ الخَيْرِ ، ينتفعُ العبادُ بما فيها منْ خيْراتٍ من هواءٍ وماءٍ وزروعٍ وثمارٍ .

وقدَّرَ اللهُ فيها أرزاقَ المخلوقاتِ التي ستعيشُ عليْها مِنَ الإنسِ والجنِّ والحيوانِ والطَّيْرِ ، وجَعلَ في بقاعِها مُختلفَ أنواعِ الطَّعامِ والشَّرابِ والغذاءِ .

وجعلَ اللهُ هذا كُلَّهُ في يومينِ آخَرينِ ، يُضافانِ للْيومَيْنِ السَّابقين في خلْقِ الأرضِ ، فيكونُ المَجْموعُ أرْبَعةَ أيامٍ كامِلةً تامَّةً : يَوْمَيْنِ لِلْخَلْقِ ، وَيَوْمَيْنِ لتقديرِ الأقواتِ والأرزاقِ والبَرَكاتِ .

وَذَكَرَ اللهُ هذا ليكونَ جوابا للسّائلينَ الذين سَيَسْأَلون عنْ خَلْقِ الأرضِ ، وعندما يسْمَعون هذه الآياتِ يعْلَمونَ أنّ اللهَ خلَقَها في أربعةِ أيامٍ .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ .

لقد خلقَ اللهُ السَّماءَ خَلْقاً أوليّاً ، وَجعلَهَا دُخاناً ، وبعدَما خلقَ الأرضَ وَقدَّرَ فيها أَقْواتَها في أربعةِ أيامٍ ، قَصَدَ وعَمَدَ إلى السّماءِ وهِيَ دُخانٌ ، فَجَعَلَهَا سَبْعَ سَمَـٰواتٍ طِباقاً ، وذلكَ في يومينِ اثنينِ .

وبذلكَ يكونُ قَدْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيامٍ .

ولمَّا أَتمَّ اللهُ خَلْقَ السَّماءِ والأرضِ أَمَرَهُما أَنْ تخضَعا وتَنْقادا لهُ ، وقالَ لهُما : استجيبَا لأمري واخْضَعَا لي ، سواءٌ كنتُما طائِعَتَيْنِ أو كارِهَتَيْنِ ، لأنَّهُ لابُدَّ مِنَ الخُضوعِ لأمري .

فأجابَتا قائِلَتَيْنِ : نحنُ نَخْضَعُ لكَ طائِعِينَ ، لأنَّهُ ما يكونُ لَنا أَنْ نتمرَّدَ عَلَيْكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ .

وكما قدَّرَ اللهُ في الأرضِ أقواتَها ، ورتَّبَ أمورَها ، رتَّبَ في كُلِّ سماءٍ أَمْرَها ، وَجَعَلَ فيها ما يُصْلِحُهَا ، والأُمورَ التي أرادَ أَنْ تكونَ فيها ، وَأَوْجَدَ فيها ما شاءَ مِنَ الملائكةِ العابدينَ لهُ .

وزيَّنَ السّماءَ الدُّنيا التي هي سَقْفٌ محفوظٌ للأرضِ بالكَواكِبِ ، وَجَعَلَها مُضيئَةً في اللَّيلِ ، لتزدادَ في أَعْيُنِ الناسِ جَمَالاً ، وَوَضَعَ فيها الشَّمسَ والقمرَ وسائرَ النجومِ والأفلاكِ .

ومن وظائفِ النجومِ إضافةً إلى كونِها مصابيحَ مضيئةً ، أَنَّهُ يَحْفَظُ بها أَمْرَ السَّماءِ ، فعندما تُحاوِلُ الشياطينُ الصُّعودَ إلى السَّماءِ لِتَسْتَرِقَ السَّمْعَ ، وتأخُذَ بعضَ أخبارِ الغَيْبِ لِتُلقِيَها إلى أعوانِهم من الكَهَنةِ ، فإنَّها تُقْذَفُ بتلكَ النجومِ الحَارِقةِ كما قالَ تعالىٰ : ﴿إِنَّا زينَّا السماءَ الدُّنيا بزينةٍ الكَوَاكِبِ ، وحفظاً مِنْ كلِّ شيطانٍ ماردٍ ، لا يَسَّمَّعُونَ إلى الملأ الأعلى ويُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، دُحُوْراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات : ٦-٩] .

وذلكَ النظامُ البديعُ الذي أَوْجَدَ اللهُ بهِ السَّماواتِ والأرضَ ، هُوَ مِنْ تقديرِهِ وتَنْظيمِهِ سُبحانَهُ ، وهوَ العزيزُ الذي أَخْضَعَ الكَوْنَ لهُ ، العليمُ بكُلِّ شيءٍ فيهِ ، وَهذا دالٌّ على وَحْدانيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ وعَظَمَتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ خَلَقَ اللهُ الأرضَ في يَوْمَيْنِ ، وقدَّرَ فيها أقواتَها في يومينِ ، وَخَلَقَ السّماواتِ السبْعَ في يومينِ ، فكانَ مَجْمُوعُ خَلْقِ السّماواتِ والأرضِ في ستَّةِ أيامٍ .

٢ـ جعلَ اللهُ الأرضَ صالحةً لإقامةِ الناسِ عليْها ، ووَضعَ فيهَا خيْراتِها وأرزاقَها وأقواتَها .

٣ـ كانتِ السّماءُ دُخاناً ، فعَمَدَ اللهُ إليها وجَعلَها سَبْعَ سماواتٍ ، وزيَّنَها بالكواكِبِ والنُّجومِ .

٤ـ السّماواتُ والأرضُ خاضعةٌ للهِ مُنفِّذةٌ لأمْرِهِ ، مُطيعةٌ لهُ ، لا تتمرَّدُ عليه .

٥ـ وجودُ السّماواتِ والأرضِ مِنَ أوضحِ الأدلَّةِ على وَحْدانيّةِ اللهِ وقُدْرتِهِ وعظَمتِهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ كيفَ تُوَفِّقُ بينَ آياتِ الدّرسِ وآياتِ سُورةِ النّازعاتِ حوْلَ خَلْقِ السّماءِ والأرضِ ، أيُّهُما كانَ قَبْلُ ؟

٢ـ كَمْ كانَ مجموعُ الأيامِ التي خَلقَ اللهُ بها السّماواتِ والأرضَ ؟ ظاهرُ الجَمْعِ في آياتِ السّورةِ كانَ ثمانيةَ أيامٍ . كيفَ تُوفِّقُ بينَها وبينَ سُورةِ (ق) ؟

٣ـ ما معنى قولهِ ﴿ثُمَّ استوىٰ إلى السَّمَاءِ﴾ ؟ وكيفَ كانتِ السّماءُ لمّا استوى اللهُ إليها ؟

٤ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ ثلاثةَ أشياءَ جعَلَها اللهُ في الأرضِ قبلَ أن يَسْتَوِيَ إلى السّماءِ .

٥ـ اذْكُرِ الأَمْرَ الّذي وجَّهَهُ اللهُ للسّمَاواتِ والأَرْضِ ، وجوابَهُما عَنْهُ ، وماذا تأخذُ دَلالةً على ذَلكَ مِنَ الجَوابِ ؟

٦ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ وظيفتينِ للكواكبِ . واستشهدْ على ذَلِكَ بآياتِ سورةِ الصافّاتِ .

٧ـ كيفَ تستدلُّ بخلقِ السّماواتِ والأرضِ على وَحْدانيّةِ اللهِ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سُورةِ الأنبياءِ تُخبرُ أَنَّ الجبالَ رَواسِيَ وتَذْكُرُ وظيفَتَها في حِفْظِ توازُنِ الأرضِ ، وآيةً مِنْ سورةِ النّبأ تُخبرُ أَنَّ الجبالَ أوتادٌ .

٢ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سُورةِ (ق) تُصرِّحُ بأَنَّ اللهَ قد خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ في سِتّةِ أيامٍ . ووفِّقْ بينَها وبينَ هذهِ الآياتِ (٩ـ١٢) .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ والأربعونَ

سُورَةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

إِنْ أَعْرَضُوا	: إِنْ تَركُوا الإيمانَ وأصرُّوا على الكُفرِ .
صاعقةً	: عَذَاباً .
مِنْ بينِ أيديهم ومِنْ خَلْفِهم	: مِنْ قَبْلِهم ومِنْ بَعْدِهِمْ .
استكبرُوا في الأرضِ	: تكبَّرُوا على الآخرينَ وظَلَمُوهُمْ .
يَجْحَدُونَ	: يُنكِرُونَ ويُكَذِّبُونَ .
رِيْحاً صَرْصَراً	: ريحاً باردةً شَدِيدَةَ البُرودةِ .
أيام نَحِسَاتٍ	: أيامٍ مَشْؤومَاتٍ عليهِمْ .
عذابَ الخِزْيِ	: عذابَ الذُّلِّ .
هَدَيْنَاهُمْ	: بيّنّا لهم طريقَ الهُدَى والحَقِّ .
استحبُّوا العَمَىٰ	: اختارُوا الكُفْرَ .
صاعقةُ العَذَابِ	: الصَّيْحَةُ التي أَهْلَكَهُمُ اللهُ بها .
الهُونِ	: المُذِلِّ المُهِينِ .

التفسير :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ ، وخَلْقِهِ السّماواتِ والأرضَ ، إلى الحديثِ عَنْ كُفرِ المُشركينَ وإعراضِهِمْ عَنِ الحَقِّ .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

يأمرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يُهَدِّدَ الكُفّارَ بالعَذابِ ، إنْ أصرُّوا على تَكْذيبِهِمْ وإعراضِهِمْ عَنِ الحَقِّ ، ويقولُ لَهُمْ : أنا لكُمْ نذيرٌ مُبينٌ ، فإنْ أعْرَضْتُمْ عمَّا جِئْتُكم بهِ مِنْ عندِ اللهِ ، فإني أُنذِرُكُمْ وأُحذِّرُكُمْ وأُخوِّفُكُم عَذاباً شَديداً يُوقِعُهُ اللهُ بكُمْ ، وَهُوَ مُشابِهٌ للصّاعِقَةِ التي أهلكَ اللهُ بها عاداً وثمودَ مِنْ قَبْلِكُمْ .

وَقَدْ أَهْلَكَ اللهُ عاداً وثمودَ بَعْدَ ما أقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ ، فقدْ بَعَثَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ رسولاً ، إضافةً للرُّسُلِ الذينَ بَعَثَهُم للذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، ولكنَّهُمْ كذَّبُوا رُسُلَهُمْ كما كذَّبَ الذينَ مِنْ قبلِهِم .

ولمَّا بَعَثَ اللهُ الرُّسُلَ لَهُمْ كذَّبُوهُمْ ، وَاعترضُوا على بَشَرِيَّتِهِمْ ، وقالُوا لَهُمْ : لم يَبْعَثْكُمُ اللهُ رُسُلاً إلينا ، ولو شاءَ اللهُ أنْ يُرْسِلَ رُسُلاً لأنزَلَ علينا مَلائِكَةً مِنَ السَّماءِ ، ونحنُ كافرونَ بما أُرْسِلْتُمْ بهِ ، مُنكِرُونَ لنبوَّتِهِ ، لأنَّكُمْ كاذِبُونَ في دَعْواكُم .

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

كذَّبَ عادٌ رسولَهُمْ ، واستكبرُوا في الأرضِ ، واستَعْلَوْا على الآخَرِينَ ، وتَكَبَّرُوا عنِ الإيمانِ واتِّباعِ الحَقِّ ، وبَغَوْا وظلَمُوا ، واعتزُّوا بقوَّتِهم ، وقالُوا : مَنْ أَشَدُّ منَّا قُوَّةً ؟ ومَنِ الذي يستطيعُ قَهْرَنَا وغَلَبَتَنا ؟

وقد وبَّخَهُمُ اللهُ لاغترارِهم بقوَّتِهِمْ ، فنَسوا قُوَّةَ اللهِ الذي خَلَقَهُم ، فَمَهْما بَلَغُوا مِنْ قُوَّةٍ لا يستطيعُونَ أنْ يَقِفُوا أمامَ قُوَّةِ اللهِ ، لأنَّهُ هُوَ القَوِيُّ الظاهِرُ الغالِبُ .

ودفَعَهُمُ الاغترارُ بقوَّتِهِمْ إلى تكذيبِ الرُّسلِ وإنكارِ مُعجزاتِهِمْ ، والجُحُودِ بآياتِ اللهِ ، وبذلكَ استحَقُّوا عذابَ اللهِ .

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

عاقبَ اللهُ القويُّ قومَ عادٍ عِقاباً شَدِيداً ، فأرسلَ عليهِمْ رِيحاً شَدِيدَةَ البُرودَةِ ، وسخَّرَها عليهِمْ

في أيامٍ نَحِسَاتٍ مَشْؤُوماتٍ مُتَتابِعاتٍ ، استمرّتْ سَبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ . كما قالَ تعالى : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أيامٍ حُسُوْمَاً﴾ [الحاقة : ٧] .

وبذلكَ أذاقَهُمُ اللهُ عذابَ الخِزْيِ والذُّلِّ والهَوانِ في الحَياةِ الدنيا . وإنَّ عذابَ الآخِرَةِ الذي ينتظرُهُمْ في النارِ هُوَ أشدُّ إذلالاً وهواناً . هناكَ لا يَجِدُونَ نَاصِراً يَنْصُرُهُمْ ، كما أَنَّهُمْ لم يَجِدُوا في الدنيا مَنْ يُنْقِذُهُمْ مِنْ عذابِ اللهِ .

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

لقد بيَّنَ اللهُ لثمودَ طَريقَ الحقِّ ، وأرشدَهُمْ إليهِ ، ولكنَّهُمْ رَفضُوا ذلكَ ، واختارُوا الكُفْرَ على الإيمانِ ، وفضَّلُوا العَمَى على الهُدَى ، وكذَّبُوا رَسُولَهُمْ ، وبذلكَ استحقُّوا العِقابَ مِنَ اللهِ .

فأرْسَلَ اللهُ عليهِمْ صَاعِقَةً صَعَقَتْهُمْ وأَهْلَكَتْهُمْ ، وبذلكَ عُذِّبُوا عذابَ الذُّلِّ والهَوانِ بسببِ جرائِمِهِمْ وتكذيبِهِمْ بالحَقِّ واختيارِ الكُفْرِ على الإيمانِ .

وأكرمَ اللهُ رسولَهُ وأتباعَهُ المُؤْمنينَ المُتَّقينَ ، فأنْجَاهُمْ مِنَ العَذَابِ الذي أصَابَ قَوْمَهُمُ الكافِرينَ .

وهذهِ هي سُنَّةُ اللهِ في إهلاكِ الكافِرينَ المُكذِّبينَ وإنجاءِ المُؤمِنينَ المُتَّقينَ ، لابُدَّ أنْ يَعرِفَها الناسُ ليَنجُوا مِنَ العَذَابِ باختيارِ طَريقِ الإيمَانِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ يجبُ تَحْذيرُ المُخَالِفينَ مِنَ العَذَابِ ، ولَفْتُ أنظارِهم إلى ما أصابَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .

٢ـ يُقِيمُ اللهُ الحُجَّةَ على الناسِ ، بما يُقدِّمُ لَهُمْ مِنْ دَلائلَ وَبَرَاهِينَ على الحَقِّ ونَقْضِ البَاطِلِ .

٣ـ الاستكبارُ والاغترارُ بالقُوَّةِ وظُلْمُ الآخرينَ يقودُ إلى الدَّمارِ والهَلاكِ ، كما حَصَلَ لقومِ عادٍ .

٤ـ يَنْتَقِمُ اللهُ مِنَ المتكبِّرينَ المُتجبِّرينَ ، ويَجْعَلُ قُوَّتَهُمْ ضَعْفاً وَعَجْزاً ، ويُوقِعُ بِهِمُ الخِزْيَ والذُّلَّ .

٥ـ الكُفَّارُ مَطْمُوسٌ على قُلوبِهِمْ ولِذلكَ يَرْفُضُونَ الهُدىٰ والخَيْرَ ، وَيَخْتَارُونَ الكُفْرَ والعَمَى والهَلاكَ .

٦ـ جَعَلَ اللهُ إِهلاكَ عادٍ وثمودَ عِبْرَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ ، ودَرْساً لابُدَّ أَنَّ يَعْلَمَهُ الناسُ لِيَحْذَرُوا العذابَ .

٧ـ إِهلاكُ الكُفّارِ وإِنجاءُ المُؤمنينَ المُتَّقينَ سُنَّةٌ ربّانيَّةٌ لا تتغيَّرُ ولا تَتَبَدَّلُ .

التَّقويمُ :

أجبْ عَنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ لماذا ذُكِرَتْ قِصّةُ عادٍ وثمودَ في آياتِ الدَّرْسِ ؟ وماذا أُمِرَ الرَّسُولُ ﷺ أنْ يقولَ لِقَوْمِهِ عَنْهُمْ ؟

٢ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدرسِ اعتراضَ السَّابقينَ على رُسُلِهِمْ ، والقَرارَ الذي أخبرُوْهُمْ بهِ .

٣ـ أ ـ بماذا اغترَّ قومُ عادٍ ؟

ب ـ وماذا قالُوا ؟ .

جـ ـ وبماذا ردَّ اللهُ عليهِم ؟

٤ـ ما موقفُ قوم ثمودَ مِنَ الهُدَى ؟ وعلى ماذا يدلُّ ذلكَ ؟ وكيفَ كانَ عذابُهُمْ ؟

٥ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدرسِ سُنَّةً ربّانيةً مُطَّرِدَةً بشأنِ الكُفّارِ والمُؤمنينَ .

٦ـ ما معنى كلٍّ ممَّا يلي : ريحاً صَرْصَراً ، أيام نَحِسَاتٍ ، عذابَ الخِزْيِ ، استحَبُّوا العَمى ، صاعقةَ العَذَابِ الهُوْنِ .

٧ـ أَهْلَكَ اللهُ قومَ عادٍ في أيامٍ عِدَّةٍ ، وأَهْلَكَ ثَمودَ في لحْظَةٍ عندما أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الصَّيْحةَ . عَلامَ يَدُلُّ ذلك ؟

نشاط :

سجِّلْ آياتٍ مِنْ سُورةِ الفَجْرِ تُخبرُ أَنَّ عاداً كانُوا أكثرَ الناسِ قُوَّةً . وسجِّلْ آياتٍ مِنْ سُورةِ الشعراءِ تذكُرُ بعضَ مظاهرِ قُوَّتِهِمْ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالأَرْبَعُونَ

سُورَةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ الرَّابِعُ

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

يُوزَعُونَ : يُساقُونَ بترتيبٍ وتَنْظيمٍ ، بأنْ يَحْبِسَ أَوَّلَهمْ لِيَلْحَقَ بِهِمْ آخِرُهُمْ .

شَهِدَ عليهِمْ : نَطَقَ مُخبراً بما كانوا يَفْعَلُونَ .

تَسْتَتِرُونَ : تَخْتَفُونَ عِندَ ارتكابِ المَعاصي .

أَرْداكُمْ : أهلَكَكُمْ .

مثوًى : مكانُ إقامةٍ دائمةٍ .

يَسْتَعْتِبُوا : يَطلُبُوا العُتْبى ، والرِّضا ، والعَفْوَ .

المُعْتَبِينَ : المقبولُ عَتَبُهم ، المَرْضِيُّ عَنْهُمْ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ عَذَابِ بَعْضِ الكُفَّارِ السَّابقينَ في الدُّنيا إلى عَرْضِ بَعْضِ مشاهِدِ الخِزْيِ والإذلالِ للكفارِ في الآخِرَةِ ، إذْ سَتَشْهَدُ عليهِمْ حَوَاسُّهُمْ وأعضاءُ أجسامِهِمْ .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ ﴾ .

تَتَحدَّثُ الآيَةُ عَنْ حَشْرِ الكفار وسَوْقِهِم إلى جَهَنَّمَ ، وذلكَ بعدَ بَعْثِهِمْ أحياءً مِنْ قُبُورِهِمْ يومَ القيامةِ ، إذْ تسوقُهُمُ المَلائِكَةُ سَوْقاً بإذلالٍ وَهَوانٍ ، ويكونُ حشرُهُمْ بتنظيمٍ وَترتيبٍ ، فيُوقفُ أوَّلُهُمْ لِيَلْحَقَ بِهِمْ آخرُهم ، وَيَجْتَمِعُوا وَيَتَلاحَقُوا ، ويسيرُوا مَعاً ، حتى يَصِلُوا إلى ساحةِ العَرْضِ ، حيثُ الحسابُ والسّؤالُ ثُمَّ الجَزاءُ والعِقابُ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ ﴾ .

تَحْشُرُ المَلائِكَةُ أعداءَ اللهِ الكفّارَ ، وتسوقُهم إلى النّارِ ، ويُوقَفُونَ عَلَيْها ، ويبدأُ حِسَابُهُمْ ، وتُعرَضُ عليهِمْ أعمالُهُمْ ، وتُقَدَّمُ لَهُمْ كُتُبُهم ، فإذا بِهَا لا تَتْرُكُ شيئاً مِمَّا قالُوهُ أو فَعَلُوهُ في الدُّنيا ، فيُحاولونَ أنْ يُنكِرُوا بَعْضَ جرائِمِهِمْ .

عندَ ذلكَ يأمُرُ اللهُ سَمْعَهُم وأبصارَهُمْ وجلودَهُمْ أنْ تَنْطِقَ ، وتَشهَدَ بِمَا كانوا يَعْمَلُونَ في الُدنيا مِنْ كُفْرٍ ومَعَاصٍ ، فَتَنْطِقُ وتُقَدِّمُ شَهادَتَها عليهِمْ . تَقُولُ الأُذُنُ : سَمِعْتُ . وتقولُ العينُ : رأيتُ . وتقولُ اليدُ : لَمَسْتُ وفعَلْتُ .

ويتفاجأُ الكُفَّارُ بهذهِ الشَّهاداتِ الصَّادِقَةِ الصَّادرَةِ عَنْ حواسِّهِمْ ، التي تُدِينُهُمْ ، ويأخذُونَ في لَوْمِ هَؤُلاءِ الشُّهودِ مِنَ الحَواسِّ قائِلينَ : لماذا شَهِدْتُم عَلينا ؟ وكانتْ شهادَتُكُمْ إدانةً لنا ؟ ونحنُ نريدُ مَصْلَحَتَكُمْ ونَجاتَكُمْ مِنَ العَذابِ ؟

فتُجيبُهُمْ أعضاؤُهُمْ قائِلَةً : أنطَقَنا اللهُ بقُدرتِهِ ، وهوَ الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ مِنْ مَخْلُوقاتِهِ ، فكما جعَلَ ألسنتَكُمْ تَنطِقُ في الدُّنيا ، جعَلَنَا نَنْطِقُ في الآخِرَةِ ، وعندَ ذلكَ اعترفْنا بِمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ في الدُّنيا .

وتَسْتَأْنفُ الأعضاءُ كَلامَها مَعَ الكُفَّارِ وتُقَرِّرُ لَهُمْ قُدرةَ اللهِ ، فتقولُ لَهُمْ : اللهُ الذي خلقَكُمْ أوَّلَ مرَّةٍ في الدّنيا ، وَهُوَ الذي بعَثَكُمُ اليومَ ، وأَرْجَعَكُمْ إليهِ ، وأوقَفَكُمْ بينَ يديهِ .

روى مسلمٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : « كُنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فضحِكَ ، فقالَ : « هَلْ تَدْرُونَ ممَّ أضحكُ ؟ قال : قُلْنا : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ . قالَ : « مِنْ مُخاطَبَةِ العَبْدِ ربَّهُ! يقولُ : يا ربِّ ، ألم تُجِرْني من الظُّلْمِ ؟ قالَ : يقول : بلى ، قال : فيقولُ : فإني لا أُجيزُ على نَفْسِي إلا شاهداً مني ، قال : فيقولُ : كفى بنفسكَ اليومَ عليكَ شهيداً ، وبالكرام الكاتبينَ شُهوداً . قال : فيخْتِمُ على فيهِ ، ويُقالُ لأَرْكانِهِ : انْطِقي ، قال : فتنطِقُ بأعمالِهِ قال : ثم يُخَلّى بينَهُ وبينَ الكلامِ ، قال : فيقولُ : بُعداً لكُنَّ وسُحْقاً ، فعنكُنَّ كُنْتُ أُناضِلُ »[1] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزهد . باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر . حديث رقم (٢٩٦٩) .

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

عندما تردُّ أعضاءُ الكفار على اسْتِغْرابِهِمْ مِنْ شَهَادَتِها عَلَيْهِمْ بِأَنَّ اللهَ أَنْطَقَها ، يُقالُ لَهُمْ مِنْ بابِ التَّوبيخِ والتَّأنيبِ : عندما كُنْتُمْ تعملُونَ المَعَاصِيَ في الدُّنيا لَمْ تكونوا تَسْتَتِرُونَ وتستَخْفُونَ حَذَراً مِنْ شَهَادَةِ أعضائِكُمْ وجَوارِحِكُمْ عليكُمْ ، وإنما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ لأنكمْ كنتمْ تظنُّونَ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ بِحَالِكُمْ إذا قُلْتُمْ أو فَعَلْتُمْ سِرّاً ، ولا يَعْلَمُ بِكُمْ ربُّكُمْ إلا حَالَ إعلانِكُمُ القَوْلَ والفِعْلَ ، ولَوْ كنتُم تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليقينِ بأنَّ اللهَ لا يَخفىٰ عليهِ سِرُّكُمْ وجَهْرُكُمْ لاتَّقيتُمُوهُ ، ولَما وقَعْتُمْ فيما وَقَعْتُمْ فِيهِ .

وكانَ عليكُمْ أنْ تعلَمُوا أَنَّ اللهَ رقيبٌ عَلَيكُمْ ، لا يَخْفَى عَلَيهِ شيءٌ مِنْ أَعْمالِكُمْ ، ولكنَّكُمْ لم تفعلُوا ذَلِكَ وظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كثيراً مِنْ أعمالِكُمْ ، وهذا جرَّأكُمْ على المَعَاصِي ، فسارَعْتُم فيها ، وأكثرْتُمْ مِنْهَا ، وهذا الظنُّ الباطلُ مِنْكُمْ أهلَكَكُمْ وأوْقَعَكُمْ في النَّارِ ، وكنتُمْ بذلكَ مِنَ الخَاسِرينَ الذينَ خَسِرُوا كُلَّ شيءٍ في دُنياهُمْ وآخِرَتِهِمْ .

﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

بعدَ الشهادةِ على الكُفَّارِ مِنْ أَعْضائِهِمْ ، وتَوْبيخِهِمْ على سُوءِ ظَنِّهم باللهِ ، يَأمُرُ اللهُ بِإدخالِهِمُ النارَ ، ليُعذَّبُوا فيها مُخلَّدِينَ ، وَسَوَاءٌ عليهِمْ صبرُوا أم لم يصبرُوا ، فإنْ صبرُوا على عذابِ النّارِ فإنَّهُ مُلازِمٌ لَهُمْ ، لا يُخفَّفُ ولا يُرْفَعُ عنهُمْ ، وإنْ لم يصبرُوا عليهِ فَهُوَ مُلازِمٌ لَهُمْ أيضاً .

وإنْ قدَّموا أعذاراً عَنْ جرائِمِهِمْ في الدُّنيا ، وطَلَبُوا أنْ تُقبَلَ أَعْذارُهُمْ ، وأنْ يُصْفَحَ عَنْهُمْ لم يُقْبَلْ ذلِكَ منهُمْ ، ولمْ ينالُوا عَفْواً ولا صَفْحاً ولا عُتبىٰ ، لأنَّ الآخِرَةَ دارُ جَزاءٍ ، وقد حَكَمَ اللهُ عَليهِمْ بالخُلُودِ في النارِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ تَحشُرُ الملائكةُ الكفارَ إلى النارِ بإذلالٍ وإهانةٍ ، وَيَسيرونَ مَعاً يُجمَعُ أوَّلُهُمْ إلى آخرِهِمْ .

٢ـ اللهُ فعَّالٌ لِمَا يريدُ ، فالذي أنطَقَ الألسنَةَ في الدُّنيا يُنطِقُ الجَوارِحَ يومَ القيامَةِ .

٣ـ لم يكنِ الكفّارُ في الدُّنيا يَسْتَتِرُونَ خَشْيَةَ أن تَشْهَدَ عليهِمْ أعضاؤُهُم يومَ القيامَةِ، ولكنَّهُمْ كانوا يَسْتَتِرُونَ لأنَّهُمْ يَظنُّونَ أنَّ اللهَ يعلمُ بِهِمْ إنْ أعلنُوا ، ويَخفَى عليهِ حالُهُمْ إنْ أسرُّوهُ ، وهذا هُوَ الذي أَهْلَكَهمُ .

٤ـ الكفّارُ لا يُقَدِّرُونَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، ويُسيئُونَ الظنَّ بِهِ ، عندَمَا يَظُنُّونَ أنَّهُ تَخفَىٰ عليهِ بَعْضُ أعمالِهِمْ .

٥ـ مَنْ أَحْسَنَ ظَنَّهُ باللهِ ، وَطَمِعَ في مغفرتِهِ ، كانَ اللهُ عندَ حُسْنِ ظنِّه .

٦ـ مهما قدَّمَ الكفارُ مِنْ أعذارٍ للرِّضا عنهُم ، وقَبُولِ اعتِذارِهِمْ ، لا يُقْبَلُ ذلكَ منهُمْ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما مَعْنى قولِهِ عَنِ الكُفَّارِ في أثناءِ حَشْرِهم ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ؟

٢ـ اذكُرْ ثلاثةَ شُهُودٍ يشهدُونَ على الكفارِ ذكَرَتْهُمُ الآياتُ .

٣ـ بماذا تفسِّرُ نُطْقَ الجَوارحِ بكَلامٍ واضحٍ يومَ القيامةِ ؟

٤ـ ماذا يقولُ الكُفَّارُ لِجوارِحِهِمْ ؟ وبماذا تُجيبُهُمْ عَنْ سُؤالِهِمْ ؟

٥ـ اذكرِ الحَديثَ الصَّحيحَ في شَهادةِ الأعْضاءِ على أصْحَابِها .

٦ـ ماذا كانَ يظُنُّ الكفارُ باللهِ ؟ وأينَ أوصلَهُمْ ذلكَ الظنُّ ؟

٧ـ ما معنى قولِه : ﴿وإِن يَسْتَعْتِبُوا فما هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ﴾ ؟

تَعَلَّمْ :

رَوَى البُخاريُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عبدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رضي اللهُ عَنْهُ قالَ : اجتمعَ عندَ البيتِ قُرشيَّانِ وثَقَفيٌّ ـ أو ثقفيَّانِ وقُرشيٌّ ـ كثيرةٌ شَحْمُ بطونِهم ، قَلِيلٌ فِقْهُ قلوبِهِمْ ، فقالَ أحدُهم : أتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ يَسْمَعُ ما نقولُ ؟ قالَ الآخرُ : يَسْمَعُ إنْ جَهَرْنا ، ولا يَسْمَعُ إنْ أَخْفَيْنا . وقالَ الآخرُ : إنْ كانَ يسمعُ إذا جَهَرْنا فإنَّهُ يسمعُ إذا أَخْفَيْنا . فأنزلَ اللهُ عز وجلَّ : ﴿وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أبصارُكُمْ ولا جُلودُكُمْ﴾[1] .

نشاط :

١ـ سجِّلِ الآيةَ (٦٥) مِنْ سُورةِ يس ، التي تُخْبِرُ عَنْ شَهادَةِ أعضاءِ الكُفَّارِ عَلَيْهِمْ واذكُرِ الشَّبَهَ بينها وبينَ الآيةِ (٢٠) .

٢ـ سجِّلْ آيةَ مِنْ سُورةِ إبراهيمَ تُقرِّرُ أنَّهُ سَواءٌ على الكُفَّارِ في النَّارِ صَبرُهُمْ وجَزَعُهُمْ . واذكُرِ الشَّبَهَ بَيْنَها وبَيْنَ الآيةِ (٢٤) .

---

(١) صحيح البخاري. كتاب التفسير. حديث رقم: ٤٨١٧. وصحيح مسلم. كتاب صفات المنافقين. حديث رقم: ٢٧٧٥.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالأَرْبَعُونَ

سُورةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ الخامِسُ

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **قَيَّضْنا** : هيَّأنا ويَسَّرْنا .
- **قُرناءَ** : مُلازِمينَ لَهُمْ .
- **زَيَّنُوا لَهُمْ** : حَسَّنُوا وجَمَّلُوا لَهُمْ .
- **حَقَّ عليهِمُ القولُ** : وَجَبَ عليهِمُ الوَعِيدُ بالعَذابِ .
- **خَلَتْ** : مَضَتْ وانقضَتْ .
- **الغَوا فيهِ** : شَوِّشُوا على القُرآنِ باللَّغْوِ .
- **لعلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** : لعلَّكُمْ تُنْصَرُونَ .
- **دارُ الخُلدِ** : دارُ الإقامةِ الدَّائمةِ .
- **يَجْحَدُونَ** : يُنْكِرُونَ ويَكْذِبُونَ .
- **اللَّذَيْنِ أضلاَّنَا** : الفَرِيْقَيْنِ المُضَلِّلَيْنِ مِنَ الإنسِ والجِنِّ .
- **الأَسْفَلِينَ** : الأذلاَّءِ المُهانينَ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنِ الشُّهودِ الذينَ يشهدُونَ على الكُفَّارِ يومَ القيامةِ إلى ما كانَ عليهِ الكُفَّارُ في الدُّنيا مِنْ مُلازَمَةٍ لقُرَنائِهِمُ الشَّياطينِ ، وحَرْبٍ للقُرآنِ ، وصَدِّ الآخرينَ عنهُ باللَّغوِ فيهِ ، والتَّشويشِ عليهِ .

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ أنَّهُ سَلَّطَ على الكفارِ قُرَناءَ مُلازِمينَ لَهُمْ ، مِنْ شياطينِ الإنسِ والجنِّ ، بسببِ اختيارِهِمُ الكُفْرَ ، فَأَضَلُّوهُمْ وأغْوَوْهُمْ ، وحسَّنُوا لَهُمْ أعمالَهُمُ السَّيئةَ السّابقةَ ، ودَعَوْهُمْ إلى الإكثارِ منها في المُسْتَقْبلِ ، وَزَيَّنوا لَهُمُ الشَّهَواتِ والمَلَذَّاتِ المُخَالِفَةِ لِشَرْعِ اللهِ ، وقادَهُمْ ذلكَ إلى الانغماسِ في شَهَواتِ الدُّنيا ، والكُفْرِ بالآخِرَةِ وما فيها مِنْ حِسابٍ وَجَزاءٍ .

وباتِّباعِ الكفّارِ لقُرَنائِهِمُ الشياطينِ يكونُ قد تَحقَّقَ فيهِمْ قَدَرُ اللهِ في إضْلالِ مَنِ اختارَ الضَّلالَ ، وثبَّتَ عليهِمُ العذابَ ضِمْنَ أُمَمٍ كافرةٍ مضتْ مِنْ قَبْلِهِمْ ، مِنْ كُفَّارِ الجنِّ والإنسِ ، وسيُجْمَعُ الكفّارُ جميعاً ليُعذَّبُوا في النّارِ ، وبذلكَ يَعرفُونَ مقدارَ خسارَتِهِمُ البالِغَةِ ، عِندَما كفرُوا وكذَّبُوا بالحَقِّ .

﴿ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

الكفّارُ الضالُّونَ المُتَّبِعُونَ لقُرَنائِهِمْ مِنَ الشَّياطينِ ، مُحارِبُونَ للقُرآنِ ، حَرِيصُونَ على صَدِّ الناسِ وإبعادِهِمْ عنهُ .

ولذلكَ يقولُ قادَةُ الكُفَّارِ لأتباعِهِمْ : عندما يتلُو عليكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ أو أَحَدُ أصْحَابِهِ القُرآنَ فلا تُنْصِتُوا لِتِلاوتِهِ ، ولا تَسْتَمِعُوا إلىٰ القُرآنِ مِنْهُ ، وشَوِّشُوا عليهِ برفْعِ الصَّوْتِ باللَّغْوِ ، وتكلَّمُوا بالكلامِ الَّذي لا مَعْنَى لَهُ ، وأطلِقُوا حَوْلَهُ الصَّفيرَ والتَّصْفيقَ والغِنَاءَ ، حتى لا يَسْمَعَ الآخَرُونَ التِّلاوةَ ، فإنَّهُمْ إذا سَمِعُوا القُرآنَ وأَنْصَتُوا لَهُ سيُؤمِنونَ بهِ ويتَّبِعُونَهُ .

وهدفُ الكُفَّارِ مِنْ هذا التشْويشِ على القُرآنِ أنْ يتغلَّبُوا على رَسُولِ اللهِ ﷺ وينتَصِرُوا عليهِ ، ويُحارِبُوا دينَهُ ، ويُطْفِئُوا أنوارَهُ .

فماذا كانَتِ النّتيجةُ ؟ انهزمَ الكفارُ وانقلَبُوا أذلاَّءَ ، ونَصَرَ اللهُ رسولَهُ ﷺ وانْتَشَرَ دينُهُ ، وذهبَ الكُفَّارُ إلى لعنةِ اللهِ ، وبقي القرآنُ نوراً للعالَمِينَ .

﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

هدّد اللهُ الكفّار الذين تواصوْا على التّشويش على القرآن بالعذابِ الشّديدِ ، فبالرّغْم من هزيمَتِهِمْ أمام الحقّ ، وفشلِهِمْ في الصّدّ عنِ القرآنِ فإنّ لهم عند الله العذابَ الشّديدَ في الدُّنيا بالقَتْلِ أوِ الأسْرِ والإذلال والإهانة ، ولهُمُ العذابُ الشديدُ في الآخرة وهُو الخُلودُ في النّار . وسيُحاسِبُهُمُ اللهُ على أعمالِهِمُ السّيئةِ ، مِنْ كُفْرٍ وشِرْكٍ بالله ، وحرْبٍ للقرآنِ وأهلِهِ ، وارتكابٍ للمُنكراتِ والمعاصي .

إنّ كُلّ منْ حارب القرآن وصدّ عنهُ خاسرٌ مهْزُومٌ ، على اختلافِ الزّمانِ والمَكانِ .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

اللهُ عادلٌ في تعْذيبِهِ لأعدائِهِ ، ولا يظْلِمُهُمْ شيئا ، لقد كانُوا في الدُّنيا كافِرِينَ مُشْرِكِينَ بِهِ ، يُكذّبُون رُسُلَهُ ، ويُنكرُون آياته ، ويُحارِبُونَ القُرآن ، ويُفسِدُون في الأرضِ ، ولذلكَ كانَ جَزاؤُهم عندهُ النار ، لهُمْ فيها الإقامةُ الدائمةُ المُسْتمِرّةُ التي لا انقطاعَ لها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

عندما يُعذّبُ الكُفّارُ في النّارِ ، يتذكّرُون الّذينَ أضلُّوهُمْ مِنَ الجنّ والإنسِ في الدُّنْيا ، وكانوا سببا في ما هُمْ فيهِ من العذاب والهوان ، فيقولُون بحسْرةٍ وحقْدٍ : أرنا يا ربّنا الفريقين اللّذيْنِ أضلاّنا منْ شياطينِ الجنّ والإنس ، وزيّنا لنا الكُفْرَ والعصْيان ، وأوصلانا إلى النّار ، إننا نُريدُ أنْ ننْتقِمَ منهُما ، وندُوس عليهما بأقدامنا ، ليكُونا من الأذلّين المُهانين في الدّرْكِ الأسفلِ مِنَ النّارِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

ترْشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعِبر كثيرة منها .

١ـ لكُلّ إنسانٍ شيطانٌ يدعُوهُ إلى الكُفرِ ويحثُّه عليْه ، وهو القرينُ .

٢ـ يقودُ الشّياطينُ بِعوءِ الكافِرين ، وتزْيين أعمالِهِمُ السّيّئةِ وتحسينِها لهُمْ ليسْتَمِرّوا عليها .

٣ـ يضْبِطُ قادةُ الكُفّار منْ أتباعِهِمْ التّشْويش على القرآنِ والصدّ عنهُ في أيّ زمانٍ ومكانٍ .

٤ـ هناكَ أقوامٌ حقّ عليهِمُ الكُفْرُ ، فلا يُؤمنُون أبدا .

٥ـ نهايةُ الكُفّارِ هي الخُلودُ مُعذّبين في النار ، وبئْستْ هذهِ النّهايةُ لهُمْ .

٦ـ القرآنُ سلاحٌ عظيمٌ في أيدي المُؤمنين في مُواجهةِ الكفرةِ المُلْحِدين .

٧ـ يَطْلبُ الكُفّارُ في النّارِ أنْ يدوسُوا على سادتِهِمْ بأقدامِهِمْ لأنّهُمُ السببُ في إضْلالِهِمْ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ ما معنى قولِهِ : ﴿وقَيَّضْنَا لهمُ قُرناءَ﴾ ؟ وما مَهَمَّةُ هؤلاءِ القُرناءِ ؟ ولماذا ؟

٢ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدَّرسِ طلبيْنِ طلَبهْما القادَةُ الكفّارُ مِنْ أتباعِهِمْ بشأْنِ القُرآنِ .

٣ـ اذكُرْ أمرينِ يقومُ بهما المُؤمنُ عندَ سَماعهِ القُرآنَ ، في مُقَابِلِ ما يفعلُهُ الكفارُ ضِدَّهُ .

٤ـ ما نتيجةُ مَوْقفِ الكُفَّارِ مِنَ القُرآنِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ؟ وما العِبْرَةُ التي تخرُجُ بِهَا من ذلكَ ؟

٥ـ ما الطَّلَبُ الذي يَطْلُبُهُ الكفارُ بشأنِ مَنْ أَضَلَّهُمْ ؟ ولماذا ؟ وما العِبْرَةُ مِنْ ذلكَ ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ آيتينِ مِنْ سُورةِ الزُّخْرُفِ تُخْبرانِ أَنَّ اللهَ يُقيِّضُ شَيْطَاناً قَريناً لِكُلِّ مَنْ يَعْشُو عَنْ ذِكْرِهِ ، فيُضِلُّهُ وَهُوَ يَظُنُّ نفسَهُ مُهْتدِياً .

٢ـ سجِّلْ آيةً مِنْ آخرِ سُورةِ الأَعْرَافِ تَطْلُبُ مِنَ المُؤمنينَ الاسْتِمَاعَ والإِنْصاتَ عندَ تلاوةِ القُرآنِ لينالُوا الرَّحمةَ ، واذكُرِ الفَرْقَ بينَ استقبالِ المُؤمنينَ والكَافِرينَ للقُرآنِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالأَرْبَعُونَ

سُورَةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

مَعاني المُفْرداتِ :

استقامُوا	: دَاوَمُوا على العَمَلِ الصَّالِحِ .
نحنُ أولياؤُكُم	: نَحْنُ نَتَوَلَّى أمُورَكُمْ ، ونُلهِمُكُمُ العَمَلَ الصَّالحَ .
تَشْتَهِيْ أنفُسُكُمْ	: تَطْلُبُ أنفُسُكُمْ مِنَ اللَّذائذِ .
تَدَّعُونَ	: تَطْلُبُونَ .
نُزُلاً	: مُهَيّأً لاستِقْبَالِكُمْ ، وتكْرِيمِكُمْ .
ادفَعْ بالتي هِيَ أَحْسَنُ	: قابِلِ السَّيِّئَةَ بالحَسَنَةِ .
وَلِيٌّ حَمِيمٌ	: صَدِيقٌ قريبٌ مُساعِدٌ .
ما يُلقّاها	: ما يُؤتى هَذهِ الصِّفَةَ .
ذو حَظٍ عَظِيْم	: ذو نَصِيبٍ كَبيرٍ مِنَ الخَيْرِ .
يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشيطانِ نَزْغٌ	: يُوسْوِسُ لَكَ الشّيطانُ ويَصرِفُكَ ، عَنْ فِعْلِ الخَيْرِ .
اسْتَعِذْ باللهِ	: التَجِيءْ إلى اللهِ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ .

التفسيرُ :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحَديثِ عَنْ عَذابِ الكفّارِ في النَّارِ لِتَتَحدَّثَ عَنْ حُسْنِ عَاقبةِ المُؤمنينَ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

يُثني اللهُ على المُؤمِنينَ الصَّالِحينَ ، الذينَ أَعلنُوا إيمانَهُمْ باللهِ وَحْدَهُ ، وقالُوا : ربُّنا اللهُ لا نُشرِكُ به أَحَداً ، ثم ثَبَتُوا على الحَقِّ ، واستقامُوا على الطَّاعةِ ، وتركُوا ما حَرَّمَ اللهُ ، وبَقَوْا على هذا حتّى أَتَاهُمُ المَوْتُ .

يُكرِمُ اللهُ هَؤلاءِ المُسْتَقِيمِينَ عند احْتِضَارِهِمْ ، فيُنزِلُ عليهِمُ المَلائِكةَ لِتقدِّمَ لَهُمُ البُشْرَى ، وتقولُ لَهُمْ : لا تَخَافُوا مِنَ المُستقبَلِ فأنتمْ مُقْدِمُونَ على رَحْمَةِ اللهِ ، واللهُ يحفظُكُمْ ويرعاكُمْ ، ولا تحزَنُوا على ما خَلَّفْتُمُوهْ وَرَاءكُمْ ، فإنّهُ في حِفْظِ اللهِ ورِعَايَتِهِ ، وأَبشِرُوا بِدُخُولِ الجَنّةِ التي وَعَدَكُمُ اللهُ بها في الدُّنيا على أَلسِنَةِ رُسُلِهِ .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وتتابعُ المَلائِكَةُ كلامَها مَعَ المُؤْمِنينَ المُسْتَقيمينَ ، فتقولُ لَهُمْ : نَحْنُ أولياؤُكُمْ في الآخِرَةِ ، نُؤَمِّنُكُمْ ونُؤنِسُكُمْ ونُجَاوِزُ بكُمُ الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ ، ونوصِلكُمْ إلى الجَنّةِ .

ومِمَّا يُسْعِدُ المُؤمنينَ كَوْنُ المَلائِكَةِ أولياءَ لَهُمْ في الحياةِ الدّنيا وفي الآخِرَةِ ، ويُشْقِي الكافرينَ مُلازَمَةُ الشياطينِ لَهُمْ في الدنيا ويُحْشَرُونَ مَعَهُمْ إلى النارِ .

وتُبشِّرُ الملائِكَةُ المُؤمنينَ بأنّ لَهُمْ في الجَنَّة كلَّ ما يريدُونَ ، وتقولُ : لَكُمْ في الجَنَّةِ كلُّ ما تَشْتَهُون وتَطلبُونَ وتختارُونَ ، مِنْ أَصنافِ الطَّيِّباتِ ، وأنواعِ المَلذَّاتِ ، ما طَلَبْتُمْ وَجَدْتُمْ ، وكلُّ ما تمنّيْتُمْ نِلْتُمْ .

وهذهِ الخَيْرَاتُ والطَّيّباتُ كُلُّها مُعدَّةٌ مُهَيَّأَةٌ لَكُمْ إكْراماً وإنْعاماً مِنَ اللهِ ، وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ، غفرَ لَكُمْ ذنوبَكُمْ ، ومَنَّ عليكُمْ بالرَّحْمَةِ والرِّضْوانِ .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

إذا كانَ مصيرُ المُؤْمِنينَ المُسْتَقيمينَ الجَنَّةَ ، فإنّه لا أَحَدَ أَحْسَنُ منُهم في هذهِ الحَياةِ الدُّنيا ، ولاسَيَّما الدُّعاةُ إلى اللهِ منهُمْ .

وقد أخبرَ أنّهُ لا أحَدَ أحْسَنُ كلاماً ونُطْقاً مِمَّنْ جمَعَ بينَ صِفَاتٍ ثَلاثٍ مُشْرِقَةٍ :

- مَنْ دَعَا إلى تَوْحِيْدِ اللهِ وطَاعَتِهِ وعِبَادَتِهِ ، وعرّفَ الناسَ علىٰ دِينهُ ، ورَبَطَهُمْ به .

- مَنِ التزَمَ الأعمالَ الصَّالحةَ الكثيرةَ التي أمَرَهُ اللهُ بها ، وترَكَ ما حرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ .

- مَنِ انْتمىٰ إلىٰ المُسْلِمِينَ الصَّالِحِينَ بِمُوَالاتِهِم ، ونُصْرَتِهم ، ومَحَبَّتِهم ، والاهتِمَامِ بِهِمْ والدِّفاعِ عَنْهُمْ .

﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

وإذا كانَ الدُّعاةُ إلى اللهِ أحسنَ الناسِ قوْلاً في الحَياةِ الدّنيا ، فلا بُدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْ يُحَسّنُوا علاقاتِهِمْ بالنّاسِ ، وأنْ يصْبِرُوا على أذاهُمْ ، وأنْ يقابِلُوا الإسَاءَةَ منهم بالإحْسانِ إليهِمْ .

وقد بيَّنَ اللهُ أنهُ لا تتساوىٰ الحَسَنةُ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ ، التي يَرضَى اللهُ عنها ، ويُثِيبُ أصحابَها عليها مَعَ السّيئةِ مِنَ الأفعالِ والأقوالِ التي يَكرهُها اللهُ ، ويُعاقِبُ أصْحابَها عَلَيْها ، ولِذلكَ على الدَّاعيةِ أنْ يُقابِلَ السَّيْئةَ مِنَ الناسِ بالحَسَنَةِ ، وأنْ يَدْفَعَ السّيئةَ بالتي هِيَ أَحْسَنُ ، فَهَذا هُوَ الذي يَلِيْقُ بِهِ ، ويَتّفقُ مَعَ تميّزِهِ وفَضْلِهِ .

وعندما يُقابِلُ الدّاعيةُ السُّوءَ بالإحسانِ ، والذَّنْبَ بالعَفْوِ والحِلْمِ ، فإنّهُ يَكْسَبُ مَوَدَّةَ الناسِ ، ويزيلُ كُرْهَهُمْ وبُغْضَهُمْ ، ويتحوّلُ عَدُوُّهُ إلى صَديقٍ مُخْلِصٍ حَريصٍ عليهِ .

وهذه خَصْلةٌ عظيمةٌ لا يقدِرُ كلُّ شُخْصٍ على فِعْلِها لأنّها تَحْتاجُ إلى رِجالٍ مُتَمِّيزينَ بحُسْنِ أخلاقِهِم ، فلا يُؤتاها إلاّ الّذينَ جاهدُوا أنفُسَهُمْ ، وصَبَرُوا على كَظْمِ الغيظِ ، واحتمالِ الأذى ، ولا يَتَحَمَّلُها إلاّ ذو نَصِيبٍ كبيرٍ مِنَ السَّعادةِ في الدُّنيا ، حَرَصَ على فعلِ الخَيْرِ والازديادِ مِنَ الثَّوابِ .

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ الثَّناءِ على أصْحَابِ الأخلاقِ الفاضِلَةِ الذينَ يدفعُونَ السَّيِّئةَ بالحَسَنةِ أَرْشَدَ اللهُ المُؤمنينَ إلى طَريقَةِ الوُصُولِ إليها ، وَهِيَ الابتعادُ عَنْ وَسَاوِسِ الشّيطَانِ ونزَغَاتِهِ التي تُوقِعُ الإنسانَ في الهَلاكِ .

وعندما يُوَسْوِسُ الشيطانُ للمُؤمنِ ، وُيزيّنُ لَهُ مُقابَلَةَ السَّيِّئةِ بِمِثْلِها أَوْ يدْعوهُ إلى تَرْكِ ما أوجَبَ اللهُ أو فِعْلِ مَا حَرَّمَ اللهُ ، فعليهِ أنْ يَلْجَأَ إلى اللهِ ويَحْتَمِيَ بِهِ ، ويَطْلُبَ مِنْهُ أنْ يُعيذَهُ مِنَ الشّيطانِ ، ويَحْفَظَهُ مِنْ شرّهِ وكَيْدِهِ . وسَوفَ يَجدُ اللهَ مَعَهُ ، حَافظاً وحَامِياً ومُعِيناً ، واللهُ سميعٌ لكلِّ شيءٍ ، ومنهُ استعاذةُ المُؤْمنِ بِهِ ، عليمٌ بكلِّ شيءٍ ، ومِنْهُ عِلْمُهُ بالشَّيْطَانِ ومَكْرِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرة منها :

١ـ لابُدَّ مِنَ الاستقامةِ على شرْعِ الله ، لِنيلِ الكَرامة والبُشرى مِن الله .

٢ـ الملائكةُ أولياءُ المُؤمنين في الدُّنيا ، وعند الموْت ، وفي الآخرَة .

٣ـ يُنزِّلُ اللهُ ملائِكَتَهُ تُطمْئِنُ عبادَ الله المُؤمنين في سَكرات الموْتِ ، وَهُمْ أَحْوَجُ ما يَكونونَ إلى الاطْمِئنانِ .

٤ـ لا أحدَ أَحْسَنُ في الدُّنيا من الدُّعاةِ إلى الله ، الذينَ جمعُوا بين الإيمان ، والعَمَلِ ، والدَعوة .

٥ـ على المُؤمن أن يجْهَرَ بإيمانه ، ويعتزَّ بهِ في المحافِلِ والمُنتديات ، وهذا أحسنُ القَوْلِ وأفضلُهُ .

٦ـ لمّا كَانتِ الحَسَنَةُ لا تَسْتَوي مع السّيئة ، فعلى المُؤمن احتيارُ الحسنةِ ودفْعُ السَّيئَةِ بها .

٧ـ الإحسانُ إلى الآخرين وتحمّلُ إساءتهم يحوّلُهم من أعداء إلى أصدقاءَ حميمينَ .

ـ على المُؤمنِ مُواجَهَةُ نزغاتِ الشيطانِ ووساوسه بالالتجاءِ إلى اللهِ لِينجُوَ منها .

التَّقْويمُ :

أجبْ عن الأسئلة الآتية :

١ـ استخرجْ من الآيةِ الأُولى ثلاث بشارات تُبشِّرُ بها الملائكةُ المؤمنينَ المُستقيمين .

٢ـ ما معنى كوْنِ الملائكةِ أولياء للمؤمنين في الدُّنيا والآخرة ؟ وماذا ينْتُجُ مِنْ هذهِ الولايَة ؟

٣ـ ما الأمْران اللّذان ينالُهما المُؤمنون في الجنَّة ؟

٤ـ استخرجِ الصِّفات الثّلاث التي ذكرتها الآياتُ لأحْسَنِ النّاس قَوْلا ؟

٥ـ لماذا لا تَستوي الحَسَنةُ والسّيئةُ ؟ ذكرْ آثار الحسنة على صاحبها وآثار السيئةِ على صاحبها .

٦ـ ما نتيجةُ الإحْسان إلى العُدُوّ ؟

٧ـ استخرجْ مِن الآيات الطريق لمقابلة السّيئة بالحسنة .

٨ـ ماذا تفعلُ عندما يُوسْوِسُ الشّيطانُ لك بالشرِّ ؟ ولماذا ؟

نشاط :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سورةِ السَّجْدةِ تُخْبرُ أنّهُ لا تَعْلمُ نَفْسٌ ما أُخفِيَ للمُؤمنينَ في الجَنَّة مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وآيةً مِنْ سُورةِ « ق » تُخْبِرُ أنّ لَهُمْ في الجَنَّةِ كلَّ ما يشاءونَ ويُعطيهِم اللهُ المَزيدَ .

٢ـ سجّلْ ثلاثَ آياتٍ من آخرِ سُورةِ الأعْرافِ تأمُرُ المُؤمنَ بالاستعاذَةِ باللهِ مِنْ نزَغَاتِ الشيطانِ ، وتأمرُ المؤمنينَ باليَقَظَةِ بعدَ مَسّ الشيطانِ لَهُمْ في أثناءِ غَفْلَتِهِم .

* * *

الدَّرْسُ الخَمْسُونَ

سُورَةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **مِنْ آياتِه** : مِنَ البَرَاهِينِ الدَّالَّةِ على وَحْدَانِيَّةِ اللهِ .
- **اسْتَكْبَرُوا** : رفضُوا الخُضُوعَ للهِ والسُّجُودَ لَهُ .
- **الذينَ عندَ ربِّكَ** : هُمُ المَلائِكَةُ .
- **لا يَسأَمُونَ** : لا يَمَلُّونَ مِنْ تَسْبِيحِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ .
- **الأرضَ خَاشِعَةً** : جَامِدَةً يابِسَةً .
- **اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ** : تَحَرَّكَتْ وانتفَخَتْ .
- **يُلْحِدُونَ في آياتِنَا** : يَطْعَنُونَ في آياتِنا ويُحَرِّفُونَهَا ، ولا يُؤمِنُونَ بها .
- **كَفَرُوا بالذِّكْرِ** : كَفرُوا بالقُرآنِ .
- **كتابٌ عَزيزٌ** : القرآنُ كِتَابٌ كريمٌ مَنِيعٌ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ على إبطالِهِ ونَقْضِهِ .

التفسيرُ :

انتقلتِ الآياتُ من الحديثِ عنْ أحسنِ الأقوالِ والأفعالِ والأشخاصِ إلىٰ الحديثِ عَنِ القُرآنِ العزيزِ ، وعَدمِ تطرُّقِ الباطلِ إليهِ . وتضمُّنِه آياتٍ وأدلَّةً قُرآنيّةً صادقةً دالَّةً على وَحْدانيّةِ اللهِ .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يُخبرُ اللهُ أنَّ مِنَ العلاماتِ الدالّةِ على وحدانيتِهِ وقُدرتِه وعظمتِهِ تعاقُبَ اللّيلِ والنّهارِ وخَلْقَ الشّمسِ والقمرِ . فهو الذي خلقَ الشّمسَ وجعلها ضياءً ، وخلَقَ القمرَ وجعَلَه نوراً ، قدَّر منازِلَهُما وسيْرَهُما ، وجعلَ الليلَ والنّهارَ مُتعاقبَيْنِ لِمَصْلَحةِ النّاسِ وتيْسيرِ حَياتِهم علىٰ الأرضِ .

والشّمسُ والقمرُ خاضعانِ للهِ ، يسيرانِ بأمرِهِ ، وهُما ليسا إلهيْنِ ، ولذلكَ لا يجُوزُ تَعْظِيمُهُما ولا عبادتُهما والسُّجُودُ لهما ، والواجبُ تعظيمُ اللهِ وعبادتُهُ . لأنّه هو الّذي خَلَقَهُما .

ولِذلكَ قالَ اللهُ للمُشْرِكِينَ الذينَ يعبدُونَ الشمسَ والقمرَ : لا تَسْجُدُوا للشَّمْسِ ولا للقَمرِ ، فإنْ فعلْتُمْ ذلكَ كنْتُمْ مشْركينَ باللهِ ، عابدينَ لغيْرِهِ ، والواجبُ عليْكُمْ أنْ تَسْجُدُوا للهِ وَحْدَهُ الذي خَلَقَ الشّمسَ والقمرَ واللّيلَ والنّهارَ إنْ كنتُمْ تريْدُونَ الدّينَ الحقَّ ، والإيمانَ المَقْبُولَ والعِبادَةَ الصّحيحةَ .

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾

بعد أنْ أمرَ اللهُ المُشْرِكِينَ بالسُّجُودِ لَهُ وحْدَهُ ونهاهُمْ عنِ السُّجُودِ لِخَلْقِه قالَ لرسولهِ ﷺ : إنْ رَفَضَ المُشْرِكُونَ تنفيذَ أمرِ اللهِ ، وأصرُّوا على الشّركِ بهِ ، والسّجودِ لغَيْرِهِ ، فهُمُ الخاسرونَ بِسَببِ شِرْكِهِمْ وكُفرِهِمْ ، لكنّهُمْ لنْ يضُرُّوا اللهَ شيئاً ، والذينَ عندَ اللهِ مِنَ الملائكةِ يسجُدُونَ لهُ ويُسبّحُونَهُ باللّيلِ والنّهارِ ، لا يملُّونَ مِنَ التّسبيحِ والذّكرِ والسُّجُودِ ، ولا يفْتُرُونَ عنْهُ ولا يتركُونَهُ .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

انتقلتِ الآياتُ مِنْ ذِكرِ الأدلّةِ الفلَكيّةِ على وحْدانيّةِ اللهِ ، إلى ذِكْرِ الأدلّةِ الأرضيّةِ الدالّةِ على وحْدانيّةِ اللهِ وعظمتهِ وقُدرتِهِ على بعْثِ النّاسِ يومَ القيامةِ

إنّ الأرضَ تكونُ هامدةً ميّتةً وعندما يُنزلُ اللهُ عليها ماءَ المَطرِ تهتزُّ وتتحرَّكُ ، وعندما تَشْرَبُ الماءَ تربُو وتزيدُ وتنتفخُ ، وتُنْبِتُ مُختلفَ أنواعِ الزُّروعِ ، والثّمارِ ، والنّباتِ ، والأزهارِ .

واللهُ الذي أحيا الأرضَ بالماءِ ، وأنبتَ فيها النّباتَ قادرٌ على إحياءِ الموْتىٰ يومَ القيامةِ ، وَهُوَ

على كلِّ شَيءٍ قديرٌ ، لا يُعْجِزُهُ شيءٌ في السّموات والأرض .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

مَعَ وُضُوحِ الأدلَّةِ القُرآنيةِ على الوَحْدانيّةِ والبَعْثِ إلا أنّ الكُفّار مُعْرِضُونَ عنهُ ، ومُصِرُّونَ على الكُفرِ والتكذيبِ ، وَقَدْ هدّدَهُم اللهُ وَتوعَّدَهُمْ بالعذابِ ، وَوصفَهُمْ بأنّهُمْ يُلْحِدُونَ في آياتِ القُرآنِ ويَميلُونَ عَنِ الحقِّ ، ويضَعُونَها في غيْرِ مَواضِعِها الصَّحيحةِ . هؤلاءِ المُلْحِدُونَ في آياتِ اللهِ لا يَخفَوْنَ على اللهِ فهو ـ سبْحانه ـ مُطّلعٌ عليهِمْ وعلى جَرائمِهِمْ ، وسيُعاقبُهُمْ عِقاباً شَديداً ، فيُساقونَ إلى النّارِ ، ويُلقَوْنَ فيها مُعذّبين .

ولا يستوي الكافِرُ الذي يُلقَىٰ في النّار يومَ القيامة مَعَ المُؤمِنِ الذي يأتي في ذلكَ اليوم آمِناً من العَذَابِ ، لأنَّ اللهَ يُدْخِلُهُ الجنّةَ برَحْمَتِه .

وَبَعْدَ مَعْرِفَةِ الكُفّارِ بهذا الفرْقِ البعيد بينَ نِهايةِ المُؤمِنِ ولكَافِرِ المُعذَّبِ ، أقامَ اللهُ عليهِمُ الحُجَّةَ ، وعليهِمْ بعدَ ذلكَ أنْ يختارُوا الطَّريقَ الذي يُريدُونَ سُلُوكَهُ : طَريقَ الخَيْرِ أو طَريقَ الشَّرِّ ، طَريقَ الإيمانِ أَوْ طَريقَ الكُفْرِ ، فاللهُ عالِمٌ بِهِمْ ، مُطّلعٌ عليهِمْ ، بصيرٌ بأعمالِهِم ، ثم يُجازيهِمْ عليْها يومَ القيامةِ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

الكفّارُ مُعذّبونَ يوم القيامَةِ لأنّهُمْ كفرُوا بالقُرآنِ ، الّذي أنزَلَهُ اللهُ إليهِمْ ، وَجَعَلَهُ تَذْكيراً وهُدىً وَرَحْمَةً لَهُمْ .

والقرآنُ الذي يُلحِدُونَ في آياتِهِ عزيزٌ ، لا يَقْدِرُونَ على الطَّعْنِ فِيهِ ، أو انْتِقَاصِهِ وإبْطَالِهِ ، وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مُعارَضَتِهِ والإتيانِ بِمِثْلِهِ .

إنَّ القرآنَ حَقٌّ وصِدْقٌ ، ليسَ للباطلِ إليهِ سَبيلٌ ، في ألفَاظِهِ ولا في مَعانيهِ وأَحكامِهِ . وَهُوَ كلامُ اللهِ أنزَلَهُ على رَسُولِهِ ﷺ ، واللهُ هُوَ الحَكيمُ في أقوالِهِ وأفعالِهِ ، مَحْمُودٌ في جَميعِ ما يأمُرُ به ويَنْهَىٰ عَنْهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ ـ الآياتُ الدَّالَّةُ على وَحْدَانيّةِ اللهِ ، وقُدْرَتِهِ ، كثيرةٌ مَبْثُوثَةٌ في الفَضَاءِ ، وفي الأَرْضِ .

٢ـ كلُّ ما في الكونِ مخلوقٌ خاضعٌ للهِ ، لا يَجوزُ السُّجودُ لهُ وجعْلُهُ إلهاً .

٣ـ خلَقَ اللهُ المَلائكةَ لتسبيحِ اللهِ والسُّجودِ لهُ ، وَهُمْ لا يسأمونَ أو يملُّونَ مِنْ ذلكَ .

٤ـ مِنَ الأدلَّةِ على البَعْثِ وإحياءِ المَوْتى إحياءُ اللهِ للأرضِ المَيْتةِ بالماءِ وإنباتِ النّباتِ فيها .

٥ـ الكُفارُ يُلحِدونَ في آياتِ القُرآنِ ، ويَعْملُونَ على تحْريفِ مَعانِيها ، والمَيْلِ بها عَنِ الحَقِّ إلى البـاطلِ .

٦ـ المُؤمِنُ هُوَ الآمِنُ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، والكَافِرُ لا يَأْمَنُ لأنَّهُ مُعَذَّبٌ في النّارِ . وَهُمَا لا يَستويَانِ .

٧ـ القُرآنُ مَحفوظٌ مِنَ التّغييرِ والتّبديلِ ، وَلَنْ يأتيَ مِنْ حقائقِ العِلْمِ والتاريخِ ما يدُلُّ على بُطلانِ شَيْءٍ مِنْهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عَنِ الأسْئلةِ الآتيةِ :

١ـ استخرِجْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ أربعَ آياتٍ فلكيّةٍ تَدُلُّ على وَحْدانيّةِ اللهِ .

٢ـ كيفَ تستدلُّ بإنباتِ الأرضِ للنّباتِ على البَعْثِ وإحياءِ الموْتى ؟ .

٣ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ حَركَتيْنِ تَصدُرانِ عَنِ الأرضِ عند إنزالِ الماءِ عَليْها .

٤ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ ثلاثَ جُملٍ فيها تهديدٌ ووَعيدٌ للكُفّارِ .

٥ـ استخرجْ مِنْ آياتِ الدّرسِ ثلاثَ صِفاتٍ وَصَفَ اللهُ بها القُرآنَ ، وبَيِّنْ مَعْناها .

٦ـ ما معنىٰ وَصْفِ الكُفّارِ بأنّهُمْ يُلحِدُونَ في آياتِ القُرآنِ ؟ وكيفَ يكونُ إلحادُهُمْ فيها ؟

٧ـ ما الفرقُ بينَ نِهايَةِ المُؤمنِ ونِهايةِ الكافرِ يومَ القيامةِ ؟ استخرِجْهُ مِنْ آياتِ الدّرسِ .

نشاط :

١ـ سَجّلِ الآيتيْنِ (١٩ـ٢٠) مِنْ سُورةِ الأنبياءِ عَنْ عدمِ فُتورِ المَلائِكةِ ومَلَلِهمْ مِنْ عِبادَةِ اللهِ والسُّجودِ لهُ ، واذكرِ الشَّبهَ بيْنَهما وبيْنَ الآيةِ (٣٩) من هذه السّورَةِ .

٢ـ المُؤمِنُ هُوَ الآمِنُ في الدُّنيا والآخِرةِ ، ولا يَجُوزُ للكافرِ أنْ يَأْمَنَ .

سجِّلْ آيةً مِنْ سُورةِ الأنعامِ على أَمْنِ المُؤمنِ ، وآيتيْنِ مِنْ سُورةِ المُلْكِ على عَدَمِ أَمْنِ الكافرِ .

* * *

الدَّرْسُ الحادي والخمسونَ

سُورةُ فُصِّلَتْ ـ القِسمُ الثَّامِنُ

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

معاني المُفْرداتِ :

أَعْجَمِيّاً : بلُغَةٍ غَيرِ عَرَبيّةٍ .

لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُه : هلا بُيِّنَتْ وَوُضِّحتْ آياتُه بِلُغَتِنا .

وَقْرٌ : ثِقَلٌ وصَمَمٌ .

كلمةٌ سبقَتْ مِنْ ربِّكَ : أَمْرُ ربِّكَ بتأخيرِ الحِسابِ ليومِ القيامَةِ .

أَكْمامِها : أَوْعِيَتِها .

تَضَعُ : تَلِدُ .

آذنَّاكَ : أَخْبَرْناكَ ، وأَسْمَعْناكَ .

ما مِنّا مِنْ شَهِيدٍ : ليسَ مِنّا شهيدٌ يَشْهَدُ أنَّ لكَ شريكاً .

ضَلَّ عَنْهُمْ : ذَهَبَ عَنْهُمْ .

ما لَهُمْ مِنْ مَحِيْصٍ : ليسَ لَهُمْ مِنْ مَهْرَبٍ ولا نَجاةٍ .

التفسير :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عَنْ تهديدِ الكُفَّارِ المُلْحدِين في آياتِ اللهِ بالعَذابِ ، لتَتَحدَّثَ عَنْ بعضِ شُبُهاتِ الكُفَّارِ حَوْلَ القُرآنِ والردِّ عليهِمْ ونَقْضِ شُبُهاتِهِمْ .

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

يُواسِي اللهُ رسُولَهُ ﷺ على ما يَقُولُهُ الكفّارُ عَنْهُ مِنَ اتّهاماتٍ وشُبُهاتٍ ويقولُ لَهُ : ما قالَ لَكَ كفارُ قومِكَ مِنَ اتّهامٍ بالسِّحْرِ أوِ الشِّعْرِ أوِ الكَذِبِ أوِ الجُنُونِ ، سبقَ أنْ قَالَهُ الكفارُ السّابِقونَ لرُسُلِهِمْ . لقد كُذِّبَ الرُّسُلُ كما كُذِّبْتَ ، وأُوذُوا كما أُوذِيتَ ، وعليكَ أنْ تَصْبِرَ كما صَبَرُوا ، لِتَنْتَصِرَ كَمَا انتصَرُوا ، وَسَيُدَمِّرُ اللهُ أعداءَكَ كما دمّرَ أعداءَهُمْ ، كما قالَ تعالى : ﴿ولقد كُذِّبت رُسلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حتّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ، وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ [الأنعام : ٣٤] .

وهدّدَ اللهُ الكُفّارَ المُكَذِّبِينَ للرّسُولِ ﷺ والمُتّهِمِينَ لَهُ بالعَذَابِ ، وذَكَرَ أنّه ذو مغفرةٍ يَغْفِرُ لِمَنْ آمنَ وتابَ واستقامَ ، وَهُوَ ذو عقابٍ أليمٍ شديدٍ ، يُعاقِبُ الكفارَ المُكذِّبينَ ، ولا نَجاةَ لهم مِنْ عِقابِ اللهِ إلاّ بالإيمانِ .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

الكفّارُ مُعانِدُون ، وهذا يدفَعُهُمْ إلى إثارَةِ الشُّبُهاتِ والاعْتِراضاتِ ضِدَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وضِدَّ القُرآنِ ، وَقدِ اتّهمُوا القرآنَ بتُهَمٍ شتّى معَ أنّ اللهَ أنزلَهُ بِلِسانٍ عربيٍّ مُبينٍ ، وفَهِمُوهُ حَقَّ الفَهْمِ ، لأنّهُ بلُغَتِهِمْ وَمَعَ هذا كفرُوا بِهِ عِناداً . وقد أخبرَ اللهُ أنّ الكفّارَ يعترِضُونَ على القُرآنِ ، فلمّا أنزَلَهُ اللهُ بلُغَتِهِمْ عدُّوهُ سِحْراً ، وَلَوْ جعلهُ اللهُ قرآناً أعْجميّاً وأنزلَهُ بلغةِ غيرِ العربيّةِ لاعترَضُوا ، واعتبرُوهُ غيرَ مفهومٍ مِنْهُمْ ، وقالُوا : هلاّ أنزلَهُ اللهُ قرآنَ عَرَبيّاً بلُغَتِنا . وهلاّ فُصِّلَتْ آياتُهُ ووُضِّحَتْ وبُيِّنَتْ ، وكيفَ يكونُ القُرآنُ بلُغةٍ أعْجميّةٍ والمُخاطَبُونَ بهِ عربٌ يتكلّمونَ العربيّةَ .

وأمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لِلكُفّارِ : هذا القُرْآنُ جعلَهُ اللهُ هُدىً للمُؤمنينَ ، يَهْدِيهِمْ إلى الحَقِّ ، وشِفَاءٌ لِقُلوبِهِمْ وصُدورِهِمْ وهذا كقولِهِ تعالى : ﴿ونُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ورَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ولا يَزِيْدُ الظّالِمِيْنَ إلا خَسَاراً﴾ [الإسراء : ٨٢] .

أمّا الكُفّارُ الذينَ لا يُؤمنونَ باللهِ والرّسُولِ والقُرْآنِ فإنّهمْ قد حَجَبُوا أنفُسَهُمْ عَنِ القُرآنِ ، وفي

آذانِهِمْ ثِقَلٌ وَصَمَمٌ يمنعُهُمْ مِنْ تدبُّرِ القُرآنِ ، وعلى عُيونِهِمْ غِشاوَةٌ تحْجُبُها عَنْ رؤيةِ الحَقِّ .

وَهُمْ بهذَا الصَّمَمِ والعمَىٰ لن يفْهَمُوا القُرآنَ ، وحَالُهم مَعَهُ كَحالِ مَنْ يُنادَى مِنْ مكانٍ بعيدٍ ، فيسمعُ صوتَ مَنْ يُناديهِ ، لكنَّهُ لا يَفْقَهُ شيئاً ممَّا يَسْمَعُ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

لم يَكُنْ كفارُ قريشٍ أوَّلَ مَنْ كذَّبوا بكتابِ اللهِ ، فإنّ التكذيبَ بالحَقِّ صفةٌ للكُفَّارِ السَّابقينَ أيضاً . فاللهُ أنزلَ التوراةَ على نبيِّهِ مُوسى عليْهِ السلامُ ، ولكن النَّاسَ في ذلكَ الوقتِ اختلفُوا فيها ، فبعضُهُمْ آمنَ بِهَا وصدّقَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ، وبعضُهُمْ كَذّبَ بِهَا ، وآذَى مُوسى عليهِ السّلامُ .

وهكذا كانَ موقفُ الناسِ مِنَ القُرآنِ ، إذ اختلفُوا فيهِ ما بينَ مُؤمنٍ وَكَافرٍ ، ومُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ . وقد سَبَقَ حُكْمُ اللهِ بتأخيرِ الحُكْمِ والقَضَاءِ بينهَم إلى يوم القيامةِ ، عندما يَحْكُمُ بالحَقِّ للمُؤمنينَ ويُعاقِبُ الكافرينَ ، ولوْلا ذَلِكَ لقُضِيَ بينهُمْ في الدّنيا ، وعُجِّلَ لِلكَافِرينَ العَذَابُ .

والكفّارُ مُستحقُّونَ للعَذَابِ والدَّمارِ ، لأنّهُمْ في شكٍّ كبيرٍ مِنَ القرآنِ ، وهذا الشكُّ أوقَعَهُمْ في الرِّيبةِ والقَلَقِ ، وقادَهُمْ إلى الكُفْرِ والتَّكْذيبِ بهِ .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

ولمّا كانَ اللهُ سَيقضِي بينَ النّاسِ جَميعا يومَ القيامةِ ، فقد ذَكَرَ قانونَ الجَزاءِ في ذلكَ اليوم ، وَهُوَ ثوابُ المُحْسنينَ وعقابُ المُسيئينَ ، فَمَنْ عَمِلَ في الدُّنيا الأعمالَ الصَّالحَةَ ، فقدْ عادَ نفعُ ذَلك على نَفْسِهِ وفازَ يومَ القيامةِ بالجَنَّةِ ونَعِيمِها ، ومَنْ أساءَ وَعَصَى اللهَ فَقَدْ رَجَعَ وَبَالُ ذلكَ عليهِ ، وَهُوَ الذي يَخسَرُ ويُعذَّبُ في النارِ .

واللهُ لا يَظْلِمُ أحداً مِنَ العبيدِ ، فلا يُنقِصُ المُحْسنَ شيئاً مِنْ ثوابهِ ، ولا يزيدُ على المُسيءِ شَيْئاً لم يَعْمَلْهُ ، كما قالَ تعالى : ﴿وأَنْ لَيْسَ للإنْسَانِ إلاّ مَا سَعَىٰ﴾ [النجم : ٣٩] .

﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

اللهُ الذي يَقضي بينَ الناسِ يومَ القيامةِ بعدلهِ ، هُوَ العالِمُ وَحْدَهُ بذلك اليوم ، فلا يَعلَمُهُ أحدٌ مِنَ المَخلُوقينَ ، ولا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ ، فَعِلْمُ السّاعةِ خاصٌّ بِهِ وَحْدَهُ سُبحانَهُ .

وعِلْمُ اللهِ شاملٌ لكلِّ شيءٍ في الدُّنيا ، لا يَغِيبُ عنهُ شيءٌ سُبحانَهُ . فَهُوَ يَعْلَمُ متىٰ تَخْرُجُ كلُّ ثَمرَةٍ مِنْ وعائِها ، ومتى تَظْهَرُ ، ومتى تنضَجُ . ويَعْلَمُ اللهُ ما تَحْمِلُ كلُّ أنثى مِنْ عالَمِ الإنسانِ والحيوانِ

وماذا في رَحِمِها ، ومتى تَضَعُ مولودَها ، وكما قال تعالى : ﴿اللهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ، وَمَا تَغِيضُ الأَرْحامُ ومَا تَزْدادُ﴾ [الرعد : ٨] .

ومَوْقِفُ المُشْرِكينَ باللهِ يومَ القيامةِ عَجيبٌ ، إذْ يُناديهِمْ اللهُ في ذلكَ اليوم قائلاً ، أينَ شُرَكائِي الذينَ أَشْرَكْتُمُوهُمْ مَعِي في الدُّنيا وعَبَدْتُمُوهُمْ مِنْ دوني ؟ إنْ كانُوا آلِهَةً فَلِماذا لا يَدْفَعُونَ عنكُمُ العَذَابَ الآنَ ؟

فيُجيبُون ربَّهم قائِلينَ : لَقَدْ أخبرْناكَ وأعْلَمْناكَ أنَّكَ أنتَ الإلهُ الواحدُ لا شَريكَ لكَ ، ولا يُوجَدُ أحدٌ مِنَّا اليومَ يشهدُ أنَّ مَعَكَ شركاءَ .

لقد ذَهَبَتْ عنهم آلِهَتُهُمُ التي عَبَدُوها في الدُّنيا ، وَعَدُّوها آلِهَةً ، وكانوا يَدْعُونَها ويَرْجُونَها ، فلم تَنْفَعْهُمْ يومَ القيامةِ ، ولم تدفعْ عنهُمُ العذابَ ، وبذلك أيقنُوا أنهُمْ مُعَذَّبونَ في النَّارِ على شِرْكِهِمْ وكفرِهِمْ ، ولا مَهْرَبَ ولا نَجاةَ لَهُمْ مِنْهَا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرةٍ منها :

١ـ جميعُ الرُّسُلِ قُوبِلُوا بتَكْذيبِ الكافِرينَ وشُبُهاتِهِم واتّهاماتِهم ، وقابلُوا ذلكَ بالصَّبْرِ والثَّباتِ .

٢ـ عندما نتذكَّرُ أنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ ، علينا ألاّ نَنْسَى أنَّهُ شَديدُ العِقابِ أيضاً ، لِنَجْمَعَ بَيْنَ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ .

٣ـ يختلفُ تأثيرُ القُرآنِ في النَّاسِ حَسَبَ نَظْرَتِهِمْ لَهُ ، فَهُوَ هُدىً وشفاءٌ للمُؤْمِنينَ ، وَهُوَ صَمَمٌ وعَمىً على الكافِرينَ .

٤ـ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ أنّهُ يؤخِّرُ الفَصْلَ وَالقَضاءَ بينَ النَّاسِ المُخْتَلِفينَ ليومِ القيامةِ ، ولولا ذلكَ لعاقَبَهم في الدُّنيا .

٥ـ اللهُ عادلٌ في حُكْمِهِ وجزائِهِ ، فلا يَظْلِمُ أحداً في الدُّنيا ، ولا في الآخرةِ .

٦ـ اختصَّ اللهُ وَحْدَهُ بِعِلْمِ السّاعةِ فلا يَعْلَمُ ذلكَ أيُّ مَخْلوقٍ .

٧ـ يتبرَّأُ المُشرِكُونَ مِنْ آلهتِهم يَوْمَ القيامةِ ، ويُقِرُّونَ للهِ بالوَحْدانيَّةِ ، لكنْ بعدَ فواتِ الأوانِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسْئلة الآتية :

١ـ ماذا قالَ الكفّارُ لِرُسُلِهِمْ ؟ استشهدْ على ذلك بآيةٍ مِنَ القُرآنِ .

٢ـ ما اعتراضُ الكُفَّارِ على القرآن لو أنزَلَهُ اللهُ أعْجميّاً ؟

٣ـ استخرِجْ مِنَ الآياتِ اختلافَ أثر القُرآنِ في المُؤمنينَ وَفي الكافِرِينَ .

٤ـ ما اسمُ الكتابِ الذي أنزلَهُ اللهُ على مُوسى عليه السَّلامُ ؟ وماذا كانَ مَوْقِفُ النّاسِ منهُ ؟

٥ـ استخرِجْ مِنَ الآياتِ قاعدةَ الجزاءِ يومَ القِيامةِ .

٦ـ اذكرْ آيةً وَحَديثاً صحيحاً يدُلّان على أنّ اللهَ وَحْدَهُ يَعْلَمُ وقْتَ السَّاعةِ .

٧ـ اذكُرِ السّؤالَ الذي يُوجِّهُهُ اللهُ للمُشْركِينَ يومَ القِيامَةِ ، وَجَوابَهُمْ عَنْهُ .

٨ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ مِثالَيْنِ لِشُمُولِ عِلْمِ اللهِ لكلِّ شيءٍ في الدُّنْيا .

نشاط :

١ـ سجِّلْ آيةً مِنْ سُورةِ الذّارياتِ تُخبرُ أنّ كُلَّ الرُّسُلِ اتُّهِمُوا بالسِّحْرِ أو الجُنونِ .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ آيةَ سُورةِ الشُّعراءِ الدالّةَ على هذا المَعْنى .

٣ـ سجِّلْ آيةً أُخْرى وحديثاً عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ في أنّ اللهَ وَحْدَهُ اختصَّ بعِلْمِ الساعةِ .

٤ـ سجِّلْ الآيةَ (٥٣) مِنْ سُورةِ الكهفِ التي تُقرِّرُ أنّه لا مَصرِفَ للكُفّارِ عن النّارِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني وَالخَمْسونَ

سُورةُ فُصِّلَتْ ـ القِسْمُ التَّاسِعُ

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

معاني المُفْرداتِ :

- **لا يسأمُ** : لا يَمَلُّ .
- **يؤوسٌ قَنوطٌ** : يَنْقَطِعُ أَمَلُهُ مِنَ الخَيْرِ ، ويُصابُ بالإِحْباطِ .
- **الحُسنى** : الكَرامةُ والجَنَّةُ .
- **نأى بجانِبِهِ** : تكبَّرَ ، وأَعْرَضَ بنَفْسِهِ .
- **ذو دُعاءٍ عَريضٍ** : يدعُو دُعاءً كثيراً مُسْتَمِرّاً .
- **أرأيْتُم** : أَخْبِرُوني .
- **الآفاق** : نواحِي السَّماءِ والأرضِ وَجِهاتِها .
- **يَتبَيَّنَ لَهُمْ أنّه الحقُّ** : يَظْهرَ لَهُمْ أَنّ القرآنَ كتابُ اللهِ حقّاً .
- **في مِرْيةٍ** : في شَكٍّ .
- **بكلِّ شيءٍ مُحيطٌ** : عالِمٌ بكلِّ شيءٍ .

التفسير :

تنتقلُ الآياتُ مِنَ الحديثِ عن أحوالِ الكفّارِ في الدّنيا والآخرةِ ، للتحدّثِ عنْ تبدّلِ أحوالِ النّاسِ في الدُّنيا وما يُصيبُهُمْ مِنَ ابتلاءٍ .

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

طبيعةُ الإنسانِ أنّه يُحِبُّ دوامَ الخَيْرِ عليهِ ، ولا يتحمّلُ وُصولَ الشّرّ إليهِ ، وَهُوَ يطلُبُ الخَيْرَ دائماً ، لا يَملُّ مِنْ ذلكَ ، ولا يتوقّفُ عنهُ ، ولا يشبعُ مِنْهُ ، وإذا أصابَهُ الشرُّ كالمَرَضِ أوِ الفقرِ ، صارَ شديدَ اليأسِ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، مُصاباً بالذُّلّ والإحباطِ والحُزْنِ والقُنوطِ ، ولا يُسْتَثْنى مِنْ هذه الصِّفةِ إلا المُؤْمنونَ الصّالحونَ ، المتوكِّلُون على اللهِ .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

ويكشفُ اللهُ لنا مزيداً مِنْ صِفَاتِ هذا الإنْسانِ ، فعندما يُرْفعُ عنهُ الشرّ ، ويُفرَّجُ عنهُ الكرْبَ ويُؤتيهِ الخَيْرَ ويَمُنُّ عليه بالرّحْمَةِ والنّعْمةِ ، كالغنى بعْدَ الفقرِ ، والصّحّة بعدَ المَرَضِ ، والعِزّ بعد الذلّ ، فإنّهُ لا يَشكُرُ اللهَ على هذهِ النّعْمةِ والرّحْمَةِ ، وينسى فضْلَهُ وإحسانَهُ وإنعامَهُ ، ويقولُ : أنا أستحِقُّ هذا الخير ، واللهُ راضٍ عنّي ، ولذلك منحني إيّاهُ ، ويغترُّ بهذهِ النّعمة . ويكفرُ هذا الجاحدُ باللهِ ويُنكِرُ يوم القيامةِ ، ويقولُ : لا أعتقدُ أنَّ القيامة ستَقُومُ ، ولا أنّ السّاعةَ ستأتي ، فلا زَوالَ لهذهِ الدُّنيا ، ولا حِسابَ ولا جَزاءَ ، فَهُوَ يبطرُ على اللهِ عند النّعْمَةِ والرّحمةِ كما قالَ تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق : ٦-٧] .

ويقولُ : إذا صَحّ كلامُ الرُّسلِ ، وجاء يومُ القيامةِ ، ورَجعْتُ إلى ربّي ، فسَيُحْسِنُ إليَّ ربّي ويُكرِمُني بدُخولِ الجَنّةِ كما أَحسَنَ لي في الدُّنيا ، وأكْرَمني بالمالِ والخَيْرِ .

إنّه مَعَ كُفرِهِ وسُوءِ عمَلِه يتمنّى على اللهِ الأمانيَّ ، ويَرَى نَفْسَهُ مُستحِقاً لخيْرِ الدنيا وخيرِ الآخِرةِ ، وهذا مِنْ خَطأِ نَظْرَتِهِ وظَنّهِ ، فلا يَصْبِرُ عند الضُرّ ، ولا يَشْكرُ عند الخَيْرِ ، ولا يُصَدِّقُ بوَعْدِ اللهِ . وَهَدّدَ اللهُ أصْحابَ هذهِ النظرةِ الباطلةِ مِنَ الكُفّارِ بالعَذابِ ؛ إذْ سيُخبِرُهُمْ بما عَمِلوا مِنْ مَعاصٍ وَجَرائِمَ يومَ القيامةِ ، ويُحاسِبُهُمْ حِساباً عسيراً ، ثم يُعذّبُهُمْ في جَهنّمَ العَذابَ الشّديدَ .

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾

بَعْدَ الإخْبارِ عَنْ سُوءِ قولِ الإنسانِ الكافرِ عِنْدَما يُصَابُ بالشرّ وعندما يُعطى النّعْمَةَ ، يأتي

الإخبارُ عَنْ سُوءِ فِعْلِهِ وتصرُّفِه ، فعندما يُنعِمُ اللهُ عليهِ بالنّعمة كالصِّحّةِ والجاهِ والمَالِ ، يُعْرِضُ عَنْ طاعةِ الله ، ويَرْفُضُ شُكرَهُ ، ويسْتَكْبِرُ عنِ الانْقياد لأوامرِه ويتباعدُ عَنِ الحقِّ .

وإذا تبدّلَ حالُهُ وأُصيبَ بالشرّ والضُّرّ كالفقر أوِ المرض فإنّه يُطِيلُ السؤال ويُكثِرُ مِنَ الدُّعاءِ ، ويَسْتمِرُّ في التضرُّعِ والاسْتغاثةِ طالبًا من اللهِ كشْفَ ضُرِّه .

إنّ هذا الإنسانَ ينْسى اللهَ عند الرَّخاء ، ويُقبلُ عليه عِنْد الشِّدّة ، ولا يُريدُ إلاّ مصْلحَتَهُ .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

يأمرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أنْ يقُولَ للكُفّار : أنتمْ الآنَ تكفرُونَ بالقرآنِ ، وتُنكِرُونَ أنْ يكونَ كلامَ اللهِ أوْحَى بهِ إليّ ، أَخْبرُوني عنْ حالِكُمْ وفعْلِكُمْ إذا كانَ هذا القرآنُ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقّاً ، وأنتم تكفرُونَ بهِ مِنْ غَيْرِ تدبُّرٍ ولا نظَرٍ ، إنَّهُ لا أحدَ أضَلُّ منكُمْ ، لِشِدّةِ ضلالِكُمْ وبُعدِكُمْ عَنِ الحَقِّ .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

الكفارُ يكفرُون بالقرآنِ ويُنكرُون أنْ يكونَ مِنْ عندِ الله ، مَعَ وضوحِ الأدلّة على أنّهُ كلامُ اللهِ ، ووَعَدَ اللهُ أن يُقدِّمَ أدلّة أُخرى على ذلكَ ، وأنْ يرَى النّاسُ تلكَ الأدلّةَ والعلاماتِ والبراهينَ ، المَوْجودةَ في الآفاقِ في أقطارِ السّمواتِ والأرضِ ، مِثْلِ خلْقِ الشّمسِ والقمرِ والنّجومِ والكواكبِ ، وخَلْقِ الأرضِ وما فيها مِنْ جبالٍ وبحارٍ ومخْلُوقاتٍ ، والأدلّةِ والبراهينَ الموجودةَ في نفوسِ الناسِ وما فيها مِنْ إبداعِ الخَلْقِ وعظمةِ التركيبِ . وعندما يُفكِّرُونَ في هذهِ الأدلّةِ القرآنيّةِ يَظهرُ لَهُمْ أنَّ القرآنَ هُوَ الحقُّ مِنْ عندِ الله .

إنّ تقدُّمَ النّاسِ في العِلْمِ والصّناعةِ والمَعْرفةِ يُقدِّمُ مزيدًا منَ الأدلّةِ على أنّ القرآنَ حقٌّ مِنْ عندِ اللهِ وكلمّا ارتقَتْ معارفُ النّاسِ وعُلُومُهُمْ ازدادُوا اقْتِناعًا بهذهِ الحقيقَةِ .

وتكَفي شهادةُ اللهِ لكتابِهِ بأنّه حَقٌّ ، وكفىٰ به سبْحانَهُ شاهدًا على أقوالِ عبادِهِ وأفْعالِهِمْ ، مِنْ خيرٍ أو شرٍّ فهو يَراها ويَعْلَمُها ويحَاسبُهُمْ عليها يومَ القيامةِ .

ولكنّ الكفار مُستمرُّون في عنادِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، ولا يلتفِتُونَ للأدلّةِ على أنّ القرآنَ حقٌّ ، ولا يَعتمِدُونَ شهادةَ اللهِ وَهُمْ في شكٍّ مِنْ لقاءِ ربِّهم يوم القيامةِ ، لأنّهم مُنكِرُونَ للبعثِ والحسابِ والثّوابِ والعِقَابِ مَعَ أنّ يومَ القيامةِ آتٍ لا رَيْبَ فيهِ .

واللهُ بكلِّ شيءٍ مُحِيطٌ وَسِعَ عِلْمُهُ كلَّ شيءٍ ، لا تَخفَىٰ عليهِ خَافيَةٌ في السّمواتِ والأرضِ ، وكلُّ

المَخْلُوْقاتِ تحتَ قَهْرِه ، وَهُو المُتصَرِّفُ فيها بِحِكْمةِ وسيُجازي الكفّار على سُوءِ أعمالِهِمْ يومَ القِيامَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعبر كثيرة منها :

١ ـ المؤمنُ ليسَ هَلُوعاً ، فلا يجْزعُ عند الضُرِّ ، ولا يَبْطرُ عند الرَخاءِ ، وإنّما هو صابرٌ شاكِرٌ .

٢ ـ عندما يُنعِمُ اللهُ على الكافِرِ يُعْرِضُ عنْهُ ، وعندما يبتليهِ بالضُرِّ يلجأُ إليهِ ، فَهُو لا يَعْرِفُ إلاّ مَصْلَحَتَهُ ، بعكسِ المُؤمنِ الذي يُقبلُ على اللهِ في الرَخاءِ والشِّدَّةِ .

٣ ـ الأدلّةُ على أنَّ القُرآنَ حقٌ مِنْ عند الله مبثوثةٌ في الآفاقِ والأنفُسِ .

٤ ـ التقدُّمُ العِلْميُّ والمعْرِفيُّ يزيدُ الأدلّة على أنَّ القرآن حقٌ ولا تناقُض بين القُرآنِ والعِلْمِ .

٥ ـ مِنْ آياتِ اللهِ التي دلّتْ على أنَّ القُرآن حقٌ رُؤيَةُ العُلماءِ أثر انْشقاقِ القَمرِ عندما هبطُوا عليهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأسئلة الآتية :

١ ـ استخرجْ مِنَ الآياتِ حالتي الإنسان الكافِرِ عند الخيْرِ وعند الشَرِّ .

٢ ـ ما نظرةُ الإنسانِ الكافِرِ إلى الرَحْمَةِ تصلُهُ مِنْ عندِ الله ؟ ولِماذا تلك النَظْرةُ ؟

٣ ـ ماذا يَتوقّعُ الكافِرُ لنفسه في الآخِرة إذا صحّ عندهُ أنّ هناك آخرة ؟

٤ ـ ماذا يفْعلُ الكافِرُ بالنعمةِ تأتيهِ من الله ؟ وماذا يفْعلُ بالشرِّ يُصيبُهُ ؟ استشْهدْ على ذلك بآياتٍ أُخرى .

٥ ـ ماذا أمرَ اللهُ رسولهُ ﷺ أنْ يقُول للكافرين بالقرآن ؟ وما أثرُ ذلك فيهِمْ ؟

٦ ـ سجِّلْ ثلاثةَ أدلّةٍ مِنَ الآفاقِ تُثبتُ أنَّ القرآن حقٌ مِنْ عند الله .

٧ ـ ما أثرُ التقدُّمِ العِلْميِّ الإنسانيِّ على القرآنِ ؟ ولماذا ؟

٨ ـ ما معنى كلّ ممّا يأتي : يؤوسٌ قنوطٌ . نأى بجانِبِهِ . ذو دُعاء عريض ، في شقاقٍ بَعيدٍ ، في مرية .

نشاط :

١ـ سجِّلْ آياتٍ مِنْ سُورةِ المعارجِ تُبيّنُ هلعَ الإنسانِ وجزعَهُ ومنعَهُ من الخيْر ، وتستثني من ذلك المؤْمنينَ المُصلِّين .

٢ـ سجّل آية مِنْ بدايةِ سُورةِ يونُس تُبيّنُ إقبالَ الإنسان الكافرِ على اللهِ عندَ الشدةِ ونسيانه عند الرَّخَاء . واذكُرِ الشبهَ بينها وبينَ الآيةِ (٥٠) من هذه السَّورة

٣ـ سجّلِ الآيتينِ (٢٠ـ٢١) مِنْ سُورةِ الذَّارياتِ اللّتين تتحدثَّانِ عنِ الآيات في الأرضِ والأنفُسِ ، واذكُرِ الشَّبه بينهما وبينَ الآيةِ (٥٣) من هذه السُّورةِ .

٤ـ اكتُبْ موْضوعا في حُدودِ الصَّفْحتيْنِ عن الاكتشافات العلْميّة الحَديثةِ ، ودلالتها على أنَ القُرآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وأيّدْ حَديثك بالآياتِ القرآنية .

❊ ❊ ❊